وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد * تلمسان

كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم: التاريخ

سجل تحت رقم
بتاريخ 07 OCT 2009
الرقم

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ

بعنوان:

العلاقات السياسية و الاقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الإيبيرية في عهد الدولة الزيانية

إعداد الطالب:
إدريس بن مصطفى

إشراف الدكتور:
مبخوت بودواية

أعضاء اللجنة المناقشة:

أ. د. عبد الحميد حاجيات	أستاذ التعليم العالي – جامعة تلمسان	رئيسا
د. مبخوت بودواية	أستاذ محاضر – جامعة تلمسان	مشرفا و مقررا
د. عبدلي لخضر	أستاذ محاضر – جامعة تلمسان	مناقشا
د. بلحاج معروف	أستاذ محاضر – جامعة تلمسان	مناقشا
د. الغوثي بسنوسي	أستاذ محاضر – جامعة تلمسان	مناقشا

السنة الجامعية: 2006- 2007

الملخصات:

أ-العربية

يتضمن هذا البحث دراسة للعلاقات الاقتصادية والسياسية للمغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية،مع شبه الجزيرة الايبيرية وشبه الجزيرة الايطالية ،وقد ركزت من خلالها على دور الموقع الجغرافي لمدينة تلمسان عاصمة دولة بني عبد الوادي،في اجتذاب النشاط التجاري وخاصة الأوروبي وانعكاسات ذلك على وضعها الاقتصادي باعتبارها مركز عبور وانتقال للسلع بين الشمال (أوروبا)والجنوب(الصحراء الإفريقية)ثم أثر ذلك على وضعها السياسي وما آلت إليه من تفكك واحتلال ثم اضمحلال.

ب-الانجليزية

My survey deals with the political and economic links of the middle maghreb during the era of the Zianids state with the Iberian and Italian peninsulas, the main aim of my study is a complete focus on the positive aspect of the geographical situation of its capital Tlemcen and its ability to attract European –neibouring-countries for trading activity ,then the numerous consequences on its economic position since it was regarded a transistionary center of different products between the north and the south and finally the negative role on its political position ,that is to say, the beginning of it decline, occupation and ephemera.

ج-الفرنسية:

Cette recherche a pour objet l,étude des relations politico-économiques du moyen Maghreb avec la péninsule Ibérique et la péninsule italienne lors de la dynastie des Zianides.

Notre travail ce focalise d,une part sur le rôle de la position géographique de la ville de Tlemcen comme capitale de l,état,cite attractive des transactions commerciales européennes et leur répercutions sur son économie étant considérée comme point (lieu) de transit des marchandises entre le nord et le sud , et d,autre part,le rôle de ces transactions sur sa politique ,et de ce qu,elle a subit comme problèmes internes,puis colonisation.

الإهـــــــــــــداء

الى والدي الكريمين

الى زوجتي التي قاسمتني لحظات الفرح والعناء

الى ولدايي مروة ومحمد رضا

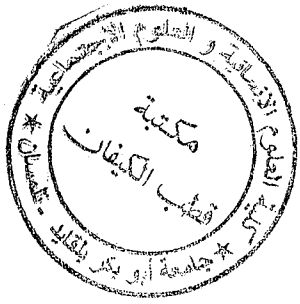

الى إخوتي وأخواتي

أهدي هذا العمل

فهرس المختصرات

الحرف أو الرمز	المدلول أو المقابل
ج	جزء
دو م ج	الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية
م و ن ت	المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع
ط	طبعة
ص	صفحة
Op.cit	مرجع سابق(Opèré citato)
ibid	في الموضع نفسه (ibidem)
OPU	Office des publications universitaires

مقدمة

لاشك أن أهم أساسين تقوم عليهما أي دولة هما القوة الاقتصادية والسياسية،وكثيرا ما قرأت عن الدولة الزيانية وعلاقاتها السياسية خاصة مع جارتيها المرينيية و الحفصية ،فارتأيت أن أعالج جانبا آخر من علاقاتها الاقتصادية والسياسية، أي التي ربطتها بالجزء الغربي من القارة الأوروبية- شبه الجزيرة الايبيرية وشبه الجزيرة الإيطالية-محاولا الربط بين الجانبين واستنتاج أثر كل منهما في الآخر،والانعكاسات المترتبة عنهما ضمن الإشكالية التالية: ما سر إقبال دول المنطقة على الاتجار مع الدولة الزيانية؟هل أن العلاقات السياسية والدبلوماسية التي وجدت بينها كانت انعكاسا أو تجسيدا للرغبة التجارية مع منطقة مثلت محورا و نقطة مفصلية للوصول الى ذهب السودان الغربي الذي دأب السلاطين الزيانيون على احتكار تجارته؟هل كانت هذه المكانة والموقع الجغرافي سببا في ابتلاء المنطقة بالاحتلال الأوروبي ؟ لقد خرجت في بحثي هذا عن المألوف نوعا ما ،إذ نجد أن نرى الجانب السياسي يسبق الجانب الاقتصادي،وهذا لجملة من الأسباب أولها خدمة لإشكالية البحث المطروحة،ومن جهة أخرى لطبيعة العلاقة التي ربطت هذه الدولة بالدول المسيحية إذ أن العلاقات التجارية هي التي أثرت ووجهت إن لم نقل أوجدتها كما سنرى في مراحل البحث.

إنني لا ادعي الكمال أو التفوق عن غيري، وإنما اعتبر ما سأقوم به مدعما أو إثراء لما سبق، خاصة وأنها أول محاولة لي في هذا المجال، بمساعدة الأساتذة الأفاضل الذين ساعدوني من قريب أو بعيد،ولذا يمكن اعتبار ما توصلت إليه مجرد نافذة تفتح آفاقا جديدة للبحث في تاريخ هده الدولة.

لقد قسمت هذا البحث الى ثلاثة فصول أساسية وفصل تمهيدي إضافة الى المقدمة والخاتمة، وقد قسمت كل فصل الى مباحث وكل مبحث الى عناصر وكل هذا من اجل تسهيل عملية الاطلاع على هذا العمل ،أما عن المنهج المتبع فيه، فهو وصفي تحليلي استنتاجي تبعا لعناصر وخطوات البحث .

تضمن الفصل الأول من البحث وهو التمهيدي،نبذة عن سقوط الدولة الموحدية التي انبثقت عنها الدولة الزيانية أو العبدوادية التي تمثل محور هذه الدراسة و نظم الحكم بهـا، ولم أقم بهذا إلا من اجل فهم الأحداث التي يتضمنها البحث،وبعض الاضطرابات التي شهدتها، مركزا على صراعها مع جيرانها وما حدث من مد وشد في حدودها السياسية قصد إدراك وزن هذه الدولة ومكانتها سياسيا واثر ذلك على علاقاتها مع دول الضفة الشمالية للمتوسط التي عاصرتها الى أيام أفولها.خاصة وأننا نجد فراغا كبيرا في هذا الجانب.

أما الفصل الأول فيتعلق بالجانب الاقتصادي لها وللمنطقة المقصودة، وتناولت فيه الأسس والركائز الثلاث التي يقوم عليها اقتصاد أي بلد حتى يومنا هـذا،وهي الزراعـة والـصناعة والتجارة المحلية والإقليمية حتى ندرك الميكانيزمات المتحكمة في عمليات التبـادل وطبيعتـه باعتبار أن التجارة هي عملية تبادل لمنتجات معدنية ونباتية خام أو مصنعة.

أما الفصل الثالث فتطرقنا فيه للمبادلات التجارية وما رافقها من تنظيمات وتقنيات سـهلت هذه العملية وأعطتها صفة الرسمية وذلك انطلاقا مما توفر لدينا من مصادر ومراجع تناولـت الموضوع بشكل مباشر وصريح وانطلاقا من إشارات المصادر المتعددة التي تناولت جزءا مـن تاريخ المنطقة الاقتصادي والجغرافي .

أما الفصل الرابع فخصصناه للعلاقات السياسية بين هذه الكيانات واستهليناه بلمحـة وجيزة عن الأوضاع السياسية التي كانت سائدة بشبه الجزيرة الايطالية وشبه الجزيرة الأيبيرية ليس لشيء إلا لإعطاء فكرة مسبقة للقارئ أو المطلع على هذا البحث، وقد تـضمن شـقين أساسيين هما العلاقات الدبلوماسية الودية والعلاقات العدائية التي ابتدأتها البرتغال ثم اسـبانيا على سواحل بلاد المغرب الأوسط وانتهت باحتلالها وبالتالي سقوط وأفول الدولـة الزيانيـة وظهور الأتراك على الساحة السياسية كقوة معادية للأسبان ومسيطرة على المنطقة بغض النظر عن طبيعتها.

وبخصوص الخاتمة فقد ضمنتها أهم النتائج التي خرجت بها من هذا البحث واتبعتها بجملة من الملاحق التي رايتها مفيدة في توضيح بض زوايا وعناصر البحث.

أما عن المنهج لذي اتبعته عبر مراحل البحث فمتنوع،إذ كان وصـفيا في اقتبـاس بعـض المعطيات الاقتصادية في الزراعة والصناعة من كتب الرحلة والجغرافيا،وتحليليـا في الفـصل

الأخير إذ تطلب الأمر تقصي واستنتاج بعض الأمور المتعلقة بالجانب السياسي من سياق ما أورده بعض المؤرخين من نتف لا تشفي الغليل في هذا المجال.

واجهتني كباقي الزملاء في مجال البحث صعوبات أمكن التغلب على الكثير منها، صعوبة الحصول على المصادر المتخصصة التي أرخت للفترة وللمنطقة والتخصص الذي اخترناه،إضافة الى ضيق الفترة المخصصة للبحث والمقدرة بسنة واحدة في ظل ارتباطات أخرى في المجال العلمي والتربوي.

و في الأخير، لا يسعني إلا أن أتوجه بخالص الشكر والإمتنان والعرفان للأستاذ الفاضل بودواية مبخوت ،رئيس قسم التاريخ وأستاذ التاريخ الإسلامي الوسيط بكلية الآداب بجامعة تلمسان الذي ساعدني كثيرا بما أسداه لي من نصح ورشد ووجهني على مرور خطوات البحث وأرجو من الله السداد والتوفيق،وهو نعم المولى ونعم النصير.

دراسة المصادر والمراجع.

اعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المصادر والمراجع منها ما كان لـه علاقـة مباشـرة بموضوع البحث أي المتخصصة ومنها ما يمس جانبا أو حيزا معينا منه،ومنها ما تطرق لجزئيـة منـه بشكل عرضي فقط،ومن هذه المصادر:

1- المعجب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد المراكشي(محي الدين عبد الواحد المراكشي)المتوفى في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، أي ما يوافق القـرن الثـاني عـشر الميلادي، ويعالج تاريخ المنطقة- أي المغرب والأندلس- في عهد الموحدين، وهو مهـم في تـاريخهم باعتبار أنه عاصرهم ونشأ في كنفهم . وقد ضمن كتابه جزءا هاما من تاريخ المغرب والأنـدلس أي منذ افتتاح الأندلس والى غاية سقوط دولة الموحدين ولم يخل هذا المؤلف من فوائد يجتبها الـدارس للجانب الجغرافي و الاقتصادي للمنطقة،ولذا فقد استعنت به في الفصـل الأول مـن البحـث أي سقوط الدولة الموحدية وظهور الدولة الزيانية التي تعتبر صلب هذه الدراسة

2- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم مـن ذوي الشأن الأكبر" لابن خلدون عبد الرحمن،المتوفي سنة 808هـ/1405م والذي ولد بتونس وتعلم فيها على أيدي من هاجر إليها من الأندلس،وأجداده أندلسيون من اشبيلية، وأصلهم مـن عـرب اليمن.

تقلد ابن خلدون العديد من المناصب في الدولة الحفصية فعرف بالسياسي العاقل،كمـا تـولى منصب قاضي القضاة في القاهرة وتنقل كثيرا في بلاد المغرب والأندلس والأقطار المشرقية،أما مؤلفه السابق الذكر الذي اشتهر به، فهو عبارة عن موسوعة عظيمة،احتوت المقدمة التي تمثل أولى أجزائه الكثير من النظريات وصنوف الحكمة في عادات وطباع البشر وعمرانهم والتي تساعد كثيرا في فهم الكثير من الأحداث التاريخية. أما أجزاءه الستة المتبقية فتحمل في طياتها تاريخا عاما لأخبار العـرب وأجيالهم وأخبار البربر وأجيالهم ودولهم،أما الجزء الذي اعتمدناه بدرجة كبيرة فهو الجزء الـسابع الخاص بالدولة الزيانية.

3-"بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد":لصاحبه أبي زكرياء يحي بـن خلـدون (734هـ/1333م/780هـ1378م)تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الحميد حاجيات،والذي

تناول بالدراسة منطقة المغرب الأوسط منذ عهد الولاة الى غاية قيام دولة بني زيان ومن حكمها من سلاطين انتهاء بعهد أبي سعيد وأبي ثابت ابني عبد الرحمن بن يحي .ويعتبر مصدرا مهما للباحث في تاريخ الدولة الزيانية.

4-"تاريخ بني زيان ملوك تلمسان" وهو مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان لمحمد بن عبد الله التنسي المولود سنة830هـ وقد حققه وعلق عليه محمود بوعياد وركزنا على الجزء الخاص باستيلاء بني عبد الواد على الحكم واهم السلاطين الذين تداولوا الحكم بهذه الأمارة،ورغم المبالغة التي أبداها صاحب الكتاب في التعظيم والإجلال لسلاطين هذه الدولة وإغفاله للجوانب السلبية في حياتهم إلا انه يعتبر مصدرا مهما في دراسة الجانب السياسي للدولة.

5- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:لأحمد بن محمد المقري التلمساني،تحقيق إحسان عباس، وقد اعتمدنا عليه في استنتاج بعض الأمور الاقتصادية المتعلقة بالمغرب الأوسط وشبه الجزيرة الأيبيرية أو الأندلس،وقد اعتمدنا عليه في استنتاج بعض الأمور الاقتصادية والسياسية المتعلقة بالمغرب الأوسط وشبه الجزيرة الأيبيرية أو تحديدا ببلاد الأندلس.

6- كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى:لصاحبه أبي العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي والذي تناول بالدراسة تاريخ المغرب الأقصى بصفة مفصلة حتى الاحتلال البرتغالي لموانئ المغرب الأقصى،ولم يخل من إشارات للوضع السياسي للمناطق المجاورة،ومن هنا اعتمدناه في استقاء بعض الأحداث باعتبار أن المنطقة تشكل وحدة جغرافية ذات تاريخ ومصير مشترك.

7-كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا لأبي العباس أحمد بن علي (القلقشندى)المتوفي سنة821هـ/1418م والذي وقف على أمارات المغرب الإسلامي في الفترة المدروسة مركزا على الجانب الأدبي .

8-وصف إفريقيا:لصاحبه محمد بن الحسن الوزان ،المعروف بليون الإفريقي،وقد ألف كتابه في حدود سنة 1526م باللغة الايطالية وقد ترجم الى الفرنسية من قبل A Epaulard وقد اعتمدنا الجزء الثاني منه والمتضمن في طياته بعض صفات الشمال الإفريقي الاقتصادية من زراعة وصناعة وثروة معدنية، وحتى السياسية في بعض الحالات.

9-كتاب إفريقيا ،لصاحبه مارمول كار بخال،و ظهر في فترة تكاد تكون مواكبة لكتاب الوزان إذ لم يفصل بينهما سوى فترة بسيطة تقدر بحوالي أربعين سنة،ولذا فيمكن اعتباره من المؤلفات الهامة التي تعالج الأمور الاقتصادية لشمال إفريقيا في المنطقة رغم ما يحمله صاحب الكتاب من كراهية وحقد دفين لكل ما هو أسلامي،بحكم ديانته المسيحية.

10-نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:لصاحبه الإدريسي(ت570هـ/1164م)،وهو كتاب في الجغرافيا العامة ألفه الإدريسي سنة 549هـ/1154م لملك صقيلية روجر الثاني ،فرغم تقدم هذا المؤلف عن الفترة المدروسة إلا انه ساعدنا كثيرا في استيفاء الكثير من المعلومات الجغرافية (مواقع ومسالك ومدن وموانئ)،والاقتصادية (زراعة ،معادن ،ثروة حيوانية) للأقاليم الثلاثة المستهدفة من دراستنا،التي ظلت من الثوابت حتى العصر الزياني.

11-تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار :المسماة رحلة ابن بطوطة (ت770هـ/1378م)والتي استغرقت ربع قرن من الزمن وهذا ما ميزها عن باقي الرحلات واحتوت الكثير من المعلومات عن البلاد التي زارها خصوصا بلاد السودان ،بينما لم تحتل بلاد المغرب والأندلس إلا جزءا قليلا من هذا الكتاب.

12-كتاب الجغرافيا :لصاحبه ابن سعيد والذي تضمن معلومات حول بلاد المغرب والأندلس وشبه الجزيرة الايطالية لكن لم تكن المعلومات التي أوردها بنفس الغزارة التي جاءت في النزهة أو معجم البلدان رغم أنه جاء متأخرا عنهما.

13-كتاب صورة الأرض:لأبي القاسم محمد النصيبي المعروف بابن حوقل الذي احتوى وصفا لأقاليم الكرة الأرضية لكن ليس بنفس الدقة والإسهاب التي نجدها لدى الإدريسي والوزان رغم أنه جاء متأخرا.

14- نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر:لمؤلف أندلسي مجهول وعالج فيه صاحبه آخر أيام المسلمين في بلاد الأندلس وما تعرض له الموريسكيون من معاناة وتشريد من طرف النصارى في إطار ما عرف بحرب الاسترداد.

2-المراجـــــــــع:

أ-العربية:

1-النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي :لعز الدين عمر موسى ويتعرض الكتاب بالدراسة المفصلة للواقع الاقتصادي للمغرب الإسلامي بما فيها بلاد الأندلس باعتبارها وحدة جغرافية منفصلة عن بقية أجزاء المغرب بما أحاط بها من مياه وذلك خلال القرن السادس الهجـــري(الثـــاني عـــشر ميلادي).وقد ربط ذلك بالتطورات السياسية والحركات الاجتماعية ،كمـــا أعـــاد النظـــر في دور المرابطين الحضاري على ضوء ما أسهموا به في تطوير البلاد الغربية اقتصاديا.

2. الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابـــع الهجريين،لجودت عبد الكريم يوسف والذي تناول بالدراسة النشاط الاقتصادي للمنطقة بـــشكل مستفيض بما يشتمل من زراعة وصناعة وتجارة وجباية وكوارث وأزمات طبيعية أثرت على المـــسار الاقتصادي للمنطقة.

3-مدن الفن الشهيرة-تلمسان -لجورج مارسي -ويتناول تلمسان من الناحية التاريخية أي الوثنية والمسيحية والإسلامية،الى جانب الحياة الفكرية والاقتصادية لها في العهد الزياني بالخصوص،وقد جاء كل ذلك في أسلوب شبه حكائي مشوق.

4-المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب ،لعبادة كحيلة وهو يسلط الضوء على المنطقة مـــن الفـــتح الإسلامي الى غاية سقوط غرناطة وطرد المسلمين منها.

5-تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي الى الغزو الإفريقي لحسين مؤنس وقد اعتمدت على المجلد الثاني والجزء الثاني منه أي المتعلق بالفترة المدروسة،وقد اعتمد على سرد أهم الأحـــداث التي عرفتها الدولة الزيانية ودول المغرب محاولا ربطها بالـــسلاطين الـــذين وقعـــت في عهـــدهم وشخصيتهم.

ب-الأجنبية:

1- Les états de l,occident musulman au XIII et XIV siècle.

لعطا الله دهينة والذي قام فيه بدراسة تحليلية للأوضاع الاقتصادية والسياسية للمنطقة مركزا علـــى العلاقات التجارية بين الغرب المسيحي وبلاد المغرب وما ترتب عن ذلك من نظم وترتيبات،كمـــا

يتناول جانبا هاما من العلاقات السياسية و الكثير من الـــدلالات و الإشـــارات عـــن الجانـــب الديبلوماسي لمنطقة المغرب الإسلامي.

2-la re-naissance d.un ancien débouche de l. or transsaharien -honaine.

للجيلالي صاري و يتناول بالدراسة تاريخ هنين المدينة والميناء ودورهما في الحيـــاة التجاريـــة لـــبلاد المغرب الأوسط،وهو يحمل معطيات هامة عن السلع والبضائع المتبادلة بين ضفتي المتوسط معتمـــدا على جملة من المؤرخين الفرنسيين أمثال شارل ايمانويل ديفورك وماس لاتري .

-3,les berbers dans l,histoire de la kahina a l,occupation Turque.

لميلود قايد وهو يتناول بالدراسة تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي الى دخول المنطقة تحت نفوذ الأتراك.

4. L ,Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIV eme siecle,.

واسبانيا المسيحية خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر وهو كتاب قيم جدا اعتمده الكثير مـــن الباحثين في العلاقات الاقتصادية بين دول المغرب والضفة الشمالية للمتوسط.

الفصل الأول

الوصف السياسي للدولة الزيانية

المبحث الأول: نبذة عن الدولة الموحدية

* تأسيسها

* سقوطها

* عوامل الضعف والسقوط

المبحث الثاني: نشأة الدولة الزيانية:

* نشأة الدولة الزيانية

* حدود الدولة الزيانية

* نظام الحكم بها

* النظام المالي والنقدي

المبحث الأول: نبذة عن الدولة الموحدية

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتطرق لدراسة أي دولة كانت دون الرجوع إلى أصولها التاريخية،كما انه لا يمكن فهم ما يجري بها من أحداث وتطورات إلا بوضعها في سياقها وإطارها التاريخي والجغرافي،باعتبار أن التاريخ سلسلة من الأحداث المترابطة،والمؤثرة والمتأثرة ببعضها البعض.ولهذا ارتأينا أن نبتدئ دراستنا هاته، بإعطاء لمحة ولو وجيزة عن الدولة الموحدية([1]) التي خرجت من صلبها الدويلات البربرية المغاربية الثلاث([2])، لان المجال هنا لا يتسع للإسهاب في سرد تفاصيل تاريخها.

1/ تأسيسها: يعد محمد بن عبد الله بن تومرت([3]) منشئ وباعث هذه الدولة، والذي رأى قومه بالمغرب الأقصى([4]) يتيهون في مجاهل نائية عن التوحيد ،فشرع يطوف بين مدن وقرى هذا البلد مبشرا بدعوته([5]) ،ولقب نفسه بالمهدي المنتظر([6]).وهذا ما يعتبر من المزالق التي وقعت فيها هذه الدعوة ، إذ تسمى بالمعصوم ونعته تلامذته وأتباعه بذلك، علما بان العصمة عند السنة والجماعة لم تثبت إلا للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام،وأطلق على أتباعه اسم الموحدين

---

[1]. سميت بهذه التسمية لأخذ أتباعها علم التوحيد عن شيخهم الشريف المهدي بن تومرت فهو الذي سماهم بذلك تعريضا بالمرابطين.طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر واسبانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر للأغا بن عودة المزاري ج الطبعة الأولى،دار الغرب الإسلامي، 1990 .

[2]. أي الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى سنة 627هـ/1229م ،الدولة الزيانية في المغرب الأوسط سنة 636هـ/1238م والدولة المرينية في المغرب الأقصى سنة667هـ/1269م.

[3]. من أصل قبيلة مصمودة ،نشا في بلاد السوس الأقصى جنوب غرب مراكش قضى فترة من الزمن في قرطبة وشهد عملية حرق مصنفات الفيلسوف أبي حامد الغزالي، كما اطلع على كتب ابن حزم و تأثر بأفكاره.

[4].هو المنطقة الموالية للمغرب الأوسط أي من وادي ملوية إلى بحر الظلمات أو المحيط الأطلسي غربا ،أطلقت عليه هذه التسمية تمييزا له عن المغرب الإسلامي ،أما حاليا فتمييزا له عن المغرب العربي.

[5].تقوم الدعوة الموحدية على عدة مبادئ منها: توحيد الله تعالى،وتنزيهه عن الصفات الجسمانية للبشر خلافا للمرابطين،والضرورة المطلقة في الامتثال لأوامره والابتعاد عن نواهيه.

[6].نسب إليه أتباعه هذه التسمية انطلاقا من الحديث الشريف الذي بشر فيه الرسول صلعم بالإمام المهدي الذي يملا الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يبعثه الله إلى نسخ الباطل بالحق .وان يلي مكان الجور عدلا،وان المغرب الأقصى منبته ،وزمانه آخر الزمان .وقد قام أصحابه العشرة إليه بعد أن ألقى خطابا بالسوس الأقصى فقالوا له :هذه الصفة لا توجد إلا فيك ،فأنت المهدي ،فبايعوه تحت شجرة خروب.

طاعنا بذلك في معتقدات المرابطين، ومكرها الناس فيهم، حتى تسهل عليه عملية القضاء على ما تبقى لهم من نفوذ وسيطرة في المنطقة .فراح يهاجم بقاياهم ليستولي على منطقة السوس الأقصى([1]) ويقضي على ما تبقى لهم من نفوذ وسيطرة في المنطقة. استطاع عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي([2])، الذي خلف ابن تومرت، وعلى عكس ابن تاشفين أن يصنع لنفسه أحفادا، قادرين على الحفاظ على إرثه، إذ تمكنت ثلاثة أجيال من خلق حضارة، أصلية متأثرة وبقوة بثقافة الأندلس([3]) الإسلامية، مع الحفاظ على بربريتها بأعماقها حسب" روبرت كور فنين"([4])، وحسب رأينا الخاص انه عالج الموضوع من زاوية عرقية اثنيه وليس من زاوية دينية، إذ نجده يفصل بين ما هو إسلامي عقائدي و ما هو بربري عرقي.

---

[1]. السوس الأقصى:منطقة بالمغرب الأقصى مركزها مدينة تارودانت،تقع إلى الجنوب من مدينة مراكش، تتكون من قرى كثيرة كانت تمتاز بكثرة فواكهها ومحصولها من القمح والشعير، ويمتاز سكانها بالجفاء.أما السوس الأدنى فيقع إلى الغرب من مدينة طنجة الحالية،وهذا ما ندركه من قول الرقيق القيرواني "فرحل من السوس الأدنى وهو في مغرب طنجة التي تسمى تارودانت ".تاريخ افريقية والمغرب في القرن الخامس،تحقيق وتقديم المنجي ألكعبي مطبعة الوسط تونس،1968.ص45و46 لمزيد من الاطلاع يرجى العودة إلى كتاب."المغرب العربي"مأخوذ من كتاب" نزهة المشتاق في اختراق الأفاق"للشريف الإدريسي. تحقيق محمد صادق،طبعة بلجيكا 1983. ص78ومايليها.

[2]. كان ضمن مجلس العشرة لابن تومرت،وبذل جهودا كبيرة في مؤازرته وتدعيم مركزه والقضاء على المرابطين ولدسنة490هـ /1096م بتاجرة بنواحي ندرومة ،كان عالما في الفقه والتوحيد توفي بتلمسان ودفن بها بمنطقة العباد.

[3]. بلاد الأندلس هي الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة الأيبيرية ،وحسب محمد بن يوسف الزياني :هي جزيرة واسعة بين البحر الرومي والبحر المحيط ،وقد سميت باسم أول من توطنها وهو أندلس بن يافت بن نوح عليه السلام،انظر ابن خلكان أبي العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج1،دار الثقافة بيروت،1968م، ص57،أحمد بن محمد المقري التلمساني،نفح الطيب من غصن الأندلس الوطيب، تحقيق إحسان عباس،دار صادر بيروت،1968م ج1،ص243. بن يوسف محمد الزياني،دليل الحيران في أخبار مدينة وهران. ص131، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978م،وهي ذات شكل يشبه المثلث رأسه نحو المغرب الأقصى جنوبا،أما قاعدته ففي الشمال. الإدريسي،نفس المصدر. ص179.

[4]. corvenin Robert ,Histoire de l,Afrique,des origines aux XVI eme siècle, Payot, paris, tome1 .p330.

استطاع عبد المؤمن الاستيلاء على عاصمة المرابطين مراكش([1]) سنة541هـ/1147م،ثم يتجه بعدها شرقا ليستولي على تلمسان و أحوازها سنة534هـ/1139م، ثم على وهران في 539هـ /1145م وكان قد أرسل قائد جيشه" بزار" إلى الأندلس في نفس السنة ،فأرغم فلول المرابطين على الفرار خارجها أي إلى الجزائر الشرقية([2]) 539هـ/1145م ثم استولى على متيجة ومدينة الجزائر دون قتال ليقتحم بعدها مدينة القلعة الحمادية و بجاية ومدينة قسنطينة وعنابة ،ثم يفكر في الزحف على المهدية([3])عاصمة الصنهاجيين والتي دخلها عام 555هـ/1160م،بعدها قفل راجعا إلى المغرب أين قضى بقية حياته،إذ أدركه الممات في مدينة سلا المغربية عام 558هـ/1163م وهو يعتزم اللحاق بقائده إلى الأندلس،مخلفا ورائه إمبراطورية تضم شمالي إفريقيا من حدود مصر إلى شواطئ الأطلسي،بعد أن قضى على نفوذ المرابطين بها.

من هنا يمكن اعتبار سنة 555هـ/1159م، أين نرى المغرب تحت سلطة وحيدة ،تاريخا مهما للبربر إذ لأول مرة في تاريخهم نجد الوحدة الجغرافية قد تمت من خليج قابس إلى المحيط الأطلسي،تحولت إلى وحدة سياسية محكومة من رؤساء وحكام مغاربة ،فقد شكلت الإمبراطورية المغربية الموحدية كلا مندمجا ومتجانسا من 1160 الى1212م في ظل وحدة جغرافية وبشرية.([4]) وهنا

---

[1].مدينة تقع إلى الشمال من أغمات وعلى بعد اثنا عشر ميلا ،بناها يوسف ابن تاشفين سنة سبعين وأربعمائة بعد أن اشترى أرضها من أهل أغمات ،وقد بنيت في ارض رتبة خالية من التعقيد.الإدريسي الشريف ،نفس المصدر، ص83و84.وهي تقع في الناحية الغربية المطلة على بحر الظلمات أو المحيط الأطلسي،غنية برواسبها الفوسفاتية وتعد اليوم من المدن التاريخية المهمة بالمغرب الأقصى.

[2]. وهي ما يعرف أيضا بجزر البليار، إذ نجد أن الجغرافيين دأبوا على إطلاق هذا الاسم "البليار" على جزيرتي ميورقة ومنورقة اكبر جزيرتين ضمن الأرخبيل الذي يتألف من عدد هام من الجزر وهي يابسة فرمنتيرة وكبريرة وكونجيرة إضافة إلى الجزيرتين السابقتي الذكر،وتعتبر ميورقة أخصبها واسمها الآن palma de majorca.

[3].مدينة تقع إلى الشمال من القيروان وعلى بعد مرحلتين منه،ياقوت الحموي،نفس المصدر، ج4،ص289. أو تقع على بعد60 ميلا منه أسسها عبد الله سنة 300هـ/912م –913م وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها القاسم بن عبيد الله المهدي .البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ابن عذارى المراكشي تحقيق ومراجعة ح س كولات وليفي بروفنسال طبعة بيروت،ص208.

[4]. corvenin Robert ,op. cit.. P.326.

انظر أيضا،فرنيان أندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح ومنصف عاشور،الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية،الجزائر، 1984م.

ندرك أيضا أن المؤرخ "كورفنين" اغفل دور الدين الإسلامي في صهر هذه العناصر البربرية التي من شيمها رفض الخضوع والخنوع للأجنبي وركز على الجانب العرقي.

إن أهم حدث عظم ومجد الدولة الموحدية وخلفائها،لا في العالم الإسلامي فحسب بل والعالم المسيحي أيضا،هو الانتصار العظيم لها في موقعة الأرك،([1]) بقيادة ثالث أمير وهو أبو يعقوب يوسف والذي يعد عهده المع فترات الحكم الموحدي ،والذي يشبه من طرف البعض بالجنرال([2]).

رغم أن الدولة الموحدية كانت أول تجربة لإقامة إمبراطورية بربرية ،تذوب وتنصهر فيها الفوارق والحزازات القبلية الضيقة،إلا أنها استطاعت أن تقيم حكومة مبنية على أسس عقائدية واقتصادية وعسكرية وتنظيمية أكثر واقعية من سابقتها،التي افتقدت إلى النظام الإداري المحكم، فانهارت بسرعة(434-541هـ/1042-1145م).

ب/ سقوطها: تمتعت الدولة الموحدية في بداية عهدها بالقوة العسكرية والنماء الاقتصادي والثراء العمراني والثقافي والسمعة السياسية،والتي كان من مظاهرها إقبال ممالك أوروبا على عقد اتفاقيات تجارية معها كفرنسا والدويلات الإيطالية.([3])

إن الانتصار الذي حققه الخليفة الموحدي يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن في موقعة الارك بما كان له من اثر في توطيد حكم المسلمين و توسعة أراضيهم في الأندلس،ما لبث أن أعقبه انكسار، إذ منذ ذلك الحين و ألفونسو الثامن يفكر في محو عار تلك الهزيمة التي كانت تؤرق مضجعه،وتثير في نفسه نوازع الانتقام ،فرغم لجوئه إلى مهادنة الموحدين بعد المعركة، إلا انه نقضها([4])،لكن بعد أن حصن قلاع بلاده الواقعة على الحدود الإسلامية، وتحالف مع ملك بيزة وأرغون سنة 607هـ/1210م، وألب بقية مسيحيي أوروبا ضد المسلمين ،فأغار على جيان و بياسة

[1]. الأرك أو(Alarcos) بالاسبانية ،وهو حصن منيع يقع على حدود مملكة قشتالة مع الدولة الإسلامية بالأندلس

[2]. Corvenin Robert,op. cit., p331.

[3]. بو عزيز يحي،نفس المرجع.ص115.

[4].المراكشي عبد الواحد،المعجب، ص234.

وأجزاء من مرسية و أندوجر،حينها قرر الناصر([1]) ورغم نصيحة محمد بن أبي حفص له بعدم خوض غمار هذه الحرب ،إلا انه استنفر قواته وكاتب زعماء بلاد افريقية والمغرب يدعوهم للجهاد ،فأجابه خلق كثير([2])،وسار بقواته إلى الأندلس ففتح قلعة رباح ،حينها استغاث الفونسو بأهل ملته وحثهم على حماية دينهم، فاستجابوا له([3]) كما بعث إلى البابا انو سنت الثالث فاستجاب له، لتأخذ الحرب صبغة صليبية،إذ أرسلت الدويلات الايطالية وفرنسا الجنود والمؤن لدعم هذا التحالف، ليلتقي الطرفان في المعركة النهائية عند جبل الشارات أو السيبرا مورينا في15صفر609هـ/ 16 يوليو 1212م لتبدأ معركة العقاب([4])التي انجلت عن هزيمة المسلمين، وفرار السلطان محمد الناصر مكرها إلى مراكش أين قضى حولا من الزمان في حالة خمول،وتوفي هناك في شعبان 610هـ/1213م عن عمر يناهزا لسبعة والثلاثين سنة.فانطلقت جيوش المسيحيين تخضع المدن الإسلامية تباعا (قرطبة 1236م/633هـ و جيان 1246م/643هـ- واشبيلية 1248م/645هـ) ،ليبدأ طموحه إلى العدوة([5]) المغربية، ويضرب دولة الموحدين في عقر دارها، حتى انه لم يبق للمسلمين في الأندلس سوى غرناطة،التي صمدت خلف حصونها المنيعة ردحا من الزمن تحت حكم بني الأحمر أي إلى غاية 1492م.

---

[1].هو أبو عبد الله محمد بن أبي يوسف ،عاصره المؤرخ عبد الواحد المراكشي،وكان يعرفه معرفة شخصية ،إذ أورد له وصفا مورفولوجيا وسيكولوجيا،انظر المراكشي عبد الواحد،نفس المصدر السابق، الدين الهوا ري ،المكتبة العصرية –صيدا بيروت،الطبعة ص226.

[2]. سالم السيد عبد العزيز ،تاريخ المغرب الكبير،دار النهضة العربية،بيروت،لبنان،ج،2 ص، 819.

[3]. الحميري عبد المؤمن،صفة جزيرة الأندلس ،من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ،ليفي بروفنسال القاهرة،1937،ص137.

[4]. وقعت المعركة في واد يسميه الاسبان"نافاس" قرب بلدة" تولوسا" ولهذا فهي تعرف عندهم بمعركة" لاس نافاس دي تولوسا" ووقعت أيضا قرب حصن أموي قديم يسمى العقاب (بضم العين)ولذلك تسمى في التاريخ العربي والإسلامي باسم معركة العقاب، أو معركة حصن العقاب،وللاطلاع على خصائص المنطقة الطبيعية والنباتية ،أنظر محمد بن أحمد الأندلسي (ابن جبير)، رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني،دار الكتاب المصري،لبنان،مصر ،ص172 .

[5]. العدوة بكسر العين أو فتحها المكان المرتفع ،قال الليث :العدوة صلابة من شاطئ الوادي ،ويقال عدوة ويقال في التنزيل :إذ انتم بالعدوة الدنيا ،وهم بالعدوة القصوى .وقال الفراء :العدوة شاطئ الوادي،الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة ،قال ابن السكيت :عدوة الوادي و عدوته جانب الوادي وحافته والجمع عدى بكسر أو ضم العين .ابن منظور،لسان العرب،دار صادر،ط3،بيروت2004 ج10،ص70و71

خرج إلى معركة العقاب وهو كارها،فوصل المر ببعض أفراده أنهم لم يسلوا سيفا ولم يشرعوا رمحا ().[1]

– فقدها لهيبتها خاصة بعد عملية الانفصال التي قام بها الحفصيون في تونس ،الأمر الذي زاد من أطماع بني عبد الوادي وبني مرين في الاستقلال عنها .

– حروبها ضد بني غانية الذين رفضوا الانضواء تحت رايتها([2])ما أنهكها في مالها ورجالها .

ويرى حاجيات عبد الحميد، أن أهم سبب في ذلك هو معركة العقاب،التي فككت أوصالها،وصدعت الصرح الذي شيده عبد المؤمن ومن خلفه من كبار أمراء هذه الدولة،وتأزم الوضع بين السادة والأشياخ الذين مثلوا القبائل المناصرة للدعوة الموحدية([3]).

وحسب رأينا أن أهم عامل ،هو قيام هذه الدولة على فكرة دينية ضيقة ،وعدم ارتقائها إلى مستوى سياسي عال، في ظل التكافل الأوروبي الصليبي الذي واكب ذلك ،وتحولها إلى ارستقراطية وراثية تغلب فيها المنفعة الخاصة، وتوضع فوق مصلحة الدولة.و هذا ما يخالف تماما الأسس التي جاء بها ابن تومرت، ورحب بها البربر وأفضت إلى تشييدها ،فكانت في أمس الحاجة إلى رئيس مثله قادر على أن يعيدها إلى قوتها السابقة ([4]).

---

[1].المراكشي عبد الواحد ،نفس المصدر ص235.

[2]. سالم السيد عبد العزيز ،نفس المرجع ، ص828.

[3].حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الثاني، حياته وآثاره،ش و ن ت،الجزائر،1983،ص11.

[4]. روجي لي تورنو ،نفس المرجع ،ص.102.

-المبحث الثاني: نشأة الدولة الزيانية:

أ- أصل الزيانيين : ينتمي بنو عبد الوادي([1]) مؤسسو الإمارة الزيانية إلى قبيلة زناته([2]) البربرية البترية([3])وهم من الطبقة الثانية([4])،وفرع من قبيلة ضريسة، الاسم الذي اختفى تدريجيا أمام اسم زناته.ويغلب على القبيلة طابع الترحال،([5]) ولهذا تصعب عملية تحديد مواطنهم، لكن ترددهم وترحالهم شمل وتركز بالخصوص بمنطقة المغرب الأوسط، أما عن أهم فروعها فبنو يفرن و مغراوة أوسع بطونها، و جراوة وهم من الرحالة الظواعن، وغالبا ما كانت تتحول هذه القبيلة البدوية أو نصف البدوية من طور البداوة إلى التحضر([6]) ،كما

---

[1].حسب يحي ابن خلدون ،فان أصل هذه التسمية يعود إلى جدهم الذي ينتهي نسبه إلى قيس عيلان والذي كان يعرف بعابد الوادي من كثرة ما عرف عنه من رهبانية."بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"،تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، ج1 ، المكتبة الوطنية الجزائر،1980،ص186.

[2]. ظهرت في شرح و توضيح أصولها العديد من التفاسير،منها ما هو أوروبي مثل الذي يرى بان اسم زناته مأخوذ من مدينة زانة الواقعة على بعد 80كلم جنوب شرق قسنطينة ولا تزال بعض آثارها باقية إلى يومنا هذا،وكانت تسمى لدى الرومان فيتيرانوروم أنظر

Gauvet ct « l. origine des zenata »bulletin aprovisoire de la société de géographie d – .Alger et de l Afrique du nord.2eme trimestre1942.p10.

ومنها ما هو عربي مثل ابن خلدون عبد الرحمن الذي يرى بأنها تعود إلى الكلمة البربرية جانا والذي يتحول إلى جناتن في حالة الجمع وحولت الجيم زايا (العبر ج2،ص2.ونجد معظم المؤرخين المحدثين يأخذون بالرأي الذي ينسبهم إلى جانا أو شانا الذي هو الجد أو الرئيس الأول لها .وهناك من المؤرخين من ينسبها إلى حمير أو التتابعة ، بينما ينكر ابن خلدون هذا النسب ويرد أصلهم إلى الشام وفلسطين العبرج7،ص3.

[3]. نسبة إلى مادغيس الأبتر،وهذا حسب الكثير من المؤرخين،لكننا نجد ابن خلدون أيضا يشكك في أصوله البربرية لأنه يرى بان البتر ليسوا من البربر، بل هم إخوة لهم يلتقون معهم إلى كنعان بن حام بن نوح عليه السلام "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.دار الكتاب اللبناني،بيروت،1960ج7،ص3.وهنا يظهر اختلاف آخر إذ نجد ياقوت الحموي في معجمه، ينسب كنعان إلى سام وليس حام.معجم البلدان، دار الفكر بيروت، ج4،ص312.

[4].ابن خلدون عبد الرحمن،نفس المصدر،ج6،ص159.

[5].ابن خلدون يحي،نفس المصدر، ص186و198.

4 .محمد بن عميرة ،دور زناتة في الحركة المذهبية،م وك،الجزائر 1980،ص23.

اشتهروا بالفروسية وقراءة الكف([1]).وهم يتصفون بكثير من صفات العرب، وهذا ما ندركه من خلال قول ابن خلدون "وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في سكنى الخيام،واتخاذ الإبل وركوب الخيل"([2])وخاصة البتر الذين يغلب عليهم طابع البداوة.

ب-نشأة الدولة الزيانية : استوطن بنو عبد الوادي ناحية تلمسان([3]) في العشر الثاني من المائة السادسة([4]) بعدما قضوا مدة من الزمان في الصحراء يعيشون عيشة الرحل([5])، ينتجعون المراعي الممتدة من سجلماسة إلى زاب إفريقيا ([6])،وقدتم ذلك على عهد الموحدين،إذ دخلوا في خدمتهم وحكموا بعض تلك المناطق باسمهم([7])، مكافأة لهم على منعهم سقوط هذه المدينة في أيدي بني غانية الموالين للمرابطين،فقد عقد لهم الخليفة أبو العلاء إدريس المأمون على ولاية تلمسان ليتولاها "جابر بن يوسف"([8])،فاخذ اسمهم وشانهم يعلو في وقت بدا نجم بني عبد المؤمن في الأفول، إذ عمل هذا الأخير على إخضاع بطون قبيلة بني عبد الوادي فقتل خلال محاصرته لمدينة ندرومة الواقعة إلى الشمال من مدينة تلمسان،التي أبت الانضواء تحت لوائه وذلك بعد ثلاث سنوات من امرته629هـ/1231-1232م.([9])

---

[1]. الإدريسي،وصف إفريقيا الشمالية ،مأخوذ عن كتاب" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،نشرة هنري بيرس طبعة الجزائر ، 1957ص61.

[2].ابن خلدون عبد الرحمن نفس المصدر،ص3.

[3].هناك مجموعة من الشروح بخصوص أصلها فحسب ابن خلدون في كتابه العبر" واسمها في لغة زناتة مركب من كلمتين تلم وسين ومعناها تجمع من اثنين ،يعنون إلى البر والبحر"العبرج7، ص156-157.وهناك من يرى بأنها تجمع التل والصحراء.كيحي ابن خلدون،البغية،ص85.كما يورد تفسيرا أخرا وهوانها اسم علم مركب من تل التي تعني لها وشان التي تعني شان أي لها شان.نفسه ص85. ونلاحظ أن كلا التعليلين السابقين يصبان في نفس الاتجاه إذ نجد تلمسان تتوسط الصحراء والتل معا.

[4].ابن خلدون يحي، نفس المصدر،ص104.

[5]. ا بن خلدون عبد الرحمن ،نفس المصدر ،ج7،ص159.

[6].ابن خلدون يحي،نفس المصدر،ص186.

[7]. بو عزيز يحي،نفس المرجع،ص125.أندري فرنيان ،اندري نوشي وايف لاكوست،الجزائر بين الماضي والحاضر،ترجمة رابح اسطنبولي ومنصف عاشور،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1984، ص113و114.

[8].ابن خلدون يحي،نفس المصدر،ص198.

[9]. التنسي،نفس المصدر ،ص113.

خلف الحسن بن حيون أباه لكنه سرعان ما تنازل عنها أي بعد ستة أشهر حسب صاحب البغية([1]) لعمه عثمان بن يوسف، لكبر سنه ،فاستبد بأمور المملكة ليعزل ويولى أبي عزة زجدان بن زيان([2])خلفا له وبإجماع من بني عبد الواد، واستطاع إخضاع كل البطون المتواجدة بتلمسان، باستثناء بني مطهر أبناء عمومتهم،والذين نكثوا عنه([3])، وهذا ما دفعه لمقاتلتهم مع حلفائهم من بني راشد، وبعد معارك عدة، قتل سنة633هـ/1235م ،فقدم بنو عبد الوادي أخاه يغمراسن بن زيان([4]).عن طريق البيعة،كملك مستقل عن الموحدين ((استبد بالأمر عليهم وتحلى بحلية الملك وجرى على مرتبته،ولم يبق عليهم غير الدعاء على المنابر))([5]).

بتعيين بني عبد الواد ليغمراسن،تكون قد نحتت لهم إمارة كبيرة، قامت في تاريخ المغرب بدور كبير،بعد أن انشأ لتلمسان القوة الاقتصادية بسياسته الذكية والماهرة.([6])((إذ كان من اشد الحي بأسا وأعظمهم في النفوس مهابة وجلالة واعرفهم بمصالح قبيلته،وأقواهم كاهلا على حمل الملك واضطلاعا بالتدابير والرياسة))([7]) وهذه حسب رأينا الخصال التي يتوجب توفرها في أمير يحكم قبيلا

---

[1]. ابن خلدون يحيى،نفس المصدر،ص200.

[2]. نجد هذه التسمية لدى التنسي في كتابه نظم الدر،ولدى يحيي بن خلدون في كتابه البغية، ج1، ص200.بينما يخالفهم عبد الرحمن بن خلدون في ذلك فيذكره ب :زكران بن زيان بن ثابت الملقب بابي عزة. العبر ج7،ص،153.

[3]. – التنسي ،نفس المصدر، ص113.

[4]. أصل التسمية امازيغي لكن هناك اختلاف في نطقها مصدره شكل الغين فمنهم من يستعملها بياء فغين مفتوحة فنون ساكنة بينما نجدها المؤرخين الغربيين بياء مفتوحة تليها غين ساكنة فميم مضمومة "يغمرا سن "،أما الأستاذ امازوزو مبارك، فيرى أن نطقها الصحيح بألف مكسورة في أول الكلمة عوضا عن الياء وضم العين وتسكين الميم "اغمراسن"ولمزيد من المعلومات يرجى العودة إلى كتاب نظم الدر ص115.

[5].القلقشندي أحمد بن عبد الله،مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج،ط2،مطبعة حكومة الكويت، 1985، ج2،ص101، 102.

[6]. مؤنس حسين ،تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي،المجلد الثاني ،الجزء الثالث،العصر الحديث للنشر والتوزيع، ص134-135.

[7]. ابن خلدون عبد الرحمن ،العبر، ج7،ص162.

بربريا تغلب عليه صفة الجموح والتحرر،والعداء المستمر مع القبائل المجاورة والرافضة للخضوع والاعتراف بسلطتهم.

جـ/ حدود الدولة الزيانية:

إن أصعب شيء يواجه الدارس للتاريخ الإسلامي بشكل عام، والمغرب الإسلامي بشكل خاص، هو مشكل الحدود،فلم تكن معظم الدول التي قامت على أرضه لتثبت على حدود قارة ورسمية، بل تتخذ شكل شريط يختلف اتساعه بحيث لا نستطيع الجزم بتبعيته لإحدى الدولتين اللتين يفصل بينهما([1])،فبعد وفاة يغمراسن سنة إحدى وثمانين وستمائة وخلافة ابنه عثمان له[2] فكانت دوما في حالة مد وجزر،فكانت تسيل لعاب جيرانها الأقوياء من الشرق ومن الغرب ولهذا كان الزيانيون ومنذ البداية في وضع معرض للخطر([3]) .ومن هنا يتوجب عليه وضع كرونولوجيا دقيقة لأهم الأحداث والتطورات التي واكبتها من نشأتها وحتى نهايتها فيما يخص هذا الجانب،ولعل السبب في هذا راجع إلى تشابه الوسط الطبيعي والتقارب في البيئات الجغرافية (تل ،صحراء، هضاب)والطقس، فكل دولة منها تكاد تشكل مغربا مستقلا يضم معظم هذه الصفات،ويرى عبد الحليم عويس انه لا علاقة بين التقسيم السياسي والاختلاف الطبيعي، وما يؤكد ذلك هو انتشار قبيلة واحدة ببطونها المختلفة بين بلدان المغرب كله كزناته و صنهاجة، اللتان امتدتا في المغرب الأقصى والأوسط والأدنى،وقيام دولة ذات وحدة سياسية حقيقية كالدولة الفاطمية ودولة المرابطين والموحدين.([4])

مثلت دولة بني زيان ببقائها واستمرارها معجزة تاريخية، نظرا لما واجهته من أخطار وعلى مستويات عدة،فكان موقعها الجغرافي والسياسي حساسا،بوقوعها بين دولتين كلاهما تدعي لنفسها شرعية وأحقية خلافة الدولة المؤمنية،وخاصة الدولة الحفصية الوريث العضوي للموحدين،لأنهم ينحدرون من أبي حفص الهنتاتي احد العشرة المقربين من ابن تومرت والذي توارث

1.بروفنسال ليفي،الإسلام في المغرب والأندلس،ترجمة الدكتور السيد محمود عبد العزيز ومحمد صلاح الدين حلمي،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ص173.

2.انظر القلقشندي،المصدر السابق،ج2،ص131.ابن خلدون عبد الرحمن،العبر،ج7،ص79.

3. جون ب وولف،الجزائر تحت الأتراك،ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله ،م و ك ،1986،ص23.

4.أنظر عويس عبد الحليم ،دولة بني حماد، ط2،دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة ،1991،ص77ومايليها.

أبناءه حكم افريقية في خدمة أبناء عبد المؤمن،ليستخلصوه لأنفسهم فيما بعد([1]) .وكأني بها وقعت بين فكي كماشة،أو بين شفتي الرحى كما يحلو للكثير وصفها.

كما ظهرت إلى جانب كل هذا،كيانات سياسية صغيرة مثلت مؤشرا حقيقيا لميلان ميزان القوى كإمارة بني مزني بإقليم الزاب،([2]) فكانت تميل أحيانا لبني حفص فتغدو بذلك امتدادا لبجاية،وتارة تداري الزيانيين المرينيين، و تارات أخرى تكون مستقلة عن الكل.([3])

فكما أوضحنا سابقا، فقد ارتبط مصطلح المغرب الأوسط بالدولة الزيانية لكننا إذا تتبعناها تاريخها فلا نجدها قد أخضعته كلية، إلا في فترة وجيزة من الزمن،وذلك في عهد أبي حمو الأول الذي استطاعت قواته الوصول إلى إقليم الزاب (710هـ1309م) ودفع نفوذ الحفصيين إلى الوراء، ثم يواصل زحفه فيستولى على مدينة دلس([4]) والجزائر ([5])و متيجة حتى وصل إلى ازفون الحالية،وافتك بجاية و قسنطينة من الحفصيين سنة729هـ/1328م،([6])وتكون بذلك قد بلغت أوج امتدادها .

لم تلبث هذه الإمارة أن وقعت في أيدي بني مرين، الذين استولوا عليها مدينة بعد أخرى،ويدخلوا تلمسان سنة 737هـ/1337م على عهد السلطان أبي تاشفين،واحتفظوا بها قرابة

1.عشيراتي سليمان ،الشخصية الجزائرية،الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2002 ص149.

2. يمتد هذا الإقليم من تخوم المسيلة غربا حتى بلاد الجريد بتونس شرقا،ومن جبال بجاية شمالا حتى تقرت و ورقلة جنوبا،أهم مناطقه ومدنه بسكرة و طولقة المشهورتان بتمرهما.الحسن الوزان ،وصف إفريقيا 119،و ما بلبها،أنظر أيضا، الإدريسي،نفس المصدر،ص119.

3. سليمان عشراتي ،المرجع نفسه، ص149.

4.أو تدلس وتبعد بحوالي 50 ميلا عن شاطئ البحر المتوسط ،اشتهر أهلها بالصباغة والعزف على العود،كما اشتهرت بغزارة إنتاجها للقمح .

5.جزائر بني مزغنة أو مزغنا أو مزغنان أو مزغناي هي منطقة الجزائر ،عاصمة الجمهورية الجزائرية الحالية،وفي كل هذه الأسماء فتح الميم،ومز غنى اسم لقبيلة بربرية سكنت هذه المنطقة في القرن الثاني الهجري والثامن الميلادي،وهي بطن من بطون صنهاجة .من كتاب نور الدين عبد القادر،صفحات في تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر التركي،ص31،طبعة قسنطينة 1965.أما عن أصل التسمية فنجد يحي بو عزيز يرجح الرواية التي ترجعها إلى صخور كبيرة متقاربة تشبه الجزر في شكلها ووضعها الطبيعي ومنها الصخرة التي بنا عليها الاسبان قلعتهم المشهورة سنة1510م.الموجز في تاريخ الجزائر،ص13. أما صاحب وصف إفريقيا ، فيرى بان سبب التسمية هو مجاورة هذه المدينة لجزر البليار،لكنه يتفق مع الآخرين في أن قبيلة تدعى مزغنة هي التي بنتها.الجزء الثاني، ص37.

6. بو عزيز يحي،نفس المرجع، ص127.

عقد من الزمن، حتى دبت فيها الحياة من جديد، إذ استغل بنو زيان تواجد الأمير المغربي أبي الحسن بالقيروان عام 749هـ /1348م ليخضعوا ندرومة و مازونة[1] ومليانة[2] والمدية[3] وتنس[4] وبرشك[5]. ودلس وشرشال[6] والجزائر،التي سيطروا عليها وقتلوا الأمير أبو سعيد وأبو ثابت ،ليعيد أبو حمو موسى الثاني بعثها باسم إمارة بني زيان سنة 760هـ/1358م مستعينا ببني حفص .

د/ نظام حكمها : مثلت الدولة الزيانية ،مملكة يتوارث الحكم فيها أسرة بني عبد الوادي بشكل مطلق واستبدادي[7]،إلا في بعض الحالات التي سببتها الاضطرابات التي تعرضت فيها تلمسان لإطماع وهجمات المرينيين الحفصيين[8].

يعتبر يغمراسن بن زيان عاهل السلالة العبدوادية الزيانية وباعثها إلى حيز الوجود،إذ حاول بعد استقلاله بتلمسان، أن يجعل منها مملكة عصرية ، تحظى بنوع من النظام الذي يضمن

---

[1].مدينة صغيرة على بعد نحو 60 كلم غربي مدينة الشلف الحالية،تم اختطاطها سنة 565هـ على يد بني منديل ابن عبد الرحمن المغراوي احد زعماء قبيلة مغراوة وكانت على عهد الإدريسي مدينة آهلة وعامرة بالأسواق والبساتين،وتجري بها العديد من الأنهار.الإدريسي الشريف،المغرب العربي،ص128و129 ،أنظر أيضا،معجم البلدان ،اذ اورد لها أبو عبيد البكري وصفا تاريخيا وبشريا واقتصاديا، ج2،ص49.

[2].مدينة كبيرة جدا حسب وصف الحسن الوزان لها بناها الرومان،تقع على بعد نحو أربعين ميلا من البحر أي عن مدينة شرشال،اشتهرت بإنتاجها للجوز لدرجة انه كان لا يشترى ولا يقتطف،أطلق عليها الرومان اسم ماكنانة وحوله العرب إلى اسمها الحالي.الوزان ،ص34و35.أنظر أيضا ، ياقوت الحموي،المعجم،ج2ص48.الإدريسي،نزهة المشتاق في اختراق الأفاق،ج1،ص253، 257.

[3]. مدينة تقع على بعد 80 كلم جنوب الجزائر العاصمة وهي أهم مدن ولاية التيطري أما " لمدية"بدون ألف فهي حسب ابن خلدون قبيل من بطون صنهاجة ،سميت البلد باسمهم ، العبر، ج 6ص356.انظر أيضا الحموي،المعجم، ج5،ص53.

[4].مدينة قديمة قربة من البحر اشتهر سكانها قديما بفضاضتهم وغلظتهم وكانت في تاريخها كله خاضعة لملك تلمسان وهي في الأصل مستودع تجاري قرطا جني قديم أقام الرومان مكانه مدينة كارطيناس –كارط تنس–ومنها جاءت تسميتها الحالية.

[5]. اسم لمدينة كانت معروفة في القرون الوسطى، وكانت تقع على شاطئ البحر، بين شرشال وتنس، ولم يبق لها اليوم أي اثر ، ولد بها الفقيهان أبو يزيد عبد الرحمان وأبو موسى عيسى ابني الإمام ، كما مر بها ليون الإفريقي خلال رحلته بالمغرب.

[6].مدينة فينيقية ساحلية كانت تعرف قديما ب:"ايول"عمرها الرومان واستقر بها الملك يوبا الثاني ،ثم خربها الو ندال واعتبرت ملاذا لأهل الأندلس النازحين من غرناطة.الوزان ،نفس المصدر ،ص34.الادريسي،النزهة، ج1،ص258.

[7]. الميلي مبارك،تاريخ الجزائر في القديم والحديث،الجزء الثاني،المؤسسة الوطنية للكتاب،إنتاج دار الغرب الإسلامي. ص448.

[8]. –نفسه،ص161.

استمراريتها([1]).كباقي الإمارات والممالك فان للسلطان ولي عهد يخلفه عند مماته،وغالبا ما يكـــون اكبر الأبناء مع وجود بعض الاستثناءات التي أوكلت فيها ولاية العهد إلى الأخ،مثلما حـــدث مـــع عثمان بن يغمراسن الذي تولى السلطة بوفاة أخيه الأكبر يحي لكن في حياة أبيه.ولقـــد تم اختيـــار مدينة تلمسان عاصمة لملكهم نظرا لجاهزيتها بما تحتويه من مآثر عمرانية وكذا بسب موقعها الممتاز وهذا ما ندركه من خلال قول ابن خلدون "ولم يزل عمران تلمسان يتزايـــد ،وخطتـــها تتـــسع، والصروح بها بالآجر والقرميد تعالى وتشاد إلى أن نزلها أل زيان واتخذوها دارا لملكهم"([2]).

وخضعت الدولة الزيانية للترتيب الحكومي التالي،

*الـــــــــوزير:يمثل مستشاره الأول، والمدبر لشؤون ملكه ،وكان يقوم مقامه في أيام الحرب، وبعبارة أخرى كان الواسطة بين الملك والعامة ،ومعينه بالرأي،ولهذا نجد ابن خلدون يرجع أصل التسمية إلى المؤازرة التي تعني المعاونة، أو من الوزر الذي يعني الحمل الثقيل ([3])،كان يعرف بالمزوار،وكانت له نفس المكانة في الدولة الحفصية، فاختص صاحبها بشؤون السيف والقلم،وكان نائبا للملك في حكم المملكة وله السلطة المطلقة على الجنود والحرس الملكي إلى غاية مجيء السلطان أبي العباس الذي أزالها من نظام الدولة ([4])على غرار ما حدث مع أبي حمو موسى الثاني، الذي أصبح الوزير في عهده بمثابة قائد للجيش فقط،ومن هنا ندرك بان الوزير كان يحظى بثقة عمياء لدى الملك الذي كان يطلعه على كل خفاياه وخفايا مملكته،ويشركه في أفراحه وأقراحه، وغالبا ما كان الملك يشرك أكثر من وزير في هذه المهمة كابي حمو موسى الثاني الذي تواجد لديه كل من عمران بن موسى بن فارس وموسى بن علي ابن برغوث ([5]) و كان أبو حمو موسى الأول قبله قد أشرك ثلاثة وزراء دفعة واحدة([6]) .

---

[1]. انظر ابن خلدون عبد الرحمن ، العبر،جـــ7 ،ص161 .

[2]. نفسه،ص78.

[3].ابن خلدون عبد الرحمن ،المقدمة ،ص.185.

[4].الوزان ،نفس المصدر ،ص78، 79.

[5].ابن خلدون يحيى ،البغية ج2،ص ص184 .185

[6].انظر ابن خلدون عبد الرحمن ، العبر،جـــ7 ، ص330-218.

من أمثلة أولئك الوزراء،نجد غانم بن محمد الراشدي من قبيلة بني راشد و رحو بن محمد بن علي الخراساني لدى عثمان بن يغمراسن،وهلال القطلاني في عهد أبي تاشفين عبد الرحمن،ويحيى بن داوود بن علي بن مكن في عهد أبي سعيد الثاني.

*الكـــــــــــاتب : ظهرت الكتابة في عهد الرسول (ص) لكنها لم تكن وظيفة رسمية،بالشكل التي ظهرت عليه ببلاد المغرب الإسلامي ،إذ انتفت صفة الاستمرارية والاستقرار وهذا ما ندركه من خلال عدد الصحابة الذين استكتبهم والمقدرين بحوالي ثلاثين،أما في عهد عمر بن الخطاب فقد أدمجت ضمن ديوان الإنشاء([1])،والكاتب هو المسئول عن ديوان الرسائل،يحرر مراسلات السلطان ومعاهداته،ويقرأ ما يرد إلى البلاط من رسائل، ويقوم بعملية التوقيع ،وكانت تشترط فيه بعض الصفات كالنزاهة والأمانة وفصاحة اللسان،بليغا في لغته مدركا للأدب وإحكامه ذو خط حسن ومقروء ،جميل الهيأة والمظهر([2]) أمينا لأسرار الملك، ومن بين من تقلدوا هذه المهمة: أبو بكر محمد بن عبد الله بن داوود بن خطاب،من أهل مرسية والذي كان بارعا في الخط والأدب،استكتبه يغمراسن بن زيان الذي جعله صاحب القلم الأعلى، ومن جملة كتاب إنشائه،وأبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس، الفقيه الشاعر أبو زكرياء يحي بن خلدون صاحب البغية([3])الذي استكتبه أبو حمو موسى الثاني و ولاه خطة الإنشاء والتوقيع .

*أميـــــــــن المـــــال : أو صاحب الأشغال أو الأعمال، وقد ورثتها الدويلات المغاربية الثلاث إضافة إلى دولة بني نصر بالأندلس عن الدولة الموحدية،وقد تراجعت مكانته طرديا مع تعاظم مكانة الحاجب،إذ احتل المرتبة الثالثة بعد الكاتب والوزير،وهو الذي يقوم بحراسة خزينة الملوك،ويجمع أموال المغارم والفيء([4]) ويدفع الرواتب وغيرها من مصاريف القصر،أي انه كان يقوم

---

[1]. أبو العباس احمد بن علي(القلقشندى)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،القاهرة ج1،ص ص91. 92.

[2]. موسى أبو حمو،واسطة السلوك في سياسة الملوك،مطبعة الدولة التونسية،تونس،1279هـ/1862م،صص109، 110.

[3] .بوطالب محيي الدين، عن كتاب نظم الدر والعقيان .الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر، 1992.ص21..وهو شقيق المؤرخ الشهير صاحب كتاب المقدمة والعبر العلامة عبد الرحمن بن خلدون.

[4]– الفيء:و هو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد ،واصل الفيء :الرجوع كأنه كان في الأصل لهم ،فرجع إليهم عفوا بلا قتال ،وقواه تعالى في قتال أهل البغي :حتى تفيء إلى أمر الله ،أي ترجع إلى الطاعة . لمزيد من الإطلاع الرجاء العودة إلى لسان العرب لابن منظور ص247و248.

بدور المقتصد في وقتنا الحالي،فكان يقدم تقريرا وافيا ومفصلا عن جميع المداخيل والمصاريف، لينتظر أوامر السلطان في ميزانية الأيام المقبلة([1]).

وكان لصاحب الأشغال عمال ينوبون عنه في الجهات([2])، يعينهم الملك ، وقد كان هو الآخر يخضع لعدة مقاييس حددها أبو حمو موسى الثاني في وصيته لولي عهده ((يا بني وأما صاحب أشغالك وضابط أعمالك ،فلتتخيره من وجوه بلدك الأخيار،وكفاة الحساب والنظار،ويكون ذا ثقة وأمانة ،وعفة وصيانة ،وصلاح وديانة ،وحزم وكفاية ،وضبط ودراية، عدلا في أحواله ،صادقا في أقواله عارفا بأنواع الخوارج والجبايات([3])ضابطا للزمام والحسابات،ويكون ذا مال ويسار،وأثاث وعقار،فان كان على ما وصفناه من أفعاله كان محافظا على بيته وديانته وماله،ويكون محبا في سلطانك،آخذا بالنصح في جميع شانك،لان مالك ومحابيك تحت نظره،وعلى يده التصرف فيها في ورده وصدره ...))([4])

إذن فمن تلك الصفات، الوجاهة داخل المجتمع،والمعرفة بأمور الحساب،الأمانة والنزاهة، والصلاح الديني والاقتصاد في أموره الذاتية حتى يكون كذلك في أموال الدولة،وان يكون ذا مال لئلا تمتد يده إلى أموال الخزينة، وان يكون راعيا لأهله وبيته حتى يكون حاله مع الدولة كمثل حاله مع بيته ،وان لا يكون قد أبدى معارضة أو تذمرا من حكم السلطان حتى لا يكون ذلك دافعا في نفسه للانتقام بالعبث بمقدرات وأموال الدولة.

كما إن هذه الوظيفة كانت من الأهمية بمكان في إنعاش اقتصاديات المملكة من خلال تنشيطها للجباية وحفظ حقوق الدولة المادية، وحتى المعنوية على حد رأي العلامة ابن خلدون ([5]).

ومن بين من تولوا هذه الوظيفة في الدولة الزيانية نذكر :

عبد الرحمن بن محمد الملاح في عهد يغمراسن بن زيان ،وأبو المكارم منديل بن محمد بن المعلم وأبي عبد الله محمد بن سعود في عهد أبي سعيد عثمان بن يغمراسن ،وأبو المكارم منديل بن محمد بن المعلم

---

[1].موسى أبو حمو،نفس المصدر ،ص ص82،83.

[2].نفسه،ص61.

[3].المقصود بالخوارج نفقات الدولة ومصاريفها وبالجبايات مداخليها .

[4].موسى أبو حمو ، نفس المصدر، ص 61.

[5]. ابن خلدون عبد الرحمن،المقدمة،ص190.

في عهد السلطان أبي زيان ،وأبو عبد الله محمد بن سعود على عهد أبي حمو موسى الأول([1])واهم من اشتهر بهذه المهمة: بنو الملاح،الذين وفدوا من الأندلس وكانت أهم شيمهم الأمانة، حتى أن مهمة سك النقود أسندت لهم .

*الحـــــــــــــاجب:يتولى حماية القصر،ويعرف أيضا بقائد الباب([2])،أو صاحبه،فهو الذي يأذن بالدخول لدى الملك بأمر منه، وظهرت الحجابة أولا في الدولة الأموية بالمشرق ثم ورثها عنهم العباسيون([3])ويعود أصل التسمية إلى المهمة التي كانت توكل للحاجب وهي حجب الخليفة عن الرعية،بمنعهم من الدخول إليه بشكل فوضوي، وقد ازدادت أهميتها بمرور الزمن حتى أصبحت تمثل أعظم المراتب بالدولة واسماها فنجد الحاجب في الأندلس صلة وصل بين الوزراء والخليفة([4]).

لقد روعيت بعض المقاييس في اختيار الحاجب بالدولة الزيانية منها المكانة العلمية والفقهية إذ كان يمثل في بعض الحالات مستشارا له وهذا ما نلمسه من قول يحي ابن خلدون حينما يتحدث عن حاجب يغمراسن الفقيه عبدون بن محمد الحباك "وحاجبه الأقرب و مساورة الأنصح ....من فقهاء الحضرة"([5]) و لاشك إن المكانة العلمية تطلب عند الأمور المعقدة أو الطارئة.

ومن بين من تولوا الحجابة في الدولة الزيانية،إلى جانب الشخصية السابقة الذكر نجد.

أبو عبد الله محمد بن عامر الولهاصي([6]) والفقيه أبو عبد الله محمد بن سعود حاجب السلطان أبي زيان محمد وكذا في عهد أبي تاشفين الأول وكان موسوعة في الأمور الفقهية والمالية والإدارية.إضافة إلى محمد بن ميمون بن الملاح وكان حاجبا في عهد أبي حمو موسى الأول، وهو من أسرة ذات مال قدمت من قرطبة واستقرت بمدينة تلمسان.وقد نالت استحسان السلاطين العبد واديين الذين استوزروا الكثير منهم.وكذا هلال القطلاني الذي كان حاجبا ووزيرا لأبي تاشفين الأول .

---

[1]. للاطلاع على مزيد من المعلومات حول باقي الشخصيات التي تولت هذه الوظيفة، يرجى العودة إلى كتاب نظم الحكم في دولة بني عبد الوادي الزيانية، للدراجي بوزياني ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ص ص167، 168.

[2].الوزان الحسن ،نفس المصدر،ص22

[3].ابن خلدون عبد الرحمن،المقدمة ص188.

[4].نفسه،ص188 .

[5].ابن خلدون يحي ، البغية،ج1،ص111.

[6].نسبة إلى منطقة ولهاصة الحالية شمال غرب مدينة تلمسان،والتي أخذت اسمها من قبيلة ولهاصة التي كانت تقطن بتلك المنطقة.ولها جبل مرتفع يجاور مدينة هنين،انظر الوزان ، نفس المصدر،ص44

*الجيـــــــــــــــش:في ظل الظروف التي ظهرت فيها الإمارة الزيانية وعايشتها،من توتر واضطراب سياسي،كان لزاما عليها أن تبني جيشا يضطلع بمهمة الدفاع عن المملكة من هجمات المغيرين عليها من الأعراب والبربر المجاورين لها،وكذا لتأديب القبائل التي ترفض الانضواء تحت سلطتها أو الخروج عنها.وهذا ما نستشفه من وصية السلطان يغمراسن لولي عهده عثمان حين يقول ((يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية ،وعلى حضرة الخلافة بمراكش ،لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا لوفود مددهم،ولا يمكنني أنا القعود عن لقائهم لمعرة النكوص عن القرن التي أنت بعيد عنها ،فإياك واعتماد لقائهم،وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا إليك .وحاول ما استطعت في الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم يستفحل به ملكك وتكافئ حشد العدو بحشدك ،ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك.))([1]) فعلى سبيل المثال لا الحصر بلغ عدد الحروب التي قام بها يغمراسن بن زيان ضد العرب اثنين وسبعين، ناهيك عن حروبه مع توجين و مغراوة([2]).و يتضح لنا أيضا من خلال الوصية السابقة إن هذا الجيش كان دفاعيا محضا لا هجوميا، إذ نجده يوصيه بتجنب مواجهتهم وتحاشيها،وهذا ما يدل من جهة أخرى على ضعف هذا الجيش مقارنة بالجيش المريني،والذي يتأكد من وصيته له بإبعاد مخازن الذخيرة إلى الحدود أو الثغور الشرقية،مما يدل على قناعة مسبقة لديه بعدم القدرة على مقارعة جيش هذا العدو،كما تتضح الخطة الحربية الزيانية المبنية على تقوية الدفاعات انطلاقا من الأطراف نحو المركز أي العاصمة تلمسان، التي أحيطت بالأسوار والتي كانت تمثل آخر ملاذ للزيانين إذا ما دوهموا من قبل العدو،وهذا ما حدث في حصار تلمسان الشهير الذي دام ثماني سنين وثلاثة أشهر وكان على عهد السلطان أبي سعيد عثمان ([3])،فرغم الحالة البائسة التي وصل إليها السكان والجيش من جراء نقص الغذاء والمؤنّ إلا أن القوات المرينية لم تستطع اختراق تلك الأسوار إلى أن انفض الحصار بوفاة السلطان المر يني .

---

[1]. ابن خلدون عبد الرحمن، العبر،ج7،ص190،189.

[2]بطنان من بطون صنهاجة التي ظهرت منها الدولة الزيرية والحما دية،وبالنسبة لتوجين فهي لدى يحي بن خلدون بدون واو و بها عند أخيه عبد الرحمن .

[3].التنسي،نفس المصدر ،133.

وحاول سلاطين الدولة الزيانية بناء قوتهم على حساب الأعراب، الذين لم يكن لهم جيش نظامي، فبإخضاعهم يتقوى جيشه بعناصر جديدة وإضافية، يمكنها في المستقبل مقارعة العدو والغرم التقليدي المتمثل في المرينيين، وهذا ما حدث في عهد السلطان عثمان الذي عمل على استرضاء ومهادنة السلطان المر يني([1]) من جهة واكتساح بني توجين و مغراوة من جهة أخرى حتى استسلموا لسلطانه ([2]) ولم ترد أي إشارة إلى الجانب الاقتصادي كما رأى الدراجي([3])وسار على نهجه كل من أبي حمو الأول وأبي زيان، وكان السبب في ذلك هو النقص الذي كانت تشهده الإمارة العبدوادية من حيث عدد السكان وعدد الجيش أيضا، إذ يقدر ابن خلدون عدده في بداية عهد الدولة بألف من الجند فقط،([4]) بينما بلغ عدد الجيش في حصن تمزديكت([5]) القريب من بجاية([6])في عهد أبي تاشفين الأول ثلاثة آلاف ([7])،وقدر أخوه يحي عدد الجنود المكافئين فقط من طرف أبي حمو الثاني سنة 760هـ/1358م بتسعة آلاف([8])،وفي مرة أخرى بعشرة آلاف فارس([9])، بينما تناقص في فترة الحصار المريني إلى الألفين،في حين لم يبق من السكان المدنيين سوى الألفين([10])، وهذا ما يدل من جهة أخرى إلى الأهمية التي كانت تولى للجيش مقارنة بعامة الناس،كما اشتهر الجيش بإقدامه وشجاعته الفائقة،وهذا ما نستنتجه من التنسي حينما يذكر بأنه ورغم حالة الحصار والنكوص

---

[1]. ابن خلدون عبد الرحمن،نفس المصدر السابق،ج7، ص190.

[2].نفسه،ج7 ص192،190 .

[3].الدراجي بوزياني،نفس المرجع ،ص 253.

[4].ابن خلدون يحي،نفس المصدر،ج2، ص298،299.

[5].تختلف هذه التسمية من مؤرخ لأخر، إذ نجدها لدى يحي بن خلدون" تامزجزجت" نفس المصدر، صص206، 217. ،و"تمزريدت" لدى ألمزاري مؤلف طلوع سعد السعود وتقع مكانه اليوم مدينة أقبو على الضفة الغربية لوادي الصومام،ص167.

[6].هناك حصن آخر يعرف بهذا الاسم، يوجد بجنوب مدينة وجدة، وهو الأصل في التسمية،وللإشارة فقط فقد كانت هناك العديد من الحصون التي أنشاها الزيانيون إلى جانب حصن تلمسان وتمززدكت نذكر منها: اصفون بالقرب من بجاية،وهدم من قبل الحفصيين، وحصن بكر الذي أسس في عهد أبي تاشفين عبد الرحمن الأول وبأمر منه، وهو يقع على مشارف بجاية أيضا، وحصن الياقوتة ويقابل مدينة بجاية وحصن تجحمومت بالقرب من وادي شلف.

[7]. ابن خلدون عبد الرحمن،العبر، ج7،ص223.

[8].ابن خلدون يحي ،نفس المصدر، ص 39 .

[9].نفسه،ص202.

[10].التنسي ،نفس المصدر، ص132.

الاقتصادي التي كانت تشهدها الإمارة، إلا إن فلول ما تبقى من الجيش الزياني كانت تخرج لمقاتلة المرينيين المحاصرين للمدينة،و الذين كانوا يفرون ركوبا أمامهم([1]).

كان اختيار الجند النظامي يتم بعناية ودقة على ما يبدو، إذ كان يشترط في الجندي القوة والخفة والنباهة، وهذا ما ندركه من خلال قول الحسن الوزان"أما جنود الملك فكلهم ممتازون"،([2])لكن هذا لم يغن عن الملك اللجوء إلى جمع الأعراب والفلاحين من مختلف القبائل كجنود مؤقتين مأجورين بما يقضونه من زمن في العمليات العسكرية،([3])هذه الظاهرة التي كان معمولا بها حتى لدى جارتيها وخاصة الحفصية،إذ نجد أبا زكرياء يحي الحفصي([4]) (627-647هـ/1229-1249م)يجهز جيشا من عرب إفريقيا وغيرهم لمهاجمة تلمسان،([5])والتي استسلمت له سنة 645هـ.([6])وهذا ما يراد ف تسمية المرتزقة حاليا.

كان الجيش مقسما إلى أربعة أقسام:القسم الأول وهم الخاصة من وجوه القبائل، ومنهم يختار قواد باقي الأقسام،وكانوا خاضعين له خضوعا أعمى إذ يوفونه بكل التفاصيل عن أفراد قبائلهم ،فكانوا بمثابة العيون أو الجواسيس للملك.

أما الثاني فهو القبيل، وهم من أقرباء الملك من بني عبد الوادي،الذين يبدون له الولاء التام،ويحضون بمكانة خاصة لديه لأنهم يمثلون الحارس الأكبر للسلطان وعرشه.

---

[1].نفسه،ص132.

[2]. الوزان، نفس المصدر،ص21.

[3].نفسه،ص23.

[4].تولى الحكم وهو ابن السادسة والعشرين،وهو احد أحفاد أبي حفص عمر زعيم قبيلة هنتاتة من بربر الأطلس لأعلى بالمغرب الأقصى ابن أبي دينار،المؤنس في أخبار افريقية وتونس،الطبعة الثالثة،دار المسيرة،1993،ص155.
وكان صاحبا مخلصا وتلميذا أمينا للمهدي محمد ابن تومرت.بل الفرد،الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،الطبعة الثالثة 1987 ،ص297.

[5].التنسي، نفس المصدر، ص117.

[6].هناك اختلاف وتباين بين المؤرخين حول سنة الاستيلاء على مدينة تلمسان فابن خلدون يرى بان عملية الانطلاق كانت في سنة639هـ1241م.العبرج7ص165.بينما يرى أخوه يحي بأنها انطلقت سنة640هـ/1241م.البغية،ج1، ص113، ويرى التنسي بأنه كان سنة645هـ /1247-1248م.

أما الثالث فهو قسم الأنصار، وهم من صفوة الجند إذ يشكلون الحرس الخاص بالملك أثناء الحرب، ويلازمونه في حله وتر حاله ،في ليله ونهاره ،وهم على أهبة الاستعداد للقضاء على أي تمـــرد ضـــد السلطان.

والقسم الرابع هم المماليك،ويشكلون مزيجا من الأعلاج([1]) والســـــودان و الأغزاز والوصفان.

استخدم يغمراسن جند النصارى([2])ورفع قدرهم وقربهم منه،حتى خططوا لقتله عند باب القرمادين وهو يتابع استعراضات جنده،ونجا لكن أخاه توفي ،ومن ثمة استبعدهم من الجيش([3]) .

كان للملك أيام في السنة يستعرض فيها الجند، ويرقي من يستحق ذلك،([4])ويتفقد العدة الحربية،بسهل المنية([5])..

أما أجور الجند فمختلفة حسب الرتبة والدور الذي يقوم به كل واحد منهم،لكنها كانت مرتفعة عموما وهذا ما ندركه من قول الوزان حينما يورد لنا بعض نماذج هذه الرواتب فيقول "يتقاضون أجرة ملائمة للغاية ،إلى حد أن اقلهم رتبة ينال شهريا ثلاثة مثاقيل بسكتهم، تعادل ثلاث دوكات ونصف دوكة ايطالية"([6])ومن الأدوات والأسلحة التي استعملها الجيش، النشاب والنبل([7])والسيوف([8]) و الدرق و المنجنيق ([9]).وكان الحصان أو الفرس أداة هامة للتحرك في وسط المعركة لما يتميز به من سرعة ،وذلك بعد أن يجهز بسرجه ولجامه([10])،ولهذا فقد حظي بأهمية بالغة في

---

[1]. العلج كلمة تدل على الأعجمي الكافر، غير أنها كانت تعني بالمغرب العربي في العهد الإسلامي الأول ثم في العهد العثماني، الإفرنجي الذي اعتنق الإسلام. التنسي،نفس المصدر،هامش 132ص136.وقد تعني الكافر او الرجل القوي =الضخم من كفار العجم،وقيل كل صلب شديد:علج وجمعه علوج. المراكشي عبد الواحد،المعجب،ص16.هامش رقم 4.

[2]. ابن خلدون يحي،نفس المصدر،ص206، ابن خلدون عبد الرحمن،العبر،ج7،ص84-85.

[3].نفسه،ص206.

[4].الميلي مبارك،المرجع نفسه،ص450.

[5].ابن خلدون يحي،نفس المصدر،ص206.

[6].الوزان، نفس المصدر،ص21.

[7].ابن خلدون عبد الرحمن ،العبر،ج7،ص166.

[8]. ابن خلدون يحي،نفس المصدر،ص206.

[9].نفسه،ص210.

[10]. ،نفسه ،ص139.

المجتمع الزياني، إذ كان لكل فارس أجرتان؛ الأولى له والثانية لفرسه،حسب ما نستقيه من قول الوزان"وهذه الأجرة للرجل وللفرس،كان كل جندي إفريقي مفروض أن يكون فارسا محاربا"([1]).

كان للجنود لباس خاص بهم لكنه كان من أسوء أنواع الألبسة ،"إذ كانوا يضعون على ظهورهم قميصا واسعا عريض الكمين يغطونه بكساء كبير جدا من قماش القطن يلتفون فيه شتاء وصيفا .....ويضع العسكريون الأرقى درجة فوق القميص كساء آخر من الجوخ وفوقه معطف على نمط المعاطف التي كانت تستعمل قديما في ايطاليا للأسفار يغطون به رأسهم عند نزول المطر"([2]) وحسب رأينا الخاص أن رداءة هذا اللباس كانت من حيث المظهر الجمالي لا من حيث النوعية .

أما من حيث الأسلوب الحربي الذي اتبعته الدولة العبدوادية فان الجيش يجتمع في سهل المنية بأمر من السلطان الذي يمثل القيادة العليا له، ثم من قائد الجيش الميداني([3]) ،فإذا ما اكتملت العملية تحت مراقبة السلطان،تعطى له الأوامر للاتجاه نحو ارض المعركة ،ويرى الدراجي بإمكانية وجود طليعة تتقدم مسيره تستكشف وتؤمن الطريق له،([4])وكان السلطان متواجدا ضمن الجيش محاطا بحاشيته وحرسه في حين اتبعت الجيوش حسب ابن خلدون أسلوب الكر والفر الذي اختص به العرب والبربر([5]).

ومن هنا ندرك بان الجيش مثل في هذه الدولة قوة الصدام مع القبائل الشرقية وقوة دفاع مع القوة المرينية التي ظلت شوكة في جنب الدولة الزيانية،وأولي مكانة هامة ضمن الترتيب المجتمعي لها،بسبب أهميته من جهة، ولحساسية موقع الدولة العبدوادية من جهة أخرى.

---

[1].الوزان،نفس المصدر ،ص21.

[2]. الوزان، المصدر نفسه،ص21. و الصحيح لغة أن نقول رؤوسهم لا رأسهم لان الجنود لا يشتركون في رأس واحدة.

[3].عادة ما كانت تسند مهمة قيادة الجيش إلى غير السلطان، ومن أولئك القادة نذكر عبد الملك بن محمد بن أخت يغمرا - سن،ويغمرا سن بن حمامة ويحيى بن مكن وموسى بن علي الكردي وغيرهم، لمزيد من الإطلاع، يرجى العودة إلى:الدراجي بوزياني، كتاب نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، صص268و269.

[4]الدراجي بوزياني،نفس المرجع،ص263.

[5]. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة،ص211.

الفصل الثاني

الواقع الاقتصادي للمغرب الأوسط والضفة الشمالية الغربية للمتوسط.

1- المغرب الأوسط

المبحث الأول:الزراعة

المبحث الثاني : الصناعة

المبحث الثالث:التجارة

أ-مع السودان الغربي

ب-مع الدولة الحفصية و المرينية

ج-مع بلدان المشرق

2-الضفة الغربية للمتوسط

أ-في شبه الجزيرة الايبيرية

ب-في شبه الجزيرة الايطالي

المبحث الأول

الواقع الاقتصادي للدولة الزيانية

الاقتصاد لغة هو التوسط في النفقة،والعيش بين الإفراط والتقتير (التقشف)،فالقصد في الشيء خلاف الإفراط،([1]) أما اصطلاحا فهو جميع الطرق الموصلة إلى الرفاهية المادية والعيش الأفضل،أو أنها حسن التصرف في الأموال الخاصة والعامة من غير تفريط ولا إفراط، والظاهر أن هذا المصطلح لم يكن مستعملا بمفهومه الحالي، أولا لأننا نجد ابن خلدون يستعيض عنه بكلمة معاش([2]) ولان مفهوم الاقتصاد السياسي لم يظهر إلا في القرن الماضي.

وعموما فان اقتصاد أي بلد يقوم على أسس رئيسية ثلاثة هي: الزراعة والصناعة والتجارة.

كان مفروضا والحالة السياسية التي تعيشها الإمارة الزيانية، أن تتعثر الحياة الحضارية بشكل عام، لكن رغم ذلك نلحظ تطورا هاما في مختلف مظاهرا لحياة ومجالاتها الاقتصادية على الخصوص.

أ –*الزراعة*: من القطاعات الحيوية التي أولتها الدولة الزيانية كبير عناية، حتى صار الغالب على أهلها مهنة الفلاحة،فقد كانت الزراعة مزدهرة والمحاصيل بها وفيرة،وهذا ما ندركه من خلال قول يحي بن خلدون "غالب تكسبهم من الزراعة.وقول لسان الدين بن الخطيب في وصفه لسكان تلمسان " ولا فلاحة إلالمن أقام رسم الفلاحة"([3]).وكانت حسب ابن خلدون متقدمة([4])عن باقي وجوه الرزق الأخرى، من صناعة بسيطة طبيعية

---

[1].ابن منظور ،نفس المصدر، ج12،ص113.

[2]. ابن خلدون عبد الرحمن،المقدمة،ص301ومايليها.

[3]. المقري أحمد بن محمد–نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،دار صادر، بيروت، طبعة1968،تحقيق إحسان عباس، ج7 ص135.

[4]. ليس المقصود هنا ناحية الكيف أو وسائل الاستغلال، وإنما من حيث عدد المشتغلين بها.

وفطرية،ولا تحتاج إلى نظر أو علم([1]).ونتيجة لهذا المجهود فقد ظهرت عائلات وبيوت اشتهرت بالفلاحة كبيت ابن مرزوق([2]).

إن وفرة الإنتاج الفلاحي ساعدت على استمرارية الدولة ،التي اعتمدت أسلوب وسياسة التخزين([3])،إذ كانت الأطعمة تخزن في الاهراء و المطامير المختومة،فظهر ما يعرف بخازن الزرع([4]).ونجد أبا حمو موسى الأول، حسب التنسي، بعد خروجه من الحصار مباشرة، يقوم بتخزين الطعام والادام([5])والخبز و الملح والفحم والحطب([6]). ومن هنا ندرك بان الفلاحة أصبحت أقوى سلاح في يد الزيانيين في مدافعة ومواجهة سياسة الحصار والتجويع التي انتهجتها جارتاها تجاهها.

أما عن منتجات الدولة الزيانية فهي عديدة ومتنوعة،فحسب صاحب الاستبصار أنه كان لبلاد المغرب الأوسط مدن عديدة و كثيرة الخصب والزرع،وتحتوي على مراعي

---

1. ابن خلدون عبد الرحمن ،المقدمة،ص 302.

2. ابن خلدون يحيى، نفس المصدر،ص114.

3. ربما كان عدم الاستقرار الذي تشهده المنطقة، عاملا مهما في ظهورها، إضافة إلى التقلبات المناخية التي كانت تعود سلبا على الإنتاج.وقد انتهجت هذه السياسة في عدة دول سبقتها كالدولة الحمادية.التي جعلت من القلعة مكانا لتخزين الحنطة ليمر عليها الحولان فأكثر ولا تفسد ولا يعتريها التغيير.الإدريسي الشريف،نفس المصدر،ص117.كما أنها كانت تمر على المنطقة سنوات من القحط حسب ما يرويه صاحب البستان حين يقول (وذكر لي بعض من أثق به انه سمع من بعض الناس انه كان بتلمسان فيما تقدم غلاء شديد تعطلت الصلاة بسببه في كثير من المساجد)ابن مريم، البستان في أخبار علماء وأولياء تلمسان،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1986،ص33.

4. ابن خلدون عبد الرحمن،العبر،ج7، ص 113.

5. كل ما يؤتدم به مع وفي الحديث الشريف "نعم الادام الخل "فالا دام بالكسر والادم بالضم :مايؤكل به الخبز ،أي شيء كان وفي الحديث " سيد أدام أهل الدنيا والآخرة اللحم "ومن الفقهاء مالا يجعل اللحم أدما ويقول : لو حلف ان لا يادم ،ثم أكل لحما لم يحنث ،وجمع الادم ادام ،يقال ادم الخبز أي خلطه بالادم»لسان العرب لابن منظور الإفريقي دار صادر –المجلد 1حرف الألف ط3 بيروت 2004.

6. ابن خلدون عبد الرحمن،نفس المصدر السابق،ج7،ص135.

لتربية الماشية التي كانت تتجه نحو بلاد المغرب والأندلس([1]) ،إلى أن ذهب البعض إلى تشبيهها بمدن الأندلس لمياهها وبساتينها.([2])

فبالنسبة للإنتاج النباتي فمتنوع، ومنه القمح و الشعير و الفقوس والبطيخ والخيار والأجاص([3]) والرمان والزيتون.والخس و الكرنب واللفت([4])،ولعل أهم ما اشتهرت به العاصمة تلمسان في هذا المجال،هو حب الملوك والذي لا تزال زراعته مستمرة إلى يومنا هذا،إذ نجد هذه الفاكهة من أهم ما استرعى اهتمام وانتباه لسان الدين ابن الخطيب في تلمسان وهذا ما نستشفه من خلال قوله "....إلا أنها (أي تلمسان)بسبب حب الملوك مطمعة للملوك....."([5])و نجد الرحالة حسن الوزان (ليون الإفريقي)يعبر عن انبهاره بما تحتويه المدينة من عدد هائل من أشجار هذه الفاكهة، حين يقول بان بصره لم يقع على مثلها فيما سبق من البلدان التي زارها ،وأعجب أيضا بتينها الحلو الأسود الفاخر الطويل ،الذي كان يدخره سكان المنطقة جافا لفصل الشتاء([6]).كما يبالغ في وصفها يحي بن خلدون فيجعل منها جنة تحتوي كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ به الأعين من الفواكه والرمان والتين والزيتون،([7]) وكانت الحبوب والمواشي تنتشر بسهل متيجة([8])،برشك،تنس، مستغانم، وهران، ارشقول،هنين، مليانة،تاهرت، مازونة ندرومة وتلمسان .([9]) أما التمور فقد انحصر إنتاجها بنواحي تلمسان و تيكورارين، وتواجد

---

[1]. مؤلف مجهول. الاستبصار في عجائب الأمصار ،تحقيق سعد زغلول عبد الحميد،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد 1976،ص179.

[2].ابن سعيد أبي الحسن المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982ص140.

[3]. الاستبصار ، ص198.

[4]. ابن خلدون عبد الرحمن،نفس المصدر،ص198.

[5].المقري ،نفح، ج 7،ص135.

[6]. الوزان، نفس المصدر،ص20.

[7]. ابن خلدون يحي،نفس المصدر،ص86.

[8].لا يزال هذا السهل الساحلي يحتفظ بهذا الاسم ،يقع بضواحي الجزائر العاصمة ،وهو من أخصب السهول في الجزائر والعالم.

[9]. عاشور بوشامة ،علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والاندلس696-981هـ/1668-1573م،رسالة ماجستير، ،جامعة القاهرة كلية الآداب قسم التاريخ،1411هـ/1991م،ص396 .

الزيتون بهنين،و اشتهرت مدينة الجزائر بالعسل والتين ([1])، و احتوت تنس ومدينة برشك على الكثير من الفواكه وخاصة السفرجل المعنق الحسن والطيب الرائحة والحلاوة،الشبيه بالقرع الصغير([2]) إضافة إلى إنتاج الأعناب والعسل والزرع والحنطة التي كانت تفوق حاجتهم([3])،أما مستغانم و ندرومة فتواجد بهما القطن والكتان، واختصت شرشال دون سواها بإنتاج الحرير .

أما بالمناطق الجبلية التي كانت تصعب فيها زراعة القمح أو الحبوب بصفة عامة، فسادت زراعة الخروب إذ كان سكانها يستعيضون بها عنها ،وقد أورد لنا الحسن الوزان بعض هذه المناطق ومنها:ندرومة و تبحريت التي تبعد عنها بنحو أثنى عشر ميلا([4])

لعل أهم ما ساعد على نجاح الزراعة ودفع سكان المنطقة إلى امتهانها،هو توفر المياه وهذا ما نستشفه من خلال قول الشريف الإدريسي حينما يصف تلمسان قائلا « ولها نهر يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين،وهذا الوادي يمر في شرقي المدينة، وعليه أرحاء كثيرة، ،وجوارها من المزارع كلها سقي»([5]).أي توفر المياه المخصصة لري البساتين والحقول،والتي كان مصدرها الأودية والأنهار الدائمة الجريان([6]) آنذاك كوادي ملوية و التافنة والوريط المقصود في القول ونهر الشلف.

أما العامل الثاني فهو توفر الأراضي الزراعية الخصبة،لوقوع تلمسان ضمن المغرب الأوسط،الذي حباه الله بموقع يتوسط عددا من الكور المنجبة للحيوان والنبات والكريمة الفلح الزاكية الإصابة، على حد تعبير صاحب البغية([7]) إذ كانت سهول ملاتة بوهران تنتهي في

---

[1].ابن حوقل أبي القاسم النصيبي، صورة الأرض،الطبعة الثانية ،القسم الأول، دار صادر بيروت،1938، ص 76.

[2].نفسه،ص77.

[3].نفسه،الصفحة ذاتها.

[4].الوزان،نفس المصدر،ص13و14.

[5]. الإدريسي ،نفس المصدر.ص100و101. الاستبصار،صص176، 177.

[6]. يقول يحي بن خلدون في هذا الصدد"وذكرها صاحب جغرافيا فقال (دار ملك قديمة البناء طيبة الهواء كثيرة الفواكه والزرع ذات عيون غزيرة ،وأعمال متعددة باردة المشتى لكثرة ثلجها ...)البغية، ص91.

[7].ابن خلدون يحي ،نفس المصدر،ص90.ينظر أيضا إلى نفح الطيب للمقري،ج7،ص135.

الزوج الواحد إلى أربعمائة مد([1]) كبير ([2]).وهذا ما ندركه أيضا من قول صاحب الاستبصار "وللمغرب الأوسط مدن كثيرة ،وهي كثيرة الخصب والزرع "([3]) ومن هذه المناطق، مازونة متيجة و تسلة وتاهرت([4])وسهول تلمسان، أي تلك القريبة من الساحل([5]).

إن وقوع المنطقة ضمن المنطقة المعتدلة([6]) ساعد كثيرا على نجاح الحياة النباتية والحيوانية نظرا لملائمة المناخ إذ تنتمي المنطقة إلى إقليم مناخ البحر المتوسط،فشمالها يمتاز بغزارة الأمطار واعتدال الحرارة،فمثلت جبال الأطلس التلي خزانات تمد مجموع الأودية التي كانت تروي حقول وبساتين المنطقة بتلك المياه، وهذا ما ندركه أيضا من خلال وصف لسان الدين ابن الخطيب لتلمسان حينما يقول" وهواؤها الممدود صحيح عتيد وماؤها برود صريد حبتها أيدي القدرة عن الجنوب فلا نحول فيها ولا شحوب"([7]) بينما تتناقص كمياتها كلما ابتعدنا عن الساحل لكن هذا لا ينفي وجود بعض سنوات القحط والمسغبة، بسب الحروب وسنوات الغزو إضافة الى عوامل طبيعية متعلقة بالمناخ كالجفاف ([8])أو العواصف، إذ يذكر المؤرخون أن ريحا عاصفة هبت على المنطقة سنة 776هـ /1375م اقتلعت معظم المحاصيل الزراعية ،فانتشرت المجاعة حتى أكل الناس بعضهم بعضا،فحينها تصدق السلطان أبو حمو الثاني بنصف جباية خزينة الدولة على الرعية،حتى انفرج الكرب وزالت المسغبة([9]) أو عوامل أخرى كغزو الجراد للمحاصيل الزراعية والتي كانت تلحق العطب باقتصاد المنطقة بشكل عام([10]).

---

[1].المد وحدة وزن قديمة يقدرها يحي بن خلدون بستين برشالة زنتها ثلاثة عشر رطلا من البر .

[2]. ابن خلدون يحي،نفس المصدر،ص90.

[3]. الاستبصار، ص176.

[4]. Vernet robert,revue d,histoire et de civilisation du Maghreb,13 janvier1976,p32 .

[5].الوزان، نفس المصدر،ص39-42.

[6] .تقع تلمسان عاصمة المملكة حسب ابن سعيد على دائرة عرض ثلاثة وثلاثون درجة واثنتان وأربعون دقيقة،وخط طول أربعة عشر درجة وأربعون دقيقة،نفس المصدر،ص140.

[7].المقري احمد ،نفح الطيب، ج7،ص135.

[8] . Vernet robert,op,cit,p62.

[9].الجيلالي عبد الرحمن بن محمد،تاريخ الجزائر العام ،الجزء الثاني،دار الثقافة،بيروت،لبنان الطبعة الرابعة،1400هـ/1980م.ص186.

[10] . Vernet robert, op,cit., p62.

لم يعش سكان منطقة المغرب الأوسط في منأى ومعزل عن الأمصار المجاورة، فقد ظهرت جملة من الهجرات نحوها وأهمها هجرة الأندلسيين،الذين نقلوا إليها بعض التجارب الزراعية كاسرة بني الملاح أصبحت بعدها من العادات الفلاحية لدى سكان المنطقة .

وأخيرا تجدر الإشارة إلى أن ملوك بني زيان كانوا أنفسهم شغوفين بالزراعة،إذ أقاموا البساتين والجنان حول قصورهم،وجعلوا لها خزانات المياه التي ترويها كالصهريج الكبير([1]) الذي كانت مياهه تستعمل لسقي البساتين الواقعة تحته.([2])

ب/ الصناعة:

يعرف ابن خلدون الصناعة في مقدمته "بأنها ملكة في أمر عملي فكري "([3]) أي على عكس الزراعة التي اصبغ عليها صفة الفطرية، فإنها تتطلب إحكام العقل.ويضيف أن ازدهارها وتنوعها غالبا ما يكون مرهونا ومرتبطا بشروط أساسية وضرورية أهمها :عامل الأمن والاستقرار،و تشجيع الحكام أو الدولة لها،و توفر المادة الخام أو الأولية التي تقوم عليها، وتوفر الأسواق التي تتلقفها،وكذا نجاح القطاع الزراعي بها إلى درجة تامين الاكتفاء للسكان([4]). وهذا ما يسمح حسب رأينا بالانصراف إلى مجالات أخرى غيرها، فهل توفرت هذه الشروط في الإمارة الزيانية ؟ وهل توافق ذلك مع المستوى الذي بلغه هذا القطاع ؟.

لاشك أن العامل الأول وهو أهمها،لم يتوفر إلا في فترات محدودة من عمرها كما سبق وان اشرنا إلى ذلك في مواضع سابقة،ورغم ذلك نجد جل حكام المملكة باختلاف ميولهم وأهوائهم،قد أولوه اهتماما خاصا،فنجد أبا تاشفين أبي حمو رغم جنوحه إلى الملذات ولهو الدنيا،إلا انه كان مولعا بتشييد المصانع،مستغلا في ذلك تواجد الأسرى والنصارى ببلاده،فكان منهم النجارون والبناءون والزلاجون والزواقون([5])،وأبو حمو موسى الثاني الذي

---

[1].هو ما يعرف اليوم بصهريج بدة والذي يقال بأنه اسم لأميرة من أميرات القصر العبد وادي،أنشئ حوالي 716-738هـ/1313-1335م، ومعناه لغة الحظ والنصيب كان يستعمل للسباق بين الزوارق والقوارب في أيام الأعياد والاحتفالات وللسقي أيضا، وهو اليوم عبارة عن منتزه.طوله 200 متر وعرضه 100 متر وعمقه ثلاثة أمتار.

[2].رمضان شاوش،باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، دم ج، الجزائر،ص89.

[3]. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة،ص315.

[4]. نفسه،الصفحة ذاتها.

[5]. ابن خلدون يحي،نفس المصدر ص216.التنسي محمد بن عبد الله، نفس المصدر،ص140.

كان مولعا بالاحتفالات الدينية ومهتما بالعلوم النقلية،إلا أن دار الصناعة كانت تموج في عهده بالفعلة على اختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم،وما وجود ساعة المنقانة([1]) أو المنجانة،إلا دليل على رقي الحس الفني والإبداع الصناعي له.

أما فيما يخص الركن الثالث،فالظاهر أن بلاد المغرب الأوسط كانت أوفر حظا من بلاد المشرق،إذ اشتهرت بثرواتها المعدنية ([2])، الضرورية لقيام الصناعة،فكان حظها هي الأخرى حسناكما في الزراعة،فبخصوص النباتية نجد القطن والزيتون والكتان والحلفاء والخشب ومنها الحيوانية كالجلود من الأبقار والخرفان،أما المعدنية فتواجد الحديد بجبال تفسره جنوب تلمسان ([3]) والزنك (التوتياء) بجبل الونشريس([4]).

أما العاملين أو الركنين الرابع والخامس، فقد توفرا إلا في سنوات الحصار الذي تعرضت له المملكة،وقد سبق وان أعطينا أو كونا نظرة عن حال الزراعة والنجاح الذي بلغته.

قامت العديد من الصناعات المتنوعة بالمغرب الأوسط،مونت التجارة وشكلت نسبة هامة ضمن قائمة الصادرات،غطت جزءا هاما من الواردات،([5])ولم تنحصر بالعاصمة تلمسان بل تعدتها إلى مدن أخرى مثل شرشال التي تخصصت في صناعة النسيج الحريري([6])،و هنين في المنسوجات القطنية ([7])،مليانة وكذلك مستغانم و ندرومة .أما تلمسان المدينة فقد اشتهرت بصناعة الأقمشة الصوفية المفضلة على جنسها المصنوع في سائر أنحاء المغرب([8])،ومن بين العائلات التي اشتهرت بهذه الصناعة،عائلة النجار التلمسانية نذكر منها أبو زيد عبد الرحمن بن النجار،الذي امتلك معامل لحياكة الصوف الرفيع ،كما اشتهرت المنطقة بصناعة الزرابي

---

[1].حسب يحي بن خلدون فان مخترعها هو العالم الرياضي أبو الحسن علي بن احمد المعروف بابن الفحام،ولمعرفة مزيد من المعلومات عن هذه الساعة يرجى العودة إلى كتاب التنسي،"نظم الدر"ص162و163.

[2].سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي ،الجزء الثالث،ص441.

[3].الوزان، نفس المصدر، ص24.

[4].نفسه، ص45.

[5].مارسي جورج ،مدن الفن الشهير –تلمسان–موقان ،البليدة،الجزائر2004.ص101.

[6]. الوزان ،نفس المصدر،ص15.

[7]. نفسه ،ص15.

[8].ابن سعيد المغربي ،نفس المصدر ،ص140.

الفاخرة، فكانت تخرج من أنوالها–المعامل–اخف أقمشة الصوف وأمتنها،ناهيك عن البرانس الرقيقة الرفيعة ([1])ذات الشعر الطويل([2]) والتي كانت من اختصاص التلمسانيين،([3]) والصناعات الجلدية كأجمة الخيل وسروجها وما يتبع ذلك، وانتشرت بها الصناعات الفخارية،والصباغة بمنطقة العباد،والحدادة بتفسره([4]).

ومن ناحية أخرى نجد صناعة البناء والفسيفساء قد ازدهرت ، وهذا ما يتجلى من خلال بنائها الجميل والمزدان بشتى أنواع الفسيفساء،والتي مثلت مزيجا وموروثا حضاريا ترك ملوك تلمسان بصمتهم عليه.

تميزت بعض المدن الساحلية بإنتاج الأساطيل الحربية والتجارية التي كانت تمخر البحر([5]) ويورد لنا ابن أبي زرع أن مرسى وهران و هنين، اشتركا مع تونس في صنع مائة قطعة([6]) (سفينة)،ولا نعني هنا الشراكة في الصناعة وإنما في العدد فقط.كما كانت تصنع لها الحبال داخل بلاد المغرب الأوسط .

ولم تغب الصناعات الغذائية عن بلاد المغرب الأوسط، إذ تواجدت حرفة طحن الحبوب على طول الأنهار التي تجري على أرضه،والتي أورد لنا الإدريسي والوزان وصاحب الاستبصار جملة منها،كوادي الصخرتين والسفسيف و الشلف وملوية وغيرها.

---

[1]. مارسي جورج ،نفس المرجع،ص100.

[2]–ما يدل على التخصص في هذا المجال هو التطوير المستمر للنوعية ،إذ يصف d.arvieux chevalier البرنس الذي كان متواجدا بتلمسان في القرن السابع عشر بقوله، "و هو ذو شعر طويل ذو وجه متموج مثل الوبر والوجه الأخر مشابها للفرو المتجعد للخرفان الآتية من البحر الأسود فيضع الناس الشعر إلى الداخل في فصل الشتاء والى الخارج في فصل الصيف أو عند الأمطار لان المطر يسقط عليه دون أن يخترقه وعندما يستمر هطول المطر عليه لفترة طويلة يقوم الناس بنفضه فيبقى جافا كان لم يمطر فوقه".انظر مارسي جورج، المرجع السابق ص100.وان كانت الفترة التي أوردها مارسي بعيدة نوعا ما عن ما نقوم بدراسته،إلا أن تلك المرتبة التي بلغها ذلك البرنس تعتبر امتدادا لتجربة تغوص في العمق،وان ذلك لم يتأت في فترة وجيزة.

[3]. مارسي جورج ،نفس المرجع،ص100.

[4].الوزان، نفس المصدر السابق،ص 24.

[5]. كحالة محمد رضا، دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية،المطبعة التعاونية،دمشق. 1973م،ص156.

[6].ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب بروض القرطاس في معرفة ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،ج2،ص165.164.

و تقدمت صناعة الخشب التي زودت المدن ومنها تلمسان العاصمة بأبواب ضخمة، غاية في الارتفاع والقوة،وهنا ندرك وجود بعض التنسيق بين الحرف والصناعات إذ كانت مصاريع هذه الأبواب تدرع بالحديد([1]).أما مهنة أو حرفة الخراطة المتمثلة في صنع الأواني الخشبية فازدهرت خاصة بمدينة مليانة([2]) .

هناك صنعة لا يمكن لأي دولة أن تستغني عنها لأنها تمثل جزءا من هويتها وشخصيتها السياسية، و مثلت عبر مرور الزمن رمزا من رموز الاستقلال أو التبعية، إنها صناعة السكة؛ ففي الدولة الزيانية كانت النقود تسك من الذهب الرديء ومن الفضة غير الخالصة أيضا ومن النحاس وهي متفاوتة من حيث القيمة والنوع([3]).

إن ما ذكرناه من صنائع، كان من باب المثال لا الحصر، لان كل المدن التي أوردناها وجدت بها صنائع مختلفة، فاكتفينا بما اشتهرت به.ويكفي دلالة على ذلك الأسماء التي لا تزال بعض الأمكنة تتسمى بها وتشهد على عراقة تلك الصنائع بها، فندرك أن تلمسان خصوصا، كانت فيما مضى حاضرة للعديد من الحرف والصناعات([4]).

لكننا ورغم ذلك ندرك بان هذه الصناعات لم ترق إلى مستوى ما كانت عليه في الضفة اليسرى للمتوسط،وهذا حسب ابن خلدون وانطلاقا من قوله " إن سكان المغرب عربا وعجما ابعد عن باقي الأمم النصرانية عدوة البحر الرومي عن الصنائع،بسبب رسوخهم في البداوة منذ أحقاب من السنين"([5]). لكنه ومن جهة أخرى يجعلنا نثمن ما بلغه إنسان المغرب الأوسط من جهود لبلوغ هذه المرتبة الصناعية،رغم طابع البداوة الذي وصف به، ورغم انشغاله بالفلاحة والرعي، ويضيف ابن خلدون "إن الصنائع به قليلة وغير مستحكمة، إلا ما استمد من خامات محلية،كصناعة الصوف ودبغ وخرز الجلود والتي شهدت تطورا هاما "([6]).

---

[1].الوزان ، نفس المصدر السابق،ص20.

[2]نفسه.ص35.

[3]. الوزان ،نفس المصدر السابق،ص23.

[4].من هذه الأمكنة والأحياء طريق الأرحاء وطريق المعصرة وذراع الصابون وسوق نشر الجلد وسوق الغزل وباب القرمادين ...الخ.

[5].ابن خلدون عبد الرحمن،المقدمة،ص318.

[6]. نفسه ،الصفحة ذاتها.

ج-الجبــــــــــــــاية:

من الجوانب الاقتصادية الهامة التي ركزت عليها الإمارة الزيانية جباية الأموال،إذ اعتمدت من طرف قبيلة بني عبد الوادي حتى قبل أن تصير لهم دولة ،فيورد لنا عبد الرحمن بن خلدون مثالا عن ذلك حينما اقتطعت من الدولة الموحدية الكثير من أرضها لجباية الأموال من قبائلها،فكانوا إذا خرجوا إلى مشايخهم بالصحراء،خلفوا أتباعهم بالتلول لاعتمار أرضهم وجباية الخراج من رعاياهم،([1])فكان من الطبيعي والمنطقي أن يستمر هذا النظام عند تكوين هذه القبيلة لدولتهم،ولهذا نجد القبائل الخاضعة للدولة الزيانية سواء كانوا من البربر أو العرب يسمون بالقبائل الغارمة،لأنهم كانوا ملزمين بإعطاء جزء من أموالهم للدولة كدلالة على خضوعهم وتبعيتهم لها،فقد استفادت هذه الدولة من جباية مائة ألف دينار من بلاد تابعة لإفريقية اقطعها الحاكم الحفصي أبو زكرياء للسلطان الزياني يغمراسن عندما ولاه تلمسان نيابة عنه،فكانت هذه الجباية له ولعقبه تأتيهم كل سنة، لم يقطعها عنهم إلا موت أبي تاشفين واستيلاء بني مرين على المنطقة،([2])ولم تكن جباية الأموال هاته خاصة بالقبائل البربرية فقط،بل خصت بها قبائل عرب بني هلال التي كانت تحت السيطرة الزيانية أيضا، فأمير المسلمين يغمراسن قام باثنتين وسبعين غزوة ضد العرب إلى أن استعبد أحرارهم و استغرم عن يد وهم صاغرون عن أموالهم([3])،كما كانت هذه الجباية تفرض على التجار من جميع الأطياف،مغاربة ومشارقة وأوروبيين، لأنها كانت تمثل مصدرا اقتصاديا يسد باب الضعف لدى هذه الدولة،وهذا ما ندركه من قول الوزان ((تنتج البلاد قليلا،ولا يسكنها إلا القليل من الناس،لكن لما كانت تشكل مرحلة بين أوروبا وبلاد السودان فان الملك يستفيد أموالا كثيرة من دخول البضائع وخروجها)).([4])وكانت هذه الأموال تسمى بالمغارم،فعندما جاء الفقيه العالم أبو العباس احمد بن عمران البجائي تاجرا،وتعرف عليه السلطان الزياني أبو تاشفين وعن

---

1. ابن خلدون عبد الرحمن، العبر، ج7، ص71.
2. التنسي، نفس المصدر،ص118.ابن خلدون عبد الرحمن،ج7،ص95، 96.وابن خلدون يحيى،نفس المصدر، ص205.
3. ابن خلدون يحيى، نفس المصدر، ص207.
4. الوزان، نفس المصدر، ص23.

مكانته العلمية رفع كلفة مغرمه ومغرم من كانوا معه،([1])كما روى لنا ابن مرزوق ما كان يجري من((التفتيش في الأبواب الذي لا يحترم فيه من الناس احد،فيتولى المسلم نصرانيا ويهوديا وخارجيا فيفتشونه من رأسه إلى قدمه،ظاهرا وباطنا لما عسى أن يدخل به من السلع التي يوظف عليها مغرم من المغارم،حتى النساء يوكل بهن يهوديات يفتشنهن، وهذا العمل كان جاريا في تلمسان و أعمالها)).

من هنا ندرك بان الجباية مثلت مصدرا هاما من مصادر الدخل لدى الدولة الزيانية،التي اتخذت في هذا المجال نوعا من الابتزاز واخذ المال بالقوة ،وهذا ما يتضح من خلال قول ابن خلدون يحي حينما يروي لنا خبر رفع أبا تاشفين لمبتدع الوظائف عن الناس.([2]) وأخوه يحي حينما يقول ((وتضاعفت قواهم بما استحوذوا عليه من جبايات أمصار وقبائل))([3]).

أما بالنسبة للنظام المالي للإمارة الزيانية فمستمد من النظام و الشرع الإسلامي بصورة عامة ،كما يمكن اعتباره امتدادا للنظام المالي الموحدي،([4])ورثه الملوك والسلاطين الزيانيون عنهم، ولهذا فانه لم يبتعد عن أنظمة الدول والإمارات المجاورة،لكن من جهة أخرى نلاحظ أن هذا النظام خرج نسبيا عن الشرعية التي تميز بها النظام المالي للدولة الموحدية ،إذ تميز نوعا ما بالابتزاز والقهر واخذ المال بالقوة من قبائل لم تكن لهم الاعتراف إلا مرغمة،ومن العامة التي غرمت بشتى الصور،كالتغريم على الحطب والبيض ،والحبل وغيرها ، كما أن بداية هذا النظام المالي وخاصة الشطر الجبائي منه،تشكل قبل أن تأخذ هذه الدولة صفتها النهائية والرسمية.

د-النظـــــام النقـــــــــدي: استمر التداول بالنقود الموحدية رغـــم أن ذلك يعد مظهرا من مظاهر التبعية وانتقاصا من استقلالية الدولة، لكن ذلك لم يمنع من جهـــة أخرى من صك نقود خاصة بالإمارة، لكن مع الاحتفاظ ببعض خصائصها من شكل ومميزات،

---

[1]. التنسي،نفس المصدر،ص142.

[2]. ابن خلدون يحي، نفس المصدر، ص215.

[3]. نفسه،ص207.

[4]. بودواية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، دكتوراه دولة في التاريخ ،جامعة تلمسان، قسم التاريخ السنة الجامعية 2005-2006،ص.أنظر أيضا،الدراجي بوزياني،المرجع السابق،ص218.

كحملها لآيات قرآنية أو أحاديث نبوية شريفة أو بعض الأدعية([1])،فقد تم اكتشاف اثنين وثلاثين دينارا تمثل نماذج لمراحل مختلفة من عمر الدولة العبدوادية، فالدينار الأول يعود إلى عهد السلطان أبي حمو موسى الأول 707-718هـ-1307-1318م ويزن 4.66 غراما وطول قطره 32 مم، و مما يؤكد مصدره ومصدر الكثير من هذه النقود هو الكتابة التي وجدت على حافته أو على سواره

"ضرب بمدينة تلمسان حرسها الله تعالى وأمنها "

وبداخل المربع

عن أمر عبد الله

موسى أمير

المسلمين المتوكل

على رب العالمين

أيده الله ونصره

وفي الوجه الثاني كتب في القطعة الدائرية.

وإلهكم اله واحد لا اله إلا هو الرحمن الرحيم

أما داخل المربع فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد وآله

لا اله إلا الله

محمد رسول الله

ما اقرب فرج الله ([2])

---

[1].حملت الدنانير التي جاءت بعد فك الحصار المريني عن مدينة تلمسان عبارة "ما اقرب فرج الله"ومن هنا ندرك بان النقود مهما كانت طبيعتها تعتبر جزءا هاما من الموروث التاريخي والثقافي لأي دولة فقد تساعد كثيرا في تزويد الباحث بالمعطيات والأحداث، أو على الأقل أنها تمثل مدخلا لإثراء أو توسيع عملية البحث التاريخي للمنطقة...

[2].استقيت هذه المعلومات من كتاب بودواية مبخوت،نفس المرجع السابق،ص أنظر أيضا،

Catalogue des monnaies musulmanes,Espagne et Afrique,tome3, pp460,461,462,463.

وهناك قطع نقدية أخرى لسلاطين آخرين كالسلطان أبي عبد الله محمد المتوكل على الله (866-873هـ)وآخر إلى السلطان أبي عبد الله محمد (873-909هـ) لا تخرج عن الأولى فيما تحتويه من عبارات أو حتى من حيث الشكل بينما تختلف من حيث الوزن ([1]).

ثاني :ويساوي أربعين درهما.والدرهم يساوي أربعة أعشار الدينار.([2])

إن الوحدة الاقتصادية قد تجاوزت الصراعات السياسية بدليل أن التعامل في كامل بلاد المغرب والأندلس كان يتم بعملة ذهبية هي الدينار،وعملة فضية هي الدرهم وكانت قيمتها ثابتة ومتقاربة نسبيا،الأمر الذي كان يدعو الدول الأخرى الإسلامية المشرقية والمسيحية إلى الوثوق بها ([3]).

وكان الدينار يتصدر باقي أنواع العملة ،و تكونت له أجزاء،وهذا ما ندركه من خلال قول الونشريسي :أن أحدا سأل فقيها عن من له دينارا على رجل قرضا ،هل يجوز قضاء بعضه ،أم لا يجوز قضائه إلا دفعة واحدة ؟فأجابه بجواز اخذ بعضه (الدينار)بما تراضيا عليه يوم الصرف ويبقى البعض الآخر في الذمة ذهبا إلى يوم القضاء بحساب صرف يوم القضاء.([4])كما أن هناك أنواعا مختلفة للدنانير الزيانية من حيث المادة التي تصنع منها وهذا ما نستنتجه من قول الوزان ""ويسك الملك نقودا من الذهب الرديء، كالدنانير التي تسمى في ايطاليا بسلا تشي (أي الخفيفة)غير أن القطعة الواحدة منها تساوي دينارا وربعا ايطاليا لكونها كبيرة جدا، ويسك أيضا نقودا فضية غير خالصة وأخرى نحاسية متفاوتة القيمة والنوع([5]) .

---

[1].لمزيد من الاطلاع يرجى العودة إلى كتاب نظم الحكم للدراجي بوزيان،المرجع: السابق، ص228-235.أو الأخضر العبدلي ،نفس المرجع السابق،ص71و72، أو بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص274،283،282.

[2]زبادية عبد القادر، المرجع السابق،ص54.

[3]. بوشامة عاشور،المرجع السابق، ص360.

[4].الونشريسي،أحمد بن علي،المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب ،تحقيق مجموعة من الأساتذة،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1981، الجزء الخامس ص81.

[5].الوزان، نفس المصدر، ص23.

هـ /التجـــــــارة الداخلية والإقليمية:

((التجارة هي محاولة الكسب بتنمية المال، بشراء السلع بالرخص، وبيعها بالغلاء، أيا ما كانت السلعة))([1]). كما يعرفها الجرجاني بأنها عملية شراء شيء ليباع بالربح،ويعرف البيع بأنه مطلق المبادلة([2]) أو كما يختصرها البعض في كلمتين ، اشتراء الرخيص وبيع الغالي، وبذلك فهي حركة انتقال السلع داخليا ضمن الحدود الإقليمية للدولة ،أو خارجيا بعيدا عنها.كما انه لا يمكن لأي دولة أن تستغني عن هذا القطاع الحيوي مهما كان ثرائها وغناها، إذ تكون مضطرة لتصريف الفائض عن حاجتها ،وجلب ما ينقصها حتى ولو كان من الكماليات،التي عادة ما تتجه نحو قصور السلاطين والملوك والأثرياء.

اشتهر العرب منذ القدم بالتجارة ،فكان الملوك قبل الإسلام تجارا يبيعون ويشترون، وكان رؤساء المعابد تجارا يتاجرون باسم معابدهم ([3])،فسكان المغرب أصبحوا بمرور الزمن جزءا من العالم الإسلامي الذي امتلك طقوسا وعوائد تجارية ([4])،وجاء الإسلام ليرفع من قدر التجارة والتجار،([5]) فأكدت ذلك بعض الأحاديث النبوية الشريفة ([6]) كما أن مزاولة الرسول (صلعم) نفسه للتجارة شجع المسلمين عامة على امتهانها ومزاولتها.

أنواع التجار في المغرب الإسلامي: حسب أبي الفضل الدمشقي يمكن أن نصنف التجار حسب طريقة عملهم وتكسبهم إلى ثلاثة أصناف.

1/التاجر المخزان :وهو المحتكر للسلع ،يشتريها في مواسمها بأثمان رخيصة لوفرتها وكثرة المعروض منها،فينظر ندرتها وارتفاع أسعارها ليخرجها ويبعها بأكبر هامش من الربح،وهو على هذا الأساس على اطلاع عام بما يدور بالأسواق وما يحدث بها من تقلبات في الأسعار.

---

[1].ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة،ص310.

[2]الجرجاني علي بن محمد بن علي،التعريفات،دار الكتاب العربي بيروت ،لبنان،الطبعة الأولى 1405،تحقيق إبراهيم الابياري،ص68- 73.

[3]. كحالة عمر رضا،نفس المرجع،ص109.

[4].كان لعرب قريش رحلتان للتجارة الأولى تتم شتاء وفي اتجاه اليمن والثانية صيفا تجاه الشام .

[5].اختلفت نظرة المسلمين للتجارة من زمن لأخر ومن خلافة لأخرى إذ كان الأمويون لا ينظرون بعين التقدير إلى التاجر لأنهم كانوا فرسانا محاربين وقواد حرب .عمر رضا كحالة دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية،ص109.

[6]."التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة "أخرجه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر.

ب/التاجر الركاض:ويعرف أيضا بالتاجر الجوال أو السفار([1])وهو المنتقل من منطقة لأخرى بحثا عن سلع يتاجر فيها وقد يكون على مستوى محلي أي داخل إطار الدولة الواحدة والذي يتوجب عليه المعرفة بأسعار المادة التي يتاجر فيها،أو بين منطقتين مختلفتين ،كما كان الحال بالنسبة لتجار تلمسان الذين كانوا يجوبون أطراف الصحراء لجلب الذهب وما ندر في بلادهم من المعادن والحلي وغيرها.

ج/التاجر المجهز: ويعمل بالتنسيق مع تاجر آخر أو أكثر،أو أن يتخذ له وكيلا في مدينة أخرى أو بلد آخر،فيجهز إليه السلع ليتولى بيعها،ثم شراء سلع أخرى يقوم بتصديرها إليه – أي إلى مجهز–وهذه العملية تتطلب وجود ثقة كبيرة بين التاجرين أو من تتم بينهم العملية،([2])وقد يلجا الى هذه العملية في حالة احتراف التاجر لمهنة أخرى ولا يرغبون في التنقل خاصة الفقهاء من أرباب الخطط الرسمية ([3]) وهذا ما أدى الى ظهور مهنة الوكيل الذي قد يخدم تاجرا واحدا ،أو يفتح حانوتا يخدم من يطلبه،وكان كل ذلك يتم وفق اتفاق مكتوب لا يتعداه([4]).

ويمكن أن نصنف التجار على أساس آخر وهو ما يمتلكونه من رأس المال وبوضعهم الاجتماعي والطريقة التي يستثمرون أموالهم بها، فمنهم من يستثمرون اقل من مائة دينار ويعملون لصالحهم الخاص،سواء كانوا مقيمين أو متنقلين، أما المجموعة الثانية فهم التجار الذين يستثمرون أكثر من مائة دينار الى غاية ألف دينار،أما المجموعة الثالثة فهي التي يفوق مقدار ما تستثمره الألف دينار([5]).

---

[1]. موسى عز الدين عمر ،النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري،دار الغرب الإسلامي،بيروت الطبعة الثانية.1464هـ/2003م،.ص282.

[2].لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع يرجى الاطلاع أو العودة الى كتاب"الإشارة الى محاسن التجارة "لأبي الفضل الدمشقي،تحقيق البشري الشوربجي، ط1،مطبعة الغد،الإسكندرية ،نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ،1977/1397، صص70–75.

[3]. . موسى عز الدين عمر، نفس المرجع ،ص281.

[4]. الونشريسي،نفس المصدر ،ج6،ص77، 119، ج2،ص944.

[5].لمزيد من المعلومات يرجى العودة إلى: موسى عز الدين،نفس المرجع،ص278 وما يليها.

و-التجارة مع السودان الغربي([1]):

إن امتداد الفيافي والقفار إلى أقصى الشمال كان عاملا أساسيا في غنى سكان تلمسان،بفضل التجارة التي كانت مزدهرة خاصة في العهد الزياني([2])، لأهمية موقع تلمسان الجغرافي،فكانت علاقاتها التجارية قوية مع بلاد المغرب والبلاد الاستوائية ([3])تستورد وتصدر السلع والبضائع المختلفة،حتى أنها عدت السوق المغربية الكبرى للسودان([4])،فكانت في اتصال مباشر مع سجلماسة والطريقين الرئيسيين العابرين للصحراء:طريق الغرب (لمتونه)التي تربط السوس بالأدرار الموريتانية[5]وطريق الوسط الموصلة إلى تمبكتو وغاو.....([6]).

كان التجار يرسلون سلعهم من تلمسان ووهران إلى ما وراء الصحراء ،عن طريق سجلماسة كما سبقت الإشارة إلى ذلك،أين تلتقي قوافل المملكة بنظيرتها من المغرب الأقصى ،لتؤم جميعها تمبكتو وغانا ،ومع قوافل أخرى تخرج من الصويرة ووادي نون فتؤم هي الأخرى موريتانيا والسنغال والمالي وغانا وغينيا ([7]).

---

[1].يقصد بالسودان الغربي المنطقة المشتملة على حوض السنغال حاليا وغامبيا و فولتا العليا والنيجر الأوسط وقد تكونت في العصر الوسيط من مجموعة من الممالك هي:غانا مالي وسنغاي وبرنو.لمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع يرجى العودة الى عبد القادر زبادية،مجلة التاريخ،عدد 9 ،النصف الثاني من سنة 1980،المركز الوطني للدراسات التاريخية،ص183 وما يليها.

[2]. بوعياد محمود،جوانب من الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري .الخامس عشر ميلادي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .ص34.الطمار عمرو محمد،الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1983.ص236.

[3]. cor venin Robert,opcit. p337

[4].العرب هم أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى،وسموا بلادهم بلاد السودان ،أما أصل التسمية فقد استوحوه من لون البشرة عند سكان تلك المنطقة. عبد القادر زبادية،نفس المرجع،ص11.

[5].مناطق مرتفعة هضابية تنتشر في وسط وشمال موريتانيا الحالية، يتراوح ارتفاعها ما بين 300 و500م فوق مستوى سطح البحر.

[6]. Corvenin Robert .op,cit. p337

[7]. بودواية مبخوت،نفس المرجع،ص313وما يليها،انظر أيضا: الطمار عمرو ،الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ص236.أو لطيفة بن عميرة ،نفس المرجع ،ص84ومايليها.

ومما يدل على نجاح وتقدم التجارة بتلمسان خاصة هو ظهور الشركات التجارية الصحراوية ،إذ ظهرت شركة المقريين([1])، الذين مهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار متخذين لذلك طبلا ورايات تتقدم عند المسير([2]).

كان التجار يقومون برحلة تجارية مرة في السنة وقبل الشروع فيها، يتجمعون للاستعداد لها بتوفير وسائل النقل،وتحديد طرق الرحلة والتزود بالماء واكتراء الدليل، ونفس الشيء كان قائما في بلاد المشرق إذ عني العرب بحراسة الطرق وتأمينها وإنشاء أماكن يستريح فيها المسافرون ،أو تيسير الماء فيها على الأقل([3])،وقد تعدت هذه الظاهرة البلاد العربية إلى بلاد فارس،وتعدت المسلمين إلى النصرانيين،إذ كانت الأديرة تقوم مقام الرباطات في تقديم الضيافة للتجار والعابرين.

بعد ذلك يتم تحميل الجمال، لتنطلق القافلة قاطعة المسافات الطويلة ،قد تتعرض فيها لجملة من الأخطار،كندرة الماء والرياح والعواصف و التيهان،فيهلك أهلها أو الكثير منهم،([4]) أو قد يتعرضون للنهب من طرف قطاع الطرق،([5])ولهذا كان التجار في كثير من الأحيان يستعينون ب"التكشيف"أو الدليل الذي كان له دور هام في بلوغ القافلة أهدافها،وقد كان يكترى حسب ابن بطوطة بمائة مثقال من ذهب للرحلة فيما بين مسوفة و ايولاتن،([6])وكان

---

[1].المقري ،نفس المصدر، ج5،ص205.

[2]. ورد في نفح الطيب تعريفا بهذه العائلة وشركتها ما يلي((ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار واتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير وكان ولد يحيى الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجال فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال فكان أبو بكر ومحمد وهما أرومتا نسبي من جميع جهات أمي وأبي بتلمسان وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة ،وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بإيوالاتن فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار وتزوجوا النساء واستولدوا الإماء وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر و السجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان))ج5،ص205.انظر أيضا، الميلي مبارك،نفس المرجع، ص484.

[3]كحالة محمد رضا،نفس المرجع، ص154.

[4].ابن بطوطة،تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،المكتبة التوفيقية القاهرة مصر بدون تاريخ.ص607.

[5]. بن عميرة لطيفة ،حولية المؤرخ عدد5،جوان 2005.دار الكرامة للطبع و النشر .ص88 .

[6].ابن بطوطة، نفس المصدر،ص608.

التجار يقطعون المسافة من تلمسان إلى بلاد السودان الغربي([1]) في مدة شهرين ونصف الشهر،[2]و تعود أسباب ازدهار التجارة عبر هذا المحور إلى عدة عوامل منها:اختناق النشاط التجاري في المنطقة الشرقية بعد زحف الهلاليين عليها في القرن الخامس الهجري[3].

3-السلع المتبادلة :

أ-واردات المغرب الأوسط: إن قائمة واردات المغرب من السودان الغربي طويلة تتشكل مما يلي:

التبر:([4]) وهي أهم مادة ضمن القائمة،وكانت متوفرة بمنطقة غاو و أودغست وغانة وغيرها،فينقل على ظهور الجمال عبر الصحراء إلى بلاد المغرب .

العبيد:لقد خصصت للعبيد بالسودان الغربي أسواق خاصة تسمى أسواق النخاسة،وخاصة في مدينة غاو،وغالبا ما كانوا يستخدمون في الأعمال الشاقة التي تتطلب جهدا عضليا،كالصناعة واستخراج المناجم والزراعة،ونقل البضائع وحراسة القوافل،كما استعملوا في أشغال أخرى داخل القصور والجيش وحراسة الملوك.

الرياش:وخاصة ريش النعام الذي كان يستعمل في حشو الأرائك والمخدات،وتتخذ منه المراوح،وكذا استعماله كمظهر من مظاهر الزينة.

بيض النعام:والذي كان يدخل في تركيب الأدوية،فكانت أسعاره مرتفعة.

---

[1].يضم السودان الغربي ثلاثة ممالك هي :مملكة التي قامت شرق السنغال وجنوب موريتانيا ،كما شغلت جزءا من مالي وربما غينيا حسب حسن إبراهيم حسن ،انتشار الإسلام في إفريقيا مكتبة النهضة المصرية ،الطبعة الثانية 1964،ص102. والإمبراطورية المالية التي سيطرت على الجزء الغربي لبلاد السودان الغربي ومملكة السنغاي التي تأسست ابتداء من القرن السابع الميلادي،وبسطت نفوذها على أراضي الإمبراطورية المالية.

[2].مارسي جورج،نفس المرجع،صص98، 99.

[3]. لطيفة بن عميرة ،نفس المرجع،ص84،83.

[4].يعرف محمد بن بكر الرازي التبر ب:"ما كان من الذهب غير مضروب ،فإذا ضرب دنانير فهو عين ،ولا يقال تبر إلا للذهب،وبعضهم يقوله للفضة.مختار الصحاح ،الجزء الأول، طبعة جديدة ،مكتبة لبنان، ناشرون ،1415هـ /1995م ،تحقيق محمود خاطر،ص31.

العـــــــاج:وهي المادة المكونة لأنياب الفيلة، كانت تجلب من مناطق الغابات جنوبي السودان الغربي،واستعملت في عدة أغراض تشكيلية وفي صناعة الأثاث.وغالبا ما كانت السلع الكمالية تتجه نحو الأثرياء([1]).

ب-صادراته المغربية الأوسط: تمثلت في مواد زراعية تفتقر إليها المنطقة نظرا لعدم تناسب مناخها وتربتها لاستنباتها ونموها، وبعض المواد المصنعة التي ينتجها المغرب الأوسط أو تأتي إليه من الضفة الشمالية للمتوسط.

فبالنسبة للمحاصيل النباتية نجد على رأسها القمح،الذي لم يكن في متناول جميع الفئات الاجتماعية،وإنما كان حكرا على الطبقة الراقية المتمثلة في الملوك والسلاطين والأثرياء،نظرا لارتفاع أسعارها،وهذا ما يؤكده قول ابن بطوطة بأنه بيع في القرن الرابع عشر بمدينة تاكدة بحساب عشرين مدا من أمدادهم بمثقال من ذهب([2])،كما اتجه التين التلمساني المجفف أيضا نحو هذه المنطقة وكان سعره مماثلا لسعر القمح[3]،فكان يلقى رواجا وإقبالا كبيرا من لدن سكانها،إضافة إلى الزبيب وعين البقرة،وكذا التمور.

أما بالنسبة للمواد والسلع المصنعة، فقد صدر أهل المغرب الأوسط بعض المنسوجات التي اشتهرت بها المنطقة،حتى أصبح بعضها لباسا مميزا للطبقة الراقية من ملوك وتجار وقضاة وغيرهم، لان لحمته كانت من الحرير الطبيعي وسداه من القطن،كما كان بعضها يجلب من أوروبا،وخاصة من شبه الجزيرة الايطالية.وصدرت نحوها أيضا الأسلحة والدروع والخوذ والخناجر والسهام والسكاكين والأواني المنزلية لأنها كانت أمما متخلفة في المجال الصناعي أو الحرفي، إذا ما قارناها مع بلدان المغرب الأوسط أو البلدان الأوروبية آنذاك.

3-مع الدولة الحفصية و المرينية: رغم قلة المصادر التي تعطينا صورة متكاملة عن التبادل التجاري بين هذه الكيانات الثلاث، إلا أننا يمكن أن نستنتج بعض الأمور الأساسية كالعامل السياسي وما كان له من دور أساسي في ازدهار أو انكماش التبادل

---

[1]. عبد الكريم جودت،الأوضاع الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين،د م ج، الجزائر،ص151.

[2].ابن بطوطة ،نفس المصدر،ص696.

[3] .Brunschivig,la berberie oriontale sous les hafsides;des origines a la fin du xv siècle ,paris1940-1947,tome 2,p237.

التجاري سواء من الناحية الشرقية أو الغربية أو كلتاهما معا([1])، وكذا المحاصيل والمنتجات المستوردة والمصدرة انطلاقا مما ذكره الرحالة العرب عن منتجات كل منطقة.

فمن بين ما كان يصدر نحو الدولة الحفصية، السفرجل الذي يتجه من تنس الى المسيلة و القيروان([2])،إضافة الى العسل والسمن والتين الذي يخرج من جزائر مزغنة نحوها([3]).وبعض الفواكه،والقمح والشعير في سنوات الخصب التي كانت تصيب المنطقة من فترة لأخرى كما هي الحال بالنسبة لباقي بلاد المغرب الأوسط،وبعض المصنوعات. أما وارداتها فيمكن حصرها في الفستق والعطور والأحجار الكريمة([4])،والشمع والمرجان والملح والأسماك المملحة والصابون والحديد([5])،كما لا نستبعد استيرادها للتوابل و المنسوجات الحريرية والوشي والبردي والقطن والعطور القادمة من بلاد المشرق باعتبار أن الدولة الحفصية كانت تلعب دور الوسيط التجاري بين الشرق والغرب الإسلامي.

أما بخصوص المغرب الأقصى،وفي ظل غياب المصادر التي أرخت للمبادلات التجارية بينه وبين المغرب الأوسط،وتعكر صفو العلاقات التجارية في أغلب الفترة التي امتدت وعاشت فيها الدولتان،يمكن أن نتصور تبادلا لبعض السلع بشكل فردي لا رسمي،لكننا يمكن أن نستنتج بأن هناك بعض المواد التي استوردها المغرب

---

[1].لا يمكن أن نتصور وجود تبادل تجاري رسمي على الأقل بين الدولة الزيانية وإحدى الدولتين في فترات العدوان أو الحروب التوسعية.أما الحالة الثانية فهي حالة الحصار المريني المضروب على تلمسان والذي دام قرابة الثماني سنوات فمن خلال الحالة التي وصل إليها سكان المدينة من أكل الجيف والقطط والثعابين وغيرها ندرك بان الدولة انقطعت تجاريا وسياسيا عن العالم ككل .

[2].عبد الكريم جودت،نفس المرجع،ص215.

[3]. الإدريسي،نزهة المشتاق، ،عالم الكتب،بيروت الطبعة الأولى،1989، ج1،ص258،انظر أيضا ابن حوقل،المصدر ذاته ص76.

[4]. الحموي ياقوت،معجم البلدان،ج4،دار إحياء التراث ،بيروت،1979.ص385.

[5].انظر عاشور بوشامة،مرجع سابق، ص404.

الأوسط،كالسكر المعروف بالطبرزد والذي اشتهرت به بلاد السوس،فتواجدت بها العديد من معاصره،فكان يصدر الى جميع بلاد المغرب والأندلس([1]) ومعدن النحاس الذي فقت جودته كل أنواع النحاس الأخرى من منطقة داي أسفل جبل درن([2]) ولا نستبعد أيضا استيراده للقطن الذي اشتهرت به المنطقة،والذي كان يصدر الى كل الجهات([3]) وبالمقابل انتقلت بعض المحاصيل من المغرب الأوسط نحو المغرب الأقصى وعلى رأسها الحبوب وهذا لانخفاض أسعارها ووجود فائض منها خاصة بمنطقة تنس([4])،التي كانت تخرج منها الأطعمة ليس نحوها فقط بل الى بلاد الأندلس وافريقية([5]).

4-مع بلاد المشرق: أكد صاحب الاستبصار وجود علاقة بين بلاد المشرق والمغرب الأوسط حين ذكر بأن سفن المسلمين كانت ترسو في ميناء بجاية قادمة من الإسكندرية[6] ونجد عبد الكريم جودت يوفينا ببعض السلع التي يمكن لتجار المغرب الأوسط أن يكونوا قد استوردوها من المنطقة ،كالسيوف والصمغ واللؤلؤ من اليمن،وخشب الساج والرخام من بغداد والوشي من الكوفة ،إضافة الى التحف

---

[1]. الاستبصار،ص212.

[2].الإدريسي،نفس المصدر السابق، الجزء الأول،ص241

[3].نفسه،الصفحة عينها.

[4].ربما تكون المنطقة المقصودة هي تونس ،لتوافق ما ورد في كتاب الاستبصار عنها بقول أحد الشعراء :

أيها السائل عن أرض تنس ***بلد اللؤم لعمري والدنـــس

بلد لا ينزل القطر بهـــــا***للندى في أهلها حرف درس

وقوله عن منطقة السرت"وأهلها أخس الناس خلقا وأسوأهم معاملة،لا يبيعون ولا يبتاعون إلا بسعر اتفقوا عليه...."الاستبصار،ص130

[5]. الاستبصار،ص133. الحموي ياقوت،نفس المصدر،ج1،ص314، ج2،ص48.

[6].نفسه،ص130.

والطرائف لتزيين القصور والتي تعدها الى بلاد الأندلس ،وماء الورد والطيب والكافور والكركم الذي ينفع في علاج الجرب وتجفيف القروح وغيرها([1]).

المبحث الثاني:الواقع الاقتصادي في الضفة الشمالية للمتوسط.

1-في شبه الجزيرة الأيبيرية

-في بلاد الأندلس:رغم قلة المصادر التي تناولت الجانب الاقتصادي للمنطقة في الفترة المدروسة ،إذ نجد أن معظمها متقدم أو متأخر عنها،لكننا استطعنا أن نخرج بفكرة واضحة عن هذا الجانب.

-1-الزراعة: امتازت بلاد الأندلس بغناها وتنوع محاصيلها الزراعية، وجنانها التي احتوت كل أنواع الغلال والثمار، التي كانت تتصل طول الزمان، فلا تكاد تعدم أو تعرف انقطاعا طيلة أيام السنة([2]) وهذا ما ندركه من خلال وصف الكثير من الجغرافيين والرحالة لها كالإدريسي وابن حوقل وابن سعيد وغيرهم.

فبالنسبة للقمح فقد تركزت مناطق إنتاجه أبده وجيان و بيورة و شريش([3]) وتواجد الشعير بغرناطة([4])وجيان([5]) و شريس و أبدة([6])و قرمونة([7])، أما الأرز الذي يحتاج الى مياه وافرة وحرارة مرتفعة فبلنسية اعتبرت آنذاك من أهم المناطق المنتجة له الى جانب اشبيلية([8]) واشتهرت بلنسية ومدينة قلعة أيوب ولقنت ومرسية واشبيلية،وشانت مارية بالأعناب

---

[1]. لمزيد من الاطلاع على هذه المواد يرجى العودة الى : جودت عبد الكريم يوسف،مرجع سابق،ص232 و ما يليها.

[2].المقري ،نفس المصدر السابق،ج1،ص140.

[3].الإدريسي،النزهة،ج2،ص572، 573.

[4].ابن سماك العاملي-أبو القاسم محمد بن أبي العلاء -،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،طبعة تونس 1329.ص66.

[5].الإدريسي، النزهة،ج2،ص 568.

[6] نفسه،ج2،ص572. 573

[7]. نفسه،ج2،ص572.

[8].أبو مصطفى كمال السيد،نفس المرجع ،صص.122،121.

والتين([1]) الذي اتخذ إشكالا وأسماء مختلفة ،كالقوطي والشعري ،وقد قال فيهما ابن سعيد "وهذان صنفان لم تر عيني ولم أذق لهما منذ خرجت من الأندلس ما يفضلهما..."([2]) أما الحنطة فتواجدت بعدة مناطق، أهمها فحص لشبونة و شنترين، إذ لم يكن عمر هذا المحصول ليتجاوز الأربعين يوما بداية من زراعته حتى يكون جاهزا بعدها للحصاد ([3])أما اشبيلية([4])ورندة فاشتهرتا بانتا جهما الغزير للقطن([5]).

و تواجد نبات الزعفران -azafran بالأسبانية -بكميات وافرة بوادي الحجارة([6])، والتي تقع إلى الشرق من طليطلة([7]) إضافة إلى منطقة بياسة([8]) وبسطة التي كانت تنتج ما يكفي بلاد الأندلس بأكملها،([9])وأبده، التي هي من أعمال جيان ([10]) أما قرطبة فاشتهرت بزراعة الكتان وكثرة ثمارها،لأن بلاد الأندلس لم تخل من الجنان التي احتوت على أشكال شتى من الكروم خاصة بالمنكب،فكانت تجفف ليصنع منها الزبيب،وجملة أخرى من الفواكه كالرمان السفري

---

[1].ابن حوقل، نفس المصدر،صص115، 116.انظر أيضا الإدريسي،النزهة،ج2،ص543

[2].نفسه،ص200

[3].الإدريسي،القارة الإفريقية ،ص273.

[4]. الحموي ياقوت،المعجم،ج1،ص195.

[5].ابن سعيد،المغرب في حلى المغرب،دار المعارف،القاهرة،الطبعة الثالثة،1955،تحقيق شوقي ضيف ،ج1،ص329.

[6].تقع على مسافة 57 كيلومترا من مجريط وهي مبنية على الضفة اليمنى لنهر هينارس فيها تزوج فيليب الثاني بالملكة إيزابيلا و بها دفن القائد العسكري الأول لغرناطة،الكونت طونديلا،بعد استردادها من طرف الاسبان.لمزيد من الاطلاع يرجى العودة إلى كتاب ،الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية،بقلم الأمير شكيب ارسلان الجزء الثاني،دار الفكر العربي القاهرة،بدون سنة،ص71،70،69.

[7].اليعقوبي،نفس المصدر ،ص111.

[8].الإدريسي، نفس المصدر السابق،ج2،ص569،المقري،نفس المصدر ،ج1ص71.ياقوت الحموي، نفس المصدر،ج1،ص518.

[9].انظر القلقشندى ،صبح الأعشى،ج5،ص214.

[10].الحموي ياقوت،نفس المصدر،ج1، 518.

والخوخ والجوز واللوز([1]) والتفاح و القراسيا([2])وغير ذلك مما يطول ذكره. أما السكر فكان إنتاجه قليلا في بلاد الأندلس،باستثناء المنكب التي كانت منطقة إنتاجه الرئيسية([3])

وتواجدت الحلفاء بكثرة في لقنت إذ كانت تنقل إلى جميع بلدان البحر المتوسط([4]) وتواجد الصنوبر والخشب بكونكة وجيان التي هي من ضواحي بلنسية وكان يحمل إلى دانية و إلى بلنسية([5])وتواجد الموز بشمجيلة([6]) الذي لا يتواجد بالمناطق والأقاليم الباردة([7]) أما قصب السكر فقد تواجد بشلوبانية([8])-salobrena-وشمجيلة القريبة من البحر([9]) والزيتون في جميع أنحاء الأندلس بما في ذلك منطقة جبل أو إقليم الشرف([10]).أما منطقة طليطلة وضواحيها فقد اشتهرت بإنتاج البلوط الذي فاق طعمه كل صنوف البلوط الأخرى ،فكان يصنع ويتخذ كاحتياطي لأيام الجوع والمسغبة([11]).

سادت تربية المواشي والأبقار خاصة بمدينة طليطلة([12])،وتحديدا بجل الشارات الواقع شمالها،إذ كانت تمتاز بكثرتها وبسمنتها حتى صارت مضربا للمثل في كل أنحاء بلاد الأندلس ([13]) وبمدينة شريس التي اشتهرت بألبانها وأجبانها، فلم يكن لأحد أن يزورها دون أن

---

[1].انظرالمقري ،نفس المصدر،ج1،ص200.

[2].الإدريسي،نفس المصدر السابق،ج2،ص726.

[3].القلقشندى،نفس المصدر،ج.5. 176.

[4].الإدريسي ،النزهة ج2،ص558.

[5].نفسه ،ج2،ص286.انظر أيضا:ياقوت الحموي، نفس المصدر، ج5،ص13.

[6].الحموي ياقوت ،نفس المصدر ،ج3،ص361

[7].نفسه،ص200

[8].ذكرت هذه المنطقة لدى صاحب نفح الطيب،ج4،ص425ولدى صاحب نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر،دار إحسان للنشر،دمشق،الطبعة الأولى 1404،تحقيق،الدكتور محمد رضوان الداية،ص110.في قضية حصارها واستردادها من قبل أمير غرناطة.

[9].الحموي ياقوت،نفس المصدر ،ج3،ص361.

[10].الإدريسي، النزهة،ج2،ص537،ياقوت،المعجم،ج3،ص336، 337.

[11].أنظر الإدريسي،نفس المصدر،ج2،ص580.

[12].تعتبر طليطلة متوسطة ومركز بلاد الأندلس، ويقسم جبل الشارات جزيرة الأندلس إلى قسمين شمالي وجنوبي، تقع قشتالة وليون في شماله.أنظر الإدريسي،نفس المصدر،ج2، ص536 .

[13].نفسه ص276.

يأكل من أجبانها([1])وقرطبة وشرف واشبيلية وشلب.وتربية الحمام والدجاج بغرض أكلها وبيعها والاستفادة من زبلها في تخصيب الأرض([2])، دودة القز المنتجة للحرير بمدينة جيان التي احتوت على ثلاثة آلاف قرية يمارس بها هذا الصنف من العمل إضافة الى العسل([3])، كما سادت حرفة الصيد البحري على طول سواحل شبه الجزيرة الأيبيرية بواسطة الشباك([4])وخاصة بالمرافئ كمدينة المنكب([5]).

لعل من بين العوامل التي ساعدت على ازدهار هذا القطاع كثرة المياه التي كانت تجري بأنهار الأندلس،فأقيمت على ضفافها تلك البساتين والحدائق الغناء، ناهيك عن العيون المنبجسة والمغدودقة([6])،وملائمة المناخ وخصوبة الأرض والتربة([7])، إذ يحكى أن الزرع في بعض المناطق كان يثمر بسقي مطرة واحدة([8]).فلم يكن ما يشبه بلاد الأندلس من حيث خصوبتها ورونقها وغزارة مياهها سوى مدينة فاس ودمشق([9])،أما أهم عامل فهو بشري أي جهود أهل الأندلس المسلمين من أجل استنبات الأرض واستغلالها ،وما يؤكد ذلك هو التراجع الحاد الذي عرفه هذا القطاع بعد طرد المسلمين من المنطقة والذي كان عاملا من عوامل تحريك شهية الاستعمار عبر البحث عن مناطق خارج شبه الجزيرة الايبيرية.

2- الصناعة: قبل أن نشرع في الحديث عن هذا القطاع لا بأس أن نتطرق ولو بصفة وجيزة عن الثروة المعدنية التي تواجدت بالمنطقة وأهمها: الغاسول الذي تواجد بطليطلة، وكان ذا نوعية جيدة،يتجهز به إلى كل من مصر وبلاد الشام والعراق وبلاد الترك،وقد احتوت المنطقة نفسها

---

[1]. المقري،نفس المصدر السابق،ج1،ص184.

[2]. موسى عز الدين عمر،نفس المرجع،ص202.

[3]. الإدريسي، النزهة، ج2،ص568.

[4]. ابن سعيد ،الجغرافيا،120،107.

[5]. نفسه،ج2، 564.

[6]. الإدريسي،نفس المصدر ،ج2،ص 568،546 ،انظر أيضا المقري،نفس المصدر السابق،ج 1،ص140.

[7]. المقري، نفس المصدر،ج1،ص140.

[8]. نفسه،ص168.

[9]. نفسه،ص209.

على معدن النحاس والحديد([1]) كما تواجد الذهب في شنت ياقوه([2]) على البحر المحيط الأطلسي–و الفضة بشنتره ([3])وتدمير وليون ([4])والزئبق بقرطبة، وجبال البرانس pirinee(5)والكبريت بنوعيه،الأصفر والأحمر([6])،النحاس والصفر في شمال الأندلس([7])و الطفل بجبل بطليطلة، الذي اخذ اسمه من اسم المعدن،أما الرخام فتواجد بجبال قرطبة، وهو من النوع الأبيض والخمري، و احتوت المرية على الرصاص وتحديدا بمنطقة" دلاية" أما الحديد فتواجد ب"بكارش" قرب المرية و ب"أوربة" بين شاطبة ودانية([8])، و الشب بلبلة([9])و الكبريت الأحمر في مرسية والكحل في بسطة([10])و طرطوشة([11]) وتواجدت الفضة في مرسية و باغة بقرطبة([12]) أما الذهب فكان قليلا، ويستورد معظمه من بلاد السودان([13]).

عرفت بلاد الأندلس تخصصا في الكثير من الصناعات التي ذاعت بها شهرة منذ العصر الأموي، وازدادت رسوخا وتقدما في العهد المرابطي كصناعة النسيج التي تركزت بالمرية التي اشتهرت بالمنسوجات الحريرية الموشاة بالذهب ذات الصنائع الغريبة على حد تعبير ابن سعيد([14]) ،فكان ثمن الحلة الموشية من إنتاجها يتجاوز آلاف الدنانير([15]).وهذا ما يدل على انتعاش هذه الصناعة في أواخر أيام الموحدين،وتواجدت مدن ومناطق أخرى اختصت

---

[1] المقري، نفس المصدر، ج1،ص276.

[2]. نفسه ،ص200.

[3]. المراكشي عبد الواحد،نفس المصدر ،ص260.

[4].المقري،النفح، ج1،ص143.

[5].نفسه،الصفحة عينها.

[6].نفسه، الصفحة عينها.

[7].نفسه ،ص200.

[8].المراكشي عبد الواحد، المعجب، ص363،نفح الطيب، ج1،ص.162 .

[9].ابن سعيد، المغرب، ج1،ص 339.

[10]. ابن سعيد،.كتاب الجغرافيا،ص96.

[11].المقري،نفس المصدر السابق، ج1،ص143.

[12].نفسه، ج1،صص159، 200.

[13].المراكشي عبد الواحد، نفس المصدر،ص261.

[14].ابن سعيد،نفس المصدر السابق،ص140

[15].المقري،نفس المصدر، ج3،ص219.

بالنسيج كقرطبة وبلنسية، و مرسية التي أصبحت مقصدا لمن يريد تجهيز عروسا في بلاد المغرب([1]) ، كما برع أهل الأندلس عموما بصناعة الستور المكللة والمعا جر حسب رواية ابن سعيد وغرناطة وبسطة بالملبد المختم ذي الألوان([2])،وظلت هذه الصناعة مزدهرة الى أيام بني عباد([3]) كما برع أهل الأندلس في الصناعات الصوفية لتوفر المادة الضرورية لذلك وهي الصوف إضافة الى برودة الجو في فصل الشتاء التي دفعت أهل المنطقة الى مزاولتها طبقا للمقولة –الحاجة أم الاختراع–وإقبال جميع شرائح المجتمع فقراء وأغنياء لاقتنائها،وقد اختصت بها شنترين([4]).

كما ازدهرت صناعة الورق و الكاغد، لما لها من علاقة مع صناعة النسيج بحكم المادة الأولية التي تجمعهما وهي القطن والكتان، وقد بدأت صناعته في المشرق لتنتقل الى بلاد الأندلس مع الأمويين،ولعل أهم مدينة اشتهرت بهذه الصناعة هي شاطبة والتي كان يعم ورقها المشارق والمغارب([5])،لتتوسع فيما بعد الى مناطق أخرى في العهد الموحدي مثل بلنسية([6]) نظرا لتوفرها على المادة الأولية أكثر مما في شاطبة، ومما يدل على جودة الورق في ذلك العهد رواية المقري عن الورقة التي كتب عليها احد المغاربة الى الكامل الأيوبي ما نصه "في ورقة بيضاء،إن قرئت في ضوء السراج كانت فضية،وان قرأت في الشمس كانت ذهبية ،وان قرأت في الظل كانت حبرا اسودا"([7]).

وانتشرت صناعة الزيوت المستخرجة من الزيتون والكتان([8]) ومن بين المناطق التي اشتهرت باستخراج الزيوت،اشبيلية إضافة الى شوذر ولقنت([9])والذي كان يصدر الى باقي بلاد

---

[1]. ابن سعيد،المغرب، ،ج2،صص.245.246.

[2]. المقري،نفس المصدر،ج1،ص201

[3].نفسه،ج1،ص159.

[4].المقري،نفس المصدر،ج1،ص201.

[5].الإدريسي،النزهة،ج2،ص556..

[6]. موسى عز الدين ،النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري،الطبعة الأولى، 1403–1983،دار الشروق،ص224.

[7].المقري،نفس المصدر،ج4،صص326، 327.

[8].أبو مصطفى كمال السيد،نفس المرجع،ص239.

[9].ابن سعيد المغربي، المغرب ،ج2، ص274.

الأندلس والى مشارق الأرض ومغاربها.وقد استعمل أهل الأندلس طاقة الماء أو قوة الحيوان في عملية استخلاصها([1]).

ورغم ما ورد بشان الخمر،من حرمة صنعها و بيعها و شربها أو حتى المشاركة في أي مرحلة من مراحل تصنيعها،إلا أنها ظلت متداولة بين خاصة وعامة أهل الأندلس شانهم في ذلك شان باقي البلاد الإسلامية،فقد وردت إشارات من عبد الواحد المراكشي على أنها كانت متداولة قبل يعقوب المنصور،الذي أراق المسكرات،أي أنها كانت موجودة قبله.وقد اختصت بصنعها مرسية والمرية من التين والزبيب([2])، وكانت تشتهر بها في القرن السادس كل من مرسية ولورقة و مالقة وبلنسية واشبيلية([3]).

وازدهرت حرفة طحن الغلال في الطواحين و الأرحاء على طول الأنهار التي تخترق بلاد الأندلس،كوادي بجانة([4]) و قلمرية([5])و باغة ونهر "بلون" بجيان التي تواجدت بها تلك الأرحاء على أبواب المنازل([6]).

نظرا لتوفر الجلود المستمدة من الحيوانات،وتوفر المواد المساعدة في عملية الدباغة،كمادة الزعفران والقرمز والنيلة و الشب الذي يستعمل في تثبيت الألوان، إضافة الى وفرة المياه([7])،فقد ازدهرت الصناعات الجلدية ازدهارا كبيرا ببلاد الأندلس، فقد اشتهرت مالقة بكونها مركزا لصناعة الأغشية والحزم والمدورات الجلدية،كما برع أهل اشبيلية وغرناطة في صناعة الأحذية([8])وقد احتفظت بعض المناطق والمدن بهذه الصناعات حتى بعد حركة الاسترداد المسيحي([9]).

---

[1]. أبو مصطفى كمال السيد،نفس المرجع،ص240.

[2].ابن سعيد المغربي،المغرب،ج2،ص.274.

[3].نفسه،ج1،ص224،ج2،ص274.

[4].الإدريسي، نزهة المشتاق.ج2 ،562 .

[5].نفسه ،ج2، ص 547.

[6]. الإدريسي،نفس المصدر السابق،ج2، ص 568.

[7]. كانت دور الصباغة تتخذ على ضفاف الأنهار،وكانت هذه الحرفة تتطلب مياها كثيرة لغسل الجلود وتنظيفها.

[8]. انظر الى، احمد موسى عز الدين ،نفس المرجع، ص230.

[9].أبو مصطفى كمال السيد،نفس المرجع،ص250.

أما بخصوص الصناعات الخشبية،فقد ارتبطت أيما ارتباط بصناعة السفن، وخاصة على عهد دولتي المرابطين والموحدين،فقد وجدت دور الصناعة أو القطائع في كل من المرية،التي كانت من أهم القواعد البحرية لدى المرابطين لدفع الخطر المسيحي الاسباني على السواحل الإسلامية،إضافة الى دار شلب ودانية ولقنت([1]) وغيرها.وتواجدت فروع أخرى لهذه النشاط كصناعة الأبواب والشبابيك والجوائز الخشبية اللازمة لأسقف المنازل وصناعة الأسرة والأرائك وغيرها([2]) أما صناعة الزجاج فانتشرت بمرسية، المرية و مالقة([3]).

ولم تغب عن بلاد الأندلس بعض الصناعات التقليدية،كمراوح الحلفاء التي انتشرت بغرناطة، وأطباق الخوص بالمرية، والأسرة المرصعة والحصر الفتانة بمرسية و الأمقاص والسكاكين من الحديد والصفر([4])،وكل ما تحتاجه المنازل من أوان.

وبالمقابل نجد الإمارات النصرانية قد برعت في العديد من الصناعات، كقشتالة التي برعت في صناعة الأسلحة،ووجدت بها دار صناعة للأسلحة تزود كل بلاد الفنش([5]) على حد تعبير ابن سعيد([6]) وخاصة السيوف.

التجـــــــــارة:

التجارة الداخلية:شهدت المنطقة بشكل عام، نشاطا تجاريا هاما منذ عهدا لموحـــدين وحـــتى أواخر أيام غرناطة([7]) المعقل الأخير للمسلمين بـــالفردوس المفقـــود كمـــا يحلـــو للـــبعض تسميتها،وقد توفرت ببلاد الأندلس العديد من الفنادق عبر الطرق التجارية البرية باعتبار أن معظم انهار المنطقة غير صالحة للملاحة،فلم يكن التجار المسافرون في الأندلس في حاجة للتزود

---

[1].الإدريسي، النزهة،ص543 ،558. 557.

[2]. أبو مصطفى كمال السيد،نفس المرجع،ص 254و255.

[3]. انظر الى ابن سعيد،المغرب، ج1،ص 424والمقري،نفح الطيب، ج1،ص 162و 202.

[4]. انظرالمقري،نفس المصدر، ج1،ص201.

[5]. نسبة الى أدفونش بن برمند ملك جليقية. أنظر:القلقشندى، نفس المصدر، ج5،ص257.

[6].ابن سعيد،كتاب الجغرافيا،ص180، 181.

[7].Sanchez Claudio,l,Espagne musulmane,traduction,Claude faraggi,opu,1985 ,

بالماء والزاد لكثرة مياها ولكثرة المنازل على الطريق([1]) كمنزل إبان على الطريق بين قرطبة واشبيلية([2])ومنزل حصن مراد،ومنزل قرطبة([3]).

كانت بلاد الأندلس مليئة بالأسواق التي تنم عن حركية في تجارتها الداخلية، فلا يمكن أن نجد مدينة تخلو من سوق أو أكثر،ومن أهم الأسواق والتي استمرت إلى غاية القرن الخامس عشر سوق طرطوشة وسوق بلنسية وشانت ماريه واوريوالة وسوق مدينة بطليوس وطلبيرة وغيرها([4])وقرطبة التي كان تجارها مياسير لهم أموال كثيرة،والتي كانت تتشكل من خمس مدن متلاصقة،لكل منها سوقها الخاص الذي يغطي حاجيات أهلها([5])، فكان لكل بلدة سوق خاصة بها،لتداول السلع والحاجيات اليومية، وتواجدت أسواق أخرى تميزت بنوع من التخصص،كسوق شاطبة الذي اشتهر بتجارة الكاغد وكونكة بتجارة الخشب،واحتوت اشبيلية على جملة من الأسواق كسوق العطارين وسوق البزازين وسوق المرابطين وسوق الخياطين([6])،كما اختصت قرطبة بأسواق الكتب فكان على كل من أراد بيع كتاب أو شراءه التوجه اليها في حين اختصت اشبيلية بسوق الآلات الموسيقية([7]).كما اشتهرت ليون بشساعة تجارتها ومعاملاتها نظرا لكثرة أموالها([8])،واحتوت الى جانب ذلك على العديد من الأسواق المحلية كسوق افراغة و وشقة ذات المتاجر العامرة([9]) ، وعلى غرار بلاد المغرب الأوسط تواجدت بها القيساريات التي تتألف من شبكة من الطرقات الضيقة المسقوفة التي تنفتح عليها الحوانيت([10]).

---

[1].انظر الى، أبو مصطفى كمال السيد،نفس المرجع،ص281.

[2].الإدريسي،النزهة، ج2،ص574.

[3].نفسه، ج2،ص 574،573.

[4].الإدريسي،القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس،ص275،274 ،279، 284.

[5].الإدريسي،النزهة، ج2،ص575.

[6].أنظر الى أبو مصطفى كمال السيد،نفس المرجع،ص297.

[7].المقري،النفح، ج1،ص155، ج2ص255.

[8]الإدريسي، النزهة، ج2، ص731.

[9].نفسه، ج2،ص732، 733.

[10]. أبو مصطفى كمال السيد،نفس المرجع،ص304.أنظر أيضا عبد العزيز سالم ،العمارة المدنية في الأندلس ،دائرة معارف الشعب، العدد 1956،64،ص145.

و من هذه القيساريات،قيسارية اشبيلية و قيسارية بلنسية و قيسارية المرية و قيسارية غرناطة التي ظلت تحتفظ بنمطها وطابعها الإسلامي الى غايــة 1843م السنة التي شب فيها حريق أدى الى تدميرها([1]).

و لكن سرعان ما تعرضت الحركة التجارية لانتكاسة عظمى عقب معركة العقاب نتيجة عدم استتباب الأمن واستحواذ النصارى على المدن الاسبانية،لتعود الى الانتعاش في عهد بني الأحمر بعد أن استقرت الأمور نسبيا وارتسمت الحدود السياسية لفترة معتبرة نسبيا ثم تنتكس ثانيــة بعد الهجمة الأخيرة على ما تبقى من البلاد الإسلامية خاصة بعد الفتور و التراجع الــذي ألم بالقطاع الزراعي خاصة، وذلك بعد مغادرة المسلمين للمنطقة.

ب/في شبه الجزيرة الايطالية : من خلال وصف الإدريسي وابن حوقل لشبه الجزيرة الايطالية ندرك مدى الرخاء والخصب والحركية التجارية التي كانت عليها.

الزراعة: ففي المجال الزراعي نجدها قد احتوت على سهول خصبة منتجة لأهــم أنــواع الزروع والأشجار([2])،نظرا لما بها من مناخ رطب ساعد على نجاحها وتنوعها،فنجــد مدينــة بيش([3]) المشهورة الذكر، الكبيرة القطر الكثيرة البساتين والجنات المتصلة الزراعات،ومدينــة جنوة الحسنة الجهات والأفناء الوافرة الثمر الكثيرة المزارع والعمارات([4]) ومدينة نابل الــتي اشتهرت بإنتاج أجود أنواع الكتان ([5])و مدينة شنت جيلي عامرة الجفن، رائقة الحسن، كثيرة المياه والأشجار، غزيرة الفواكه والثمار([6]) و مشيلية المدينة الصغيرة المتحضرة،التي اشتهرت بإنتاج الكروم وشتى أنواع لزراعات ([7])، ومدينة إيرش القريبة من البحر التي اشتهرت بكثرة

---

[1].سالم عبد العزيز،نفس المرجع السابق،ص146.

[2].ابن حوقل، نفس المصدر،ص202.

[3].تبعد هذه المدينة عن جنوة بحوالي 112ميلا.

[4].الإدريسي،النزهة،ج2،ص749.أنظر أيضا القلقشندي ،نفس المصدر،ج5،ص382.

[5].ابن حوقل، نفس المصدر،ص203.

[6]. الإدريسي،نفس المصدر السابق،ج2،ص739.

[7].نفسه.ج2،ص739.

الشجر و الخيرات([1])،وتسكانا المشهورة بزعفرانها([2]). أما سلرن التي تقع بالقرب من نابل، فاشتهرت بإنتاجها الكثير للبندق الذي كان يؤخذ الى كل الأنحاء([3])، والبندقية بالأخشاب والسناقر بجبل اشكفونيه والذي كانت معظم مباني البندقية منه.

تواجدت الحنطة بكثرة في مدينة آجن الصغيرة، وهذا إلى جانب زراعات أخرى كثيرة، كزراعة الكروم والفواكه، التي ساعدت على نجاحها خصوبة التربة وغزارة المياه([4]) .

وسادت تربية الخيول في الكثير من جهات المنطقة وخاصة مدينة بيش التي اعتاد سكانها على ركوبها([5]) و لا يمكن أن نستبعد هنا باقي أصناف الحيوانات من غنم وأبقار وحمير وغيرها باعتبار أن الجزيرة ملائمة جدا لهدا النشاط بم احتوته من خصب ومياه ومراعي،أما بالنسبة للصناعة فقد اشتهرت المنطقة بصناعة الأجفان والمراكب بحكم الموقع الجغرافي للمنطقة واشتغال معظم الايطاليين في التجارة وركوب البحر([6]).

أما بالنسبة لجزيرة صقيلية([7]) والتي يمكن أن نعتبرها امتدادا لها،فرغم غلبة الطابع الجبلي عليها،إلا أن أكثر أرضها كانت مزروعة بمختلف المحاصيل،فهي جزيرة فسيحة جليلة، فنجد بلرم([8])تشتهر بنبات البربير– أي البردي– الذي يفتل حبالا لمراسي المراكب([9])

---

[1].الإدريسي نفس المصدر، ج2،ص 739.

[2]. انظر،القلقشندي،نفس المصدر، ج3،ص245.

[3]ابن سعيد ،كتاب الجغرافيا،ص169.

[4]. الإدريسي،نفس المصدر السابق، ص740.

[5].نفسه،ص750.

[6].نفسه، الصفحة ذاتها.

[7].يصف ابن حوقل هذه الجزيرة قائلاً" جزيرة على شكل مثلث متساوي الساقين زاويته الحادة من غربي الجزيرة، وهي في شرقي الأندلس في لج البحر،نفس المصدر، ص118،أنظر أيضا ،القلقشندي،نفس المصدر، ج5،354 .

[8].بلرم بفتح الباء واللام وتسكين الراء،كلمة رومانية تعني المدينة،وهي أكبر مدن صقيلية،ياقوت الحموي المعجم، ج1، ص483.

[9].ابن حوقل،نفس المصدر، ص122-123.

وكثرة أعنابها وفواكهها([1])، بلهرا ببساتينها وكرومها الكثيرة([2])، كما اشتهرت صقيلية ككل بإنتاجها للبصل([3])،الذي كان يمثل غذاء للكثير من سكانها([4]) . وكان فيها وتحديدا بجبل النار([5]) الكثير منا الأشجار و الشعارى العظيمة، أكثرها من البندق-القسطل- والصنوبر والأرزن([6])،أما جبل حامد الشامخ الذروة الذي يبعد نحو عشرة أميال وهو جبل عظيم شامخ الذروة عالي القمة حصين منيع من الارتقاء إليه فوجد في أعلاه هضبة سهلة للزراعة ومناسبة لها بما احتوته من مياهه كثيرة،([7]) وبقربه تواجدت أنهار وأودية أقيمت على حوافها بساتين وجنات ومزارع ومتنزهات،احتوت على شتى أنواع الثمار([8]) أما برطنيق التي تبعد اثنا عشر ميلا عن ألحمة،فهي بلدة جميلة وطيبة، حسنة المنظر بهية، زرع بها القطن الكثير، والحناء وغير ذلك من أصناف القطاني،بفضل ما حبيت به من مياه غزيرة.([9])

المعادن:تواجدت بالمنطقة العديد من المعادن، فبجزيرة صقيلية تواجد الذهب في كل مكان،الى جانب الشب والكحل والفضة و الزاج([10]) والحديد

---

[1].الادريسي،النزهة،ج2،ص603.المقدسي محمد بن احمد، أحسن التقاسيم ،وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق، سوريا، ، 1980،تحقيق احمد طليمات،ص204.

[2].نفسه، ص123.

[3]. الحموي،المعجم،ج1،ص483.

[4]. ابن حوقل،نفس المصدر، ص124-125.

[5].عرف بهذا الاسم نظرا لما يقذف به من نار وحمم طيلة أيام السنة،وكان يعرف أيضا بجبل الذهب،سماه الروم بذلك لزعمهم باحتوائه على الذهب.ابن عبد الله الحموي-ياقوت-معجم البلدان،ج3،ص418.

[6].محمد بن أحمد الحموي ياقوت،نفس المصدر،ج3،ص418.

[7].الإدريسي،نفس المصدر السابق،ج2،ص603.

[8].نفسه،ص603.

[9]. نفسه،ص603.

[10]. قال الأزهري في كتاب لغة الفقه إن الشب يعني بالباء الموحدة وهو من الجواهر التي أنبتها الله في الأرض يدبغ به شبه الزاج>>و الشب حجارة بيضاء يتخذ منها الزاج، اشتهرت به بلاد اليمن،إذ كان شبها أبيضا له بصيص شديد، وقيل الشب دواء معروف، وقيل الشب شيء يشبه الزاج، الشب حجر معروف يشبه الزاج تدبغ به الجلود. انظر ابن منظور ،نفس المصدر،ج2ص159و192.

والرصاص،كما تواجد النوشادر في جبالها وخاصة بجبل النار، فكان يحمل الكثير منه إلى بلاد الأندلس([1]) إضافة الى المعدن الذي كانت تقطع منه أحجار الأرحاء المائية والفارسية ([2]).

نتيجة لذلك فقد نشطت الصناعة بكل فروعها،فاشتهرت البندقية بصناعة الجوخ الذي فاق في جودته كل الأنواع الأخرى([3])،وكان الإنتاج الصناعي يتأمن بشكل خاص، إذ يقوم الصناع بشراء المواد الأولية والآلات ويشتغلون وحدهم ناو مع بعض العمال الذين يشاركونهم الأرباح ،وبعد ذلك يبيعون إنتاجهم للمستهلك دون وسيط.

كان لكل صناعة هيئة أو رابطة حرفية تنظمها في إطار المدينة الواحدة تعرف بالأصناف، والتي كانت تعيق التقدم الفني للصناعة رغم النظام الذي ميزها([4]).ففي كل مدينة ومنها النسيجية والصوفية المقصورة الجيدة([5])،والتي كانت تتجه نحو العديد من المناطق،وطحن الحبوب([6])، إذ اشتهرت بلرم التي هي قصبة صقلية،بكثرة مياهها وأوديتها كوادي عباس الذي أقيمت عليه الكثير من الأرحية ([7])،التي كانت بدورها تصنع هناك لتوفر المعدن الخاص بها في المنطقة([8]).ولا نستبعد أيضا وجود صناعة المراكب بالمنطقة نظرا لطبيعة المنطقة وموقعها الجغرافي.

التجـــــــــــارة:رغم أن تبادل المنتجات الزراعية والصناعية بين المناطق ظل ضعيفا في أوروبا في العصور الوسطى،لضيق الاقتصاد ومحدودية المبادلات التجارية، إلا أنه يمكن أن نلاحظ نموا في الأسواق العامة والموسمية منذ القرن الثالث عشر ،خاصة في الجمهوريات الايطالية موضوع دراستنا،إذ أن مجرد ذكرا لبندقية و جنوة يحمل الى الأذهان الأهمية التاريخية للطرق التجارية المتوسطية والطرق التجارية التي تخترق سهولها الشمالية،ومما ساعد على ذلك هو وقوعها في وسط البحر الأبيض المتوسط الذي قامت على ضفافه أقدم الحضارات والذي

---

[1]. الحموي ياقوت،نفس المصدر، ج3،ص418 .

[2].الإدريسي،نزهة المشتاق، ج2،ص603.

[3].القلقشندي،نفس المصدر، ج5،ص383.

[4].حاطوم نور الدين،عصر النهضة الأوروبية،دار الفكر، 1387-1968، ص142.

[5].المقدسي محمد،نفس المصدر،ص207.

[6].الإدريسي، ج2 النزهة،ص603،المقدسي،نفس المصدر،ص204.

[7]. المقدسي محمد بن احمد،نفس المصدر،ص204.

[8].الإدريسي،نفس المصدر السابق،ص603.

كان مركز التبادل بين العالم القديم ،قبل اكتشاف العالم الجديد([1])إذ تشكلت بها طبقة خاصة من التجار ذات أهمية خاصة،أرادت تحقيق مزيد من "الملذات الأرضية"والحصول على أرباح طائلة([2])،ساعدت بدورها في تطور هذا النشاط،ففلورنسا مثلا قد لعبت دورا اقتصاديا هاما حتى على المستوى الأوروبي بما تجمع وتركز لديها من مال نتيجة التجارة فكانت من أوائل الدول في تأسيس البنوك والمصارف.والتي قامت بدورها بإقراض الملوك والباباوات في القارة([3])،فكانت بها العديد من الأسواق،ومنها سوق مدينة بلرم المشهور باعتبارها قصبة الجزيرة،أما جنوه و البندقية فاشتهرتا بأنهما مدينتان تجاريتان كبيرتان ،فبالنسبة لهذه الأخيرة، كانت الزوارق تتردد عليها من دار لدار، وكان لكل دار منها مركب خاص([4])،وامتلكت أساطيل ضخمة سيطرت على البحر المتوسط، فنقلت سفنها إلى ايطاليا منتجات الشرق وشمال إفريقيا،أما التوابل فحملها إلى الإسكندرية التجار المسلمون،ثم باعوها إياهم بأسعار مرتفعة،كما تحصل الإيطاليون على القطن والحرير من الشام، فجنا كبار تجارها من الأموال ما يزيد على ما استخدموه في تجارتهم، ثم سعوا إلى استثماره فاقرضوا ملك انجلترا أموالا حتى يتيسر لهم شراء الصوف الإنجليزي .

وشهد القرنان الثاني عشر والثالث عشر تطورا في النظم المتعلقة بالجانب التجاري،فظهرت خطابات الاعتماد– Credit letters بين انجلترا وروما والتي تعتبر صكا من الملك يوحنا الى تجار روما لمنح حامله مبلغا معينا من المال يسدد لاحقا من خزينته،وجرى أيضا استخدام الحوالة-Exchange bills –التي يجري بمقتضاها الدفع في البلاد الأصلية([5]).

إن التجارة الايطالية و الأوروبية بشكل عام لم تنفصل بشكل تام عن الدين،فعلى غرار الأمم

---

[1].المقصود بالعالم الجديد: القارة الأمريكية،التي تم اكتشافها من طرف كريستوف كولمب سنة 1492م.

[2].حاطوم نور الدين،نفس المرجع ،ص143.

[3].عثمان أباضة فاروق،تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر،دار المعرفة،2003،ص54، 55.

[4].ابن سعيد،نفس المصدر–الجغرافيا–ص182،أنظر أيضا،الحموي ياقوت،المعجم،ج3،ص41.

[5].الباز العريني،نفس المرجع،ص129.

الإسلامية فقد حرمت المسيحية الربا ([1])والغش فيها([2])،بل هناك من رأى بأن التجارة في حد ذاتها أمر منبوذ و مرذول كاللاهوتي المعتدل توما الأكويني باعتبارها نتيجة لطبيعة الإنسان المعرض للسقوط في الخطيئة وباعتبار أن الجنة لم تقم فيها تجارة([3]).

إن قضية تحريم الربا أثرت سلبا على الجانب التجاري، ومنذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر ميلادي –السادس هجري– فأصبحت القضية تمثل معضلة لدى التجار يجب تجاوزها بأي الطرق،لأنه إن لم يحصلوا على تلك الفوائد فان المجتمع بأكمله سيعجز عن النهوض بأحوال القرية البدائية([4])،ومن ثمة بدأت التأويلات والتفسيرات تظهر قصد التخفيف من وطأة الربا،بإدخال الضرورة والنية التي تسقط الخطيئة المميتة.

نظام العمل في المجتمع الإقطاعي:إن الغرض من هدا العنصر هو الوقوف أولا على نظرة المجتمع النصراني للعمل وخاصة الفلاحة التي تعتبر الركيزة الأساسية التي يقوم عليها النظام الإقطاعي([5])،مقابل الإسلام الذي حث عليها وأعلى من مقدار العاملين بها.

فالنظام الإقطاعي وليد العصور الوسطى في أوروبا واستمر حتى عصر النهضة وما بعدها[6]وفيه كان الفلاحون يعيشون حياة بائسة لأن الأرض غالبا ما كانت ملكية سامية للسيد،يمكن أن نصورها كالأتي.

كان فلاحو القرون الوسطى ينتجون الحبوب بالخصوص:القمح بالنسبة للخبز الأبيض وهو الخاص بالسيد وعائلته، والشيلم للاستهلاك الخاص بالفلاح وعائلته.إن نظام

---

[1].الربا بشكل مبسط هي القبول بمبالغ مالية إضافية عن المبلغ المقروض.

[2].جاء في العهد القديم في سفر الخروج،الاصحاح22، 25((إن أقرضت فضة لشعبي الفقير فلا تكن له كالمرابي.لا تضعوا عليه ربا.))وفي إنجيل لوقا –إصحاح 6:30((أقرضوا وأنتم لا ترجون شيئا))وفي سفر التثنية،الاصحاح23: 19((لا تقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا.))

[3]. كولستون ج ج، نفس المرجع،ص292 وما يليها.

[4].نفسه ،ص295.

[5].هناك اختلاف بين الإقطاع في المجتمعات الأوروبية ،والمجتمعات الإسلامية كالذي ظهر في عهد الموحدين وهو حق ينعمه الملك على بعض الأكابر ورؤساء القبائل والذين يحق لهم القيام بجباية الضرائب من مناطق معينة لحسابهم الخاص مقابل إعطاء جزء من مدخولهم وتقديم الخدمة العسكرية.

[6].يتعلق هدا النظام بالأرض واستمر حتى الثورة الفرنسية والتي ظهر له معها مصطلح جديد هو النظام ا لفيودالي الذي ظهر النظام الرأسمالي على أنقاضه.

إراحة الأرض كان سائدا بأوروبا منذ القرون الوسطى،فكان يلجا إليها لضمان استمرار خصوبتها ،وكان ذلك يتم إما كل سنتين(jachère biennale)أو ثلاث سنوات (triennale jachère) ([1]).

إن انتشار التعدين والحدادة الحرفية ساعدت الفلاحين على مضاعفة مردودية أرضهم، إذ ظهرت اختراعات في أدوات الإنتاج كالمحراث ذو السكة المعدنية والمشط أو المسلفة و المنجل([2])، وساعدت طاحونة الماء على الاقتصاد في الجهد الإنساني والحيواني لكن لم يكن بوسع كل الفلاحين امتلاك هذه الوسائل ولهذا فقد تشكلت طبقتان متمايزتان:إحداهما ممتلكة للوسائل وأخرى معتمدة على جهدها العضلي أو في حوزتها وسائل خشبية بسيطة.

كان الفلاح يقطن في الريف أو في إحدى المناطق الواقعة بجوار ضيعة السيد،في كوخ من الحطب والقش،أي من مادتين مشتعلتين وكانت مظلمة،تحتوي بعض المنافذ القليلة لتحفظ للكوخ الذي يخلو من التدفئة حرارة نسبية([3])،كما كانت تحتوي على أثاث قليل لا يفي بالغرض سرير عريض جدا مصنوع من الخشب توضع عليها مطارف تملأ بالقش ليبيت أو ينام عليها كل أفراد العائلة،وهناك قلة قليلة من الفلاحين الذين يعملون لصالحهم الخاص ،إذ كان معظمهم مرتبطا بالسيد الذي يملك الأرض، والذي قد يكون من طبقة النبلاء أو من رجال الدين ،أو مؤسسة دينية.

كان الفلاح يخضع لسيده خضوعا مطلقا ،فهو مجبر على فلاحة الأرض وبدون مقابل ،وهذا ما يعرف بالسخرة ،وفي الأخير فان الفلاح يجد نفسه مرغما على دفع تكاليف استعمال الأرحاء أو الطواحين لطحن الحبوب و المخبزة أو الفرن لطهي الخبز والمعصرة لعصر الخمور ،والتي تقع كلها على ارض السيد.

---

[1] .encarta 2007.

[2].جغلول عبد القادر، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط.ط1،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع 1982،ص84. أنظر أيضا، Encarta2007 .

[3].الباز العريني السيد،الحضارة والنظم الأوروبية في العصور الوسطى،دار النهضة العربية،بيروت،ج1،ص47.أنظر أيضا ج،ج،كولستون، عالم العصور الوسطى في الحضارة والنظم،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1983 ، ط 2 ص 127.

تواجد نوعان من الفلاحين ،من حيث التبعية ،فهناك الأقنان (LES SERFS)وتقع التبعية والخضوع عليهم وعلى أبنائه([1])، و يتوجب عليه أن لا يبرح الأرض،ورغم كل ذلك فإنه يدفع أقساطا أكثر من غيره من الضرائب ،أما النوع الثاني وهو الأكثر انتشارا فهو لا يخضع للسيد إلا نسبيا،إذ يمتلك حق مغادرة الأرض ،وله حق الإرث وحق الزواج بدون إذن السيد، كما كان يمتلك هامشا من الحرية في اختيار المحصول الذي يزرعه، لكن بالمقابل كان يدفع ضرائب نقدية أو عينية مما أنتجت أرضه([2]).ومن هنا ندرك أن النظام الإقطاعي شكل مظهرا ومميزا أساسيا من مميزات حياة العصور الوسطى .

وكانت هناك الغرامة " heriot "المفروضة في شكل بهائم حية أو مواشي مذبوحة أو أموال تؤول الى السيد عند وفاة الفلاح المستأجر،وكانت هناك ضريبة الوفاة"mortuary " والتي تمثل حسب ج،كولستو من أبغض وأشنع أنواع الضرائب([3])، والتي تبرز مدى همجية وخلو النظم الإقطاعية الأوروبية من أدنى أنواع الأحاسيس الإنسانية، إذ بوفاة الفلاح يستولي سيده على أجود ما تركه من حيوان، باعتباره ملكا غير موروث،وهذا طبعا كان يتم حسب اتفاق مسبق يقبل به الفلاح مقابل السماح له بالعمل لدى اللورد أو السيد.

---

[1] .encarta 2007.

[2].العريني الباز،نفس المرجع،ص61.أنظر أيضا، عبد القادر جغلول،نفس المرجع،ص..،حاطوم نورا لدين،نفس المرجع السابق، ص141..

[3]..ج،ج.كولستون،نفس المرجع،ص 122.

الفصل الثالث

المبادلات التجارية بين المغرب الأوسط والضفة الشمالية الغربية للمتوسط

* المبحث الأول:أهم المراسي والمسالك التجارية

* المبحث الثاني:وسائل وطرق التجارة

* المبحث الثالث :طبيعة المبادلات التجارية

* المبحث الرابع:تقنيات وأحكام التبادل التجاري

المبحث الأول:أهم المراسي والمسالك البحرية

1-مراسي المغرب الأوسط :

حبا الله ارض المغرب الأوسط بشريط ساحلي مسنن يحتوي على جملة من الموانئ الطبيعية،التي أخذت أماكنها في الخلجان والأجوان([1])حيث تكون لها الرؤوس درعا يقيها ويحجبها من الرياح والعواصف التي من شانها أن تهدد امن وسلامة السفن الراسية بها.

أن موقع المغرب الأوسط المركزي في الحوض الغربي للمتوسط، حتم على أهله أو سكانه القيام بدور تجاري بحري هام،وقد أشار ابن خلدون إلى أهمية هذا الامتداد وأثره في نشاط سكان المنطقة الذين أصبحوا مهرة في خوض مياهه وقدرتهم على ركوبه.([2]) فنجده أي المغرب الإسلامي ،على عكس العباسيين يتجه اتجاها بحريا.([3]) لأسباب اقتصادية كممارسة التجارة والانتفاع بما في باطن هذا الرصيف القاري من ثروة سمكية، ناهيك عن الأسباب السياسية والدينية التي تفرض عليهم سبر أغوار تلك البحار لدرء أي خطر قادم من الشمال أي من البلدان النصرانية.

كان العرب إلى جانب إنشاء أساطيلهم الحربية، ينشئون أساطيل تجارية،كما كان بكل مرفأ منارة تدعى الخشب،([4]) واخترع العرب البوصلة البحرية،التي ساعدتهم على القيام برحلات واسعة إلى جميع أنحاء العالم طلبا للعلم والاتجار([5]).

كما أن الموانئ التي تقع على ساحل المتوسط لم تكن بنفس الحجم والأهمية، بل اختلفت من واحد لأخر ومن منطقة لأخرى حسب ما هيأته به الطبيعة، وأهمها من الغرب إلى الشرق .

– مرسى هنين([6]) : فرضة تلمسان،وثاني ميناء من حيث الأهمية بعد ميناء وهران، احتل المرتبة الأولى في القرن الرابع عشر ميلادي، إذ أصبح مدخلا رئيسيا للمملكة أو للإمارة الزيانية([7]).ظهرت أهميته منذ

---

[1].وهي المناطق التي تنكسر فيها السواحل نحو الداخل وتتخذ مراسي تحمي السفن من تيارات البحر وأنوائه.

[2].ابن خلدون عبد الرحمن،العبر، ج2،ص627.

[3].سالم السيد عبد العزيز،أحمد مختار العبادي،تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس،دار النهضة العربية،بيروت،1969، ص47.

[4].رضا كحالة،نفس المرجع ،ص156.

[5].نفسه،الصفحة ذاتها.

[6]. كان يعرف قديما ب" Gypsaria portus" أي ميناء الجبس،حول أصل التسمية يرجى العودة الى:

Mac Carthy,Algeria Romana,recherches sur l,occupation et colonisation de l,Algérie par les romains,Revue africaine,Alger,1865,p169.

[7]. **Dufourq .charles emanuelle ، revue d histoire et de civilisation du Maghreb. 1969.p30**

القدم وخاصة في عهد الموحدين،إذ لعب دورا هاما في تعزيز وتقوية أسطولهم البحري([1])، الذي يعتبر الوسيلة الفعالة في عملية التوحيد السياسي.ولهذا فانه من الصعب فصل هذا الميناء عن جميع الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية للمنطقة وخاصة في العهد الإسلامي الذي احدث كثيرا من التقارب بين ضفتي المتوسط في حوضه الغربي،وخاصة في عهد التوحيد السياسي ([2])وحتى على عهد الاحتلال الاسباني لوهران ظلوا يترددون على هذا الميناء وبطلب من أهل تلمسان وظل الملك يرسل أمير قصر يقيم بالقلعة ليخبره بقدوم السفن التجارية([3]).

-المرسى الكبير:يبعد عن مدينة وهران بحوالي ميلين،وهو اسم لمدينة صغيرة أسسها في ملوك تلمسان على ساحل البحر المتوسط بعيدة ببعض أميال عن وهران .ومعناها الميناء الكبير،من مميزاته انه آمن على السفن من الرياح([4])،وكان متعدد التخصصات أي انه يستقبل السفن التجارية و سفن الركاب و الحرب([5])،وكان يمثل بالنسبة للسفن المكان الأمثل للاحتماء من أي عاصفة أو إعصار([6]) .

ويبدو أنه كان اكبر موانئ المنطقة،([7])من حيث قدرة استيعابه للسفن،إذ كانت ترسو فيه وبسهولة مئات المراكب والسفن من كل الاتجاهات ([8]) .

-مرسى وهران :انطلاقا من نص المعاهدة الارغونية- التلمسانية لسنة 1286م يتضح بأنه كان يشكل المدخل الرئيسي للملكة العبدوادية([9])،لأنه الأقرب إلى مدينة وهران التي كان التجار الأجانب يتعاملون معها،لكن حسب ديفورك وكما رأينا سابقا، انه فقد هذه الأهمية لصالح

---

[1]. sari Djilali. la re-naissance d,un ancien débouche de l,or transsaharien- p30 .

[2].Dufourq charles emanuelle,opcit, p30.

[3].الوزان ،نفس المصدر ،ص15.أنظر أيضا ،مارمول أفريقيا،ج2،ص297.

[4].الإدريسي ،القارة الإفريقية،ص106.انظر أيضا ابن حوقل، نفس المصدر ص77.

[5]. الوزان،نفس المصدر،ص31

[6]. نفسه،ص31.

[7].نفسه،ص31.الإدريسي نفس المصدر السابق،ص105.ابن حوقل ،نفس المصدر ص77.

[8]. Djilali sari,opcit , p 31.

[9] . charle emanuelle dufourq.opcit.p30.

ميناء هنين([1])وربما يعود السبب إلى ظروف المملكة الأمنية والسياسية،كما تتضح أهميته حتى من خلال قول الوزان وإذا كان الجو صحوا قصدت ساحل وهران مباشرة([2]) وما يزيد في التأكيد من أهميته الاقتصادية إلى جانب ميناء المرسى الكبير قول الحسن الوزان"غير أن هذين الميناءين سقطا في يدي الملك الكاثوليكي فرناندو،فكان ذلك خسارة عظمى لمملكة تلمسان"[3].

-مرسى ارشقول: وقد اختلفت تسميته من جغرافي لأخر،فنجده لدى البكري ولدى صاحب الاستبصار "ارجقول"،ولدى الإدريسي وابن عذارى" ارشقول"، ولدى ابن حوقل أرجكوك([4]).أما اليوم فقد تحول هذا الاسم إلى "رشقون" كان نهر تافنة يشكل مدخلا أو مرفأ طبيعيا له نظرا لشساعته وكبره.([5])ويذكر ابن حوقل أن لهذه المدينة مرسى في جزيرة لها فيها مياه ومواجن كثيرة للمراكب[6] .

-مرسى تنس:كان ميناء مشهورا([7]) يختص بتصدير الحبوب التي تنتجها المنطقة إلى كل الآفاق ([8])وحسب ابن عذارى فقد أنشاه البحارة الأندلسيون([9])

إلى جانب هذه الموانئ الهامة السابقة الذكر، تواجدت موانئ أخرى اقل أهمية منها كميناء ندرومة المأمون والمقصود من طرف عدد لا باس به من السفن،وقد كان بساحلها نهر ماء يسيل، وعليه رباط حسن فيتبرك به([10]).أما ميناء ارزاو فهو من موانئ وهران،[11]ولا يزال متواجدا إلى يومنا هذا،لكن أدخلت عليه تعديلات جمة، وهو من الموانئ الاقتصادية الهامة المتخصصة.

---

[1]. charle emanuelle dufourq.opcit.p30.

[2]. الوزان. نفس المصدر،ص31،انظرأيضامارمول، إفريقيا،ج2،ص325.

[3].نفسه،ص9،كان تاريخ السقوط هو1505م ووهران1509م.

[4].ابن حوقل ،نفس المصدر،ص78.

[5].الوزان،نفس المصدر ،134.

[6].ابن حوقل، نفس المصدر،ص77.

[7].المراكشي عبد الواحد ،نفس المصدر،ص154. الإدريسي،نفس المصدر السابق،ص104.مارمول،إفريقيا،ج2، ص354.

[8].الإدريسي،النزهة،ج1،ص252.

[9]. المراكشي ،نفس المصدر،ص154

[10].الاستبصار،ص135.

[11]. المراكشي ابن عذارى ،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.ج1 ،طبعة بيروت 1950. ،ص154.

أما إلى الشرق منه فنجد ميناء مستغانم الصغير، والذي كثيرا ما كانت تقصده السفن الأوروبية([1])، لكن رغم ذلك فلم تكن له أهمية بالغة، إذ نجده غائبا لدى الكثير من الجغرافيين أمثال الإدريسي اليعقوبي والمراكشي .

وبالنسبة لمرسى تنس فكان مشهورا([2])يختص بتصدير الحبوب التي تنتجها المنطقة إلى كل الآفاق ([3]) وحسب ابن عذارى فقد أنشاه البحارة الأندلسيون([4])،وكانت سفنهم ترتاده بشكل كبير([5]).

وهناك مجموعة أخرى من الموانئ أقل أهمية من سابقاتها كحوض فروج الذي يقع إلى الشرق من مدينة مستغانم بحوالي خمسة عشر ميلا،إذا ما سرنا في خط مستقيم ،وهو مرسى حسن،وكذا حوض امتكو (وقور)الذي يقع إلى الغرب من برشك بحوالي عشرين ميلا،وكان يمتاز بضيقه وانكشافه ا أمام الرياح الغربية ،مقابل حصانته أمام الرياح الشرقية.([6])

و مرسى الدجاج الذي كان مأمونا لضيقه ومقصدا للأساطيل الأندلسية بوجه خاص([7])، كما تواجدت موانئ أخرى محلية خصصت للصيد كميناء "جون هور" الذي يبعد بثمانية عشر ميلا عن جزائر بني مزغنة نحو الغرب ([8]).وكذا الموانئ الكثيرة التي تواجدت فيما بين تنس ووهران كمرسى عطا ([9]).

---

[1].الوزان. نفس المصدر،ص31.

[2].المراكشي ،نفس المصدر،ص154. الإدريسي،نفس المصدر،ص104.

[3].الإدريسي،نفس المصدر،ص104و105.

[4]. المراكشي ،نفس المصدر،ص154.

[5].ابن حوقل.نفس المصدر،ص77.

[6]. ابن حوقل،نفس المصدر ،ص129.

[7].البكري ،المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب.نشر دي سلان الجزائر 1901.ص65.

[8]. الإدريسي، نفس المصدر ،ص130.

[9].ابن حوقل، نفس المصدر،ص77.

2-مراسي الضفة الشمالية للمتوسط.

أ-شبه الجزيرة الأيبيرية:

نفس الشيء يمكن قوله بالنسبة لشبه جزيرة الأندلس، إذ يدور بها المتوسط من الجبهتين الشرقية والجنوبية الشرقية، والمحيط الأطلسي من الجهات الجنوبية الغربية،والغربية والشمالية الغربية.أما عن أهم المرافئ فهي كالأتي

*بجـــــــــــانة:كانت من المدن الساحلية الحصينة،والمرافئ الهامة في شبه جزيرة الأندلس،وظلت تحتفظ بهذه المكانة إلى غاية النصف الأول من القرن الرابع الهجري،ثم بدأت تفقد هذه الأهمية تدريجيا ،وقد تمتعت بأهمية إستراتيجية ودفاعية، وهذا ما ندركه من خلال قول ابن سعيد المغربي "وكانت محرسا للمملكة إلى أن ضعفت ، وعظمت المرية ،فصارت تابعة." ([1]).

*المرية:اسم مشتق من وظيفتها، أو من الغرض الذي أقيمت من اجله، إذ كانت تتخذ في الأصل مرأى أو محرسا([2])لمدينة بجانة القريبة منها بحوالي ستة أميال شمالا([3])،لكن سرعان ما تحولت إلى أشهر موانئ ومدن شبه جزيرة الأندلس([4])،وأكثرها عمرانا فأصبحت إلى جانب بجانة على حد قول ياقوت الحموي "باب المشرق،منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب "([5])،و يمتاز خليج المرية باتساعه وعمقه،ويسمح بضم عدد كبير من السفن، كما يمتاز بهدوء مياهه وقلة أمواجه وهذا ما أهله للعب دور ريادي في التجارة العالمية.([6])كما كان هناك اتصال وثيق بين هذا الميناء وميناء هنين نظرا لتقاربهما،ومثلت أهم قاعدة لأسطول الأندلس الحربي وبابا للشرق ومفتاحا للتجارة والرزق

---

[1]- ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص190.

[2].الحميري ،عبد المنعم السبتي،الروض المعطار في أخبار الأقطار،نشر وترجمة ليفي بروفنسال،القاهرة 1937.ص183.

[3].الإدريسي،النزهة ،ج2، ص566.

[4]. المراكشي عبد الواحد،نفس المصدر،ص266.الإدريسي،نزهة المشتاق، ج2، ص 562.

Dominique Sourdel et Janine sourdel Thomine,la civilisation de l,Islam classique,les éditions Arthaud, paris 1983,p131.

[5]. الحموي ياقوت،نفس المصدر، ج5،ص119.

[6] . سالم عبد العزيز،العبادي مختار،البحرية الإسلامية،ص180.

على حد تعبير ابن سعيد([1])إذ كانت تقصده السفن من المشرق الإسلامي أي من الإسكندرية والشام كله([2]) ومن البلاد الأوروبية أيضا.

*المنكـــــــــــــــب:يعد أيضا من أهم الموانئ الأندلسية ،يقع في الجانب الشرقي من الأندلس الإسلامية، ويحتل مكانة اقتصادية هامة بحكم قربه من العاصمة غرناطة (حوالي 40 ميلا)وكذا من مدينة مالقة ،كما يشكل مع هذا الأخير المنافذ البحرية الرئيسية للعاصمة([3]).وكانت المرية محط مراكب النصارى ومجتمع ديونهم ،إذ منها كانت تتوزع بضائعهم على سائر الأنحاء.

*مالقـــــــــــــة:من بين أهم المنافذ والثغور الأندلسية المطلة على البحر المتوسط نظرا لموقعها الجغرافي الممتاز على طرق المواصلات البحرية ولكونها من القواعد التجارية الرئيسية ومن المحطات التي استعملت لشحن السفن و تفريغها أو إصلاح ما تتعرض له السفن من أعطاب وما يؤكد ذلك قول الشقندي بأنها كانت في عصر الموحدين محط تجار المسلمين والنصارى([4]).وقد أقام تجار جنوة بها فندقا رحبا للإقامة به نظرا لكثرة مصالحهم التجارية بها ([5]).

كما كانت "قرطبة" أيضا على ساحل النهر الذي ينصب إلى" اشبيلية" والذي يعظم جدا([6]) حتى تصعد فيه السفن.([7])

أما ميناء دانية فنسبة إلى مدينة دانية الساحلية،والتي تبعد عن مدينة شاطبة بخمسة وعشرين

---

[1].ابن سعيد،الجغرافيا، ص193.

[2].الإدريسي،نفس المصدر السابق،ج2، ص562.

[3].الحموي ياقوت،نفس المصدر، ج1ص263.

[4].انظر المقري احمد،نفس المصدر،ج3ص230.

[5] أنظر الى.تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ل:كمال السيد أبو مصطفى،مركز الإسكندرية للكتاب ،ص354.

[6].اليعقوبي، نفس المصدر، ص110.

[7].المراكشي عبد الواحد،نفس المصدر،ص267.

ميلا حسب الإدريسي([1])،وكانت تستقطب أعدادا هامة من السفن ،كما كانت بها دار لصناعة السفن، وكانت مرفأ تخرج منه السفن التجارية والعسكرية،وهو يقابل ميناء تنس بالمغرب الأوسط ولا يفصل بينهما سوى ثلاث مجار ([2]).

أما مدينة مالقة، فكان لها ميناء كبير وقد شكل آنذاك مع المرية والمنكب([3]) أهم موانئ الأندلس والمنافذ البحرية الرئيسية للعاصمة غرناطة.

وبالنسبة للمملكة ارغون ونظرا لكونها مملكة ساحلية تطل على المتوسط من الناحية الشرقية فقد تواجدت بها جملة من الموانئ الهامة ،نذكر منها مدينة "لقنت" التي احتوت ميناء اشتهر بتصدير الحلفاء إلى جميع الجهات، وكانت هي الأخرى مركزا لصنع المراكب السفرية والعراريق، والى الجنوب منه بحوالي ميل نجد جزيرة ابلناصة التي كانت هي الأخرى مرسى حسن، ومثلت في نفس الوقت برج مراقبة متقدم للمدينة .والى الشمال منه نجد ميناء فالنسيا المقابل لجزيرة مايو رقة من الناحية الغربية ويقع على نفس حط الطول مع ميناء مستغانم.أما الى الشمال منه فنجد ميناء برشلونة الذي يعتبر من أهم مراسي المملكة ولا يزال يحتل المرتبة الأولى في المملكة الاسبانية حاليا.

إن وضع قشتالة الجغرافي مختلف تماما عن وضع أرغون فهي تكاد تكون محاطة باليابس،أي مع الامارات المجاورة لها،ولهذا فان مراسيها قليلة ،وأهمها ميناء قرطاجنة في الواجهة الشرقية يتوسط ميناء المرية والقنت واشتهر بتصديره للحلفاء،ومرسى اشبيلية التي تقع على شاطئ نهر عظيم ينصب من جبل شقورة، وتنصب فيه أنهار كثيرة،فلا تصل إلى اشبيلية إلا وهو بحر خضم (الواسع)تصعد فيه السفن الكبار من البحر الأعظم ترسى على باب المدينة([4])،وقد بلغت المدينة ذروة ازدهارها وتألقها على عهد الموحدين ،فأصبح مرساها يزخر بحركة تجارية نشطة إذ كانت السفن تدخله لتعود محملة بالزيوت التي اشتهرت بها ([5]).

---

[1]. الادريسي،نفس المصدر، ج2،ص556.

[2]. نفسه، ج2، ص582.

[3].هو الميناء الذي نزل فيه عبد الرحمن الداخل الأموي عند دخوله الأندلس سنة138هـ وقد اشتهرت المدينة ذاتها بإنتاجها الغزير للموز وقصب السكر.

[4] المراكشي عبد الواحد،نفس المصدر،ص267.

[5].الإدريسي،النزهة، ج2،ص541 .

أما عن مراسي الناحية الغربية، والتي تمثل البرتغال حاليا،فنجد أن معظمها يمثل نهاية لانهار عظمى تصب في البحر المحيط،كوادي سندريه العريض الفم،الذي ترسو فيه المراكب، ونهر" بوغو" الكبير الذي تدخله المراكب والشواني، وماؤه يدخله المد والجزر و نهر" أناشت" الكبير كثير الماء رحب الفناء يدخله المد والجزر، وتطلع فيه المراكب الكبار نحوا من عشرين ميلا ووادي تامركة وهو نهر كبير ترسى به المراكب و نهر" الاذر" الصغير الذي يحمل المراكب الكبيرة إرساء([1]). ومن هذا النهر إلى مصب وادي" مرار"ستة أميال وهو أيضا نهر كبير والمد والجزر يدخله وترسى به كبار المراكب و سان مارتين دي بورتو (san martin do porto) وهو الميناء الذي نزل فيه غانم بن مردنيش بجيشه حينما أغار على سواحل البرتغال 576هـ/1180م واسر هو وأخوه أبو العلا نتيجة كمين نصب لهما.وميناء لشبونة الذي يبعد عن القصر مرحلتان،و يقع على شاطئ الأطلسي (البحر المظلم)،ومنه كان يرتاد المغامرون مجاهله قصد اكتشافه، مستعينين بأول طاروس([2]) ويأخذون معهم الزاد والماء ما يكفيهم لأشهر([3]). كان يوجد بهذه المدينة حصن يعرف بحصن المعدن،وكان البحر عند هيجانه يقذف بالذهب وهذا بمعاينة الإدريسي له([4])،وهو نفسه الميناء الذي انطلق منه المستكشف البرتغالي "فاسكو دا خاما" في رحلته المشهورة للوصول إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح في جويلية 1497م، أما ميناء مدينة "القصر" فهو نهاية لنهر "شطوبر" الذي تقع على ضفته والذي يتصل بالبحر ليتحول إلى مرفأ تصعد فيه السفن والمراكب وخاصة السفرية([5]).

إن القائمة طويلة جدا،ولهذا اكتفينا بعرض أهم الموانئ الأساسية بينما سنعرض باقي المرافئ بشكل مختصر ووجيز،إذ مثلت هذه الموانئ الصغيرة حلقة وصل بين مختلف المدن الساحلية والمغربية والأندلسية وقامت أيضا بالموازنة بين الطرق البرية والبحرية في جميع

---

[1]. الإدريسي ،النزهة، ج2،ص727.

[2]. هو أول هبوب للريح.

[3]. الإدريسي،النزهة، ج2،ص548.

[4]. نفسه،ص547.

[5]. نفسه ،ص544.

الظروف إضافة إلى تخفيف العبء على الموانئ الرئيسية، باستقبالها للسفن الصغيرة والمتوسطة،وكان ارتيادها يزداد في موسم العواصف البحرية ([1]) إذ تجد نفسها مضطرة للاحتماء بها ولو مؤقتا إلى حين هدوء العاصفة.ومنها ميناء "قلبيرة"(CULLERA) الذي يقع جنوب "بلنسية"، أي ما بينها وبين ميناء "المرية"،وقد اشتهر بتصدير الأخشاب التي كانت تنتجها المنطقة نحو "بلنسية" خاصة لتصنع منها السفن.

ب–موانئ شبه الجزيرة الايطالية: تقع شبه الجزيرة الايطالية في وسط بين شرق المتوسط وغربه (حوضيه الشرقي والغربي) والتي كانت تتمتع آنذاك بأهمية تجارية خاصة ضمن الطرق التجارية لهذا البحر،فنجد:

ميناء جنوة :الذي يعتبر أهم موانئ سهل لجوريا وثاني موانئ ايطاليا وحتى يومنا هذا،كان الايطاليون أو الجنويون يخرجون منه الى جميع جهات الأرض برا وبحرا وامتلكوا أسطولا مخيفا على حد تعبير الإدريسي([2]).

ميناء فينيسيا:أو البندقية الذي على الساحل الشمالي للبحر الأدرياتيكي، إذ يفصلها عنه خط من الكثبان الرملية، والتي كانت تجعل من المدينة ملجأ وملاذا من غارات قبائل الهون ([3]).

ميناء مدينة بيزا :يقع على البحر التيراني ويمر بهذه المدينة نهر أرنو وكانت المنفذ الرئيسي لسهل تسكانا .

ميناء مدينة غيطه:وهو ميناء حسن مأمون استعمل للأغراض المدنية والعسكرية،وقد احتوى على دار صناعة لإنشاء السفن([4]).

ميناء مسينا:قام بنفس الدور الذي كان للميناء السابق فكان حصينا ومثل ملاذا آمنا لجنود البر والبحر على حد تعبير الإدريسي([5]).

---

[1].بوشامة عاشور ،نفس المرجع، ص325.

[2].الإدريسي،النزهة، ج2،ص749.

[3].جودة حسنين جودة،جغرافية أوروبا الإقليمية ، الطبعة الخامسة ،دار النهضة العربية،بيروت ،1980.ص597.

[4].ينظر الى الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2،ص756.

[5].نفسه، ج2،ص757.

ميناء تريستا :وهو يناظر فينيسيا من الناحية الشرقية على البحر الادرياتيكي كانت أهميته التجارية أقل من مينائي جنوة والبندقية.وهناك موانئ أخرى صغيرة كميناء طرجينة و فرليان وأنجه([1]).

[1].الإدريسي،نفس المصدر السابق،ج2،ص756.

المبحث الثاني : وسائل وطرق التجارة البحرية:

ا-الوسائل:

رغم تحسن وسائل الملاحة ،ورغم أن السفن الحربية كانت لا تزال تعتمد على التجديف، إلا أن السفن التجارية قد أخذت في استخدام الشراع المثلث على سارية أو ساريتين، مما سمح لها بالسير في اتجاه مخالف للرياح أو بزوايا معينة، كما وسمحت لها بالالتفاف أو الدوران.ولقد اشتهرت الدولة الموحدية بصناعة السفن وخاصة البحرية منها، ولكن وبعد اعتلالها،تراجعت مكانة هذه الصناعة ،مقابل تقدمها لدى النصارى([1])،وتراجعت مع ذلك مكانة الدويلات الإسلامية التي أعقبتها.

أصبحت السفن مزودة بثلاثة أجهزة تسمح لها بالابتعاد عن الساحل،الأول و هو البوصلة(الإبرة المغناطيسية)، والثاني هو الإسطرلاب ([2]) و البورتيلان (portulan)([3])الذي يعين لها خطوط العرض،أما الثالث فهو الدفة المتحركة والمثبتة في آخر السفينة، وقد حلت محل المجداف الكبير([4])،فأصبح من السهل بعد ذلك بناء سفن كبيرة بإمكانها السير في أعالي البحار([5]).

---

[1].ابن خلدون عبد الرحمن،المقدمة،ص ص199. 200.

[2].الإسطرلاب بفتح الهمزة وسكون السين وضم الطاء كلمة يونانية معناها ميزان الشمس وقال بعضهم اللاب اسم الشمس بلسان اليونان فكأنه قيل أسطر الشمس ،إشارة الى الخطوط التي فيه ،قيل أن أول من وضعه هو بطليموس صاحب المجسطي. ابن أحمد عبد الحي الدمشقي،شذرات الذهب في أخبار من ذهب،أربعة أجزاء،دار الكتب العلمية بيروت،بدون سنة،ج2، ص 103. انظر أيضا، القنوجي صديق بن حسن،أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم،3أجزاء دار الكتب العلمية،بيروت،1978،تحقيق عبد الجبار زكار، ج2،ص415.

[3].نوع من أنواع الخرائط يستعمل في الملاحة من ميناء الى آخر،في القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر،وقد تم تطويره في القرن الثالث عشر قطالونيا بايطاليا (بيزا جنوة والبندقية) وقد أشرك مع البوصلة لتحديد خطوط السواحل وأهم المرافئ وكذا الصخور المتواجدة بالبحر.انظر الملحق رقم1و2.

[4].ادوار بروي ،تاريخ الحضارات العام ،ج3،الطبعة الرابعة،بيروت لبنان ،1998.ص ص521.522.يحي جلال، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر ،المكتب الجامعي الحديث 1983،ص172.

[5].المقصود بها: المسطحات المائية ذات الأعماق السحيقة،أما حاليا فالمقصود بها المياه غير الإقليمية التي لا تخضع لسيادة أي دولة .وتعرف أيضا بالإقليم المائي البحري وهو لا يزال يثير خلافا كبيرا بين فقهاء القانون الدولي وخاصة بعد التطور الكبير الذي سجل في ميدان الأسلحة وان كانت اغلب الدول تحدده بين ثلاثة واثنا عشر ميلا بحريا .

أما على أيام ليون الإفريقي، فقد استخدمت السفن الشراعية بكثرة،وخاصة من قبل الجمهوريات الايطالية،فكانت تقصد ميناء هنين محققة أرباحا خيالية حسب قوله([1]). وكانت السفن المستعملة في المتوسط تختلف عن نظيرتها المستعملة في البحر الأحمر والمحيط الهندي، إذ كانت الأولى ذات مسامير،بينما كانت الثانية تخاط بحبال الليف،و كانت الأولى أكبر حجما وأكثر قدرة على الحمولة من الثانية،([2])فكان بإمكان السفينة الجنوية الواحدة أن تحمل من البضائع ما يمون تلمسان لمدة خمس سنوات([3]) .وهذا ما يمكن تفسيره بتقدم الصناعة أو التقانة بمفهومنا الحالي لبلاد المغرب عن المشرق في هذا المجال، للتأثر بالسفن الأوروبية التي كانت تتردد على سواحله.

كانت الأساطيل في تلك الأيام تصنع من الخشب الصنوبري القوي المعروف بالشبين([4])،و الذي كان يجلب من عدة مناطق مثل طرطوشة بالأندلس التي اشتهرت بخشبها الأحمر الصافي البشرة والذي لا يؤثر فيه السوس([5]) وبقصر دانس و شلب ([6])وقد استعمل في صنع ألواح السفن و الصواري والمجاديف، بينما استعمل خشب الطخش لصناعة لوازم السفن الحربية،كالقسي والسلالم وبعض الرماح والتروس،أما الحديد فقد استخدم في صناعة المسامير والمراسي والروابط والخطاطيف والفؤوس وغيرها،واستخدم النحاس في صنع السلاسل،والألياف لصنع حبال المراسي،أما مادة القار أو القطران والزفت فاستخدمت في قلفطة أسفل السفن لئلا تفسد ألواحها نتيجة الملامسة المستمرة للمياه المالحة.

كانت السفن تتسمى كما هو الحال في أيامنا هاته بأسماء مختلفة حسب حجمها واستعمالها،فكان هناك المركب والسفينة والغليوطة لكرافال"caravel "الذي استخدمه كريستوف كولومبس فيما بعد لاجتياز المحيط الأطلسي نحو العالم الجديد،وقد تم اقتباسه من القارب العربي الذي استخدم من طرف العرب في المتوسط وبنجاح لفترة طويلة من الزمن،

---

[1].الوزان(الحسن) نفس المصدر، ص15.

[2]. رضا كحالة،نفس المرجع ص157.

[3].الوزان الحسن،نفس المصدر،ص16.

العبادي مختار،نفس المرجع،ص75.

[5].الإدريسي،النزهة، ج2،ص555.

[6].نفسه،صص،181.180.

وهو يساعد على اجتياز المسافات الطويلة([1]).إضافة إلى القادس " galley"و"الناو nau "و البارشا"barcha"والباري نيل"barinell "([2])والسفن الحربية ك "الشيني"([3])وهي عبارة عن سفينة حربية ضخمة تتكون من عدة طبقات، و"الطريدة" أو"الطراد"، وهي سفينة صغيرة وسريعة أطلق عليها الاسبان هذا الاسم، و" الشلندي" الذي هو نوع من المراكب الحربية الكبيرة والمسطحة التي تحمل المقاتلين والسلاح([4]).وكانت كلمة الجفن تطلق على أي مركب منها ([5])،وغالبا ماكانت تتحول هذه السفن الى حربية أو العكس.

ب–طرق المواصلات البحرية: كان على الراغب من تجار المغرب أو المشرق الإسلامي في الوصول إلى جزيرة الأندلس أن يتبع الساحل ولا يتوغل في أعالي المتوسط([6])،مارا بتنس التي تبعد عن تاهرت مسيرة أربعة أيام ،ومن هناك إلى جزيرة الأندلس يقطع اللج في يوم وليلة حتى يصل إلى بلد تدمير([7]) . ثم يخرج منها إلى قرطبة([8]).إذ كان يتوجب على تلك السفن أن لا تبتعد كثيرا عن الساحل حذر العواصف والتقلبات الجوية،وكانت السفن المغربية تتجه في حركة شبه منتظمة نحو مرافئ البرتغال، إذ كانت تمثل في

---

[1].عباس حمداني، عن مقال "رد العثمانيين على اكتشاف أمريكا والطريق الجديد إلى الهند"مجلة الفسطاط،عدد رقم7سنة 2006.ص2.

[2]. عباس حمداني، نفس المرجع،ص2.

[3].جمعها شواني وقد ورد ذكرها في العديد من المؤلفات منها ، المقدسي أحمد،بن محمد،أحسن التقاسيم،ج1،ص86. المراكشي عبد الواحد،المعجب،ج1،ص229.

[4]. العبادي مختار،نفس المرجع، ص252.

[5].انظر ابن بطوطة،الرحلة،ج1،ص334، 339، ج2،ص693، 822.

[6].ظهرت عدة تسميات لهذا البحر، فعرف لدى العرب باسم البحر الشامي(الإدريسي،القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص255.و عرف لدى الرومان باسم "مار نوستروم" marnostrom أي بحرنا ،أما في العبرية فيعرف باسم" هاتيشون "أي البحر الأوسط ،و لدى الأتراك باسم" اكيدتر" encarta2005 وهو اكبر بحر في العالم،إذ تبلغ مساحته 2.510.000كلم مربع بينما يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب 3860كلم وأقصى عرض له حوالي 1600كلم،أما متوسط عمقه فيقدر ب1500متر وأقصاه 5150متر عند عرض الساحل اليوناني القبلي .

[7].كورة من كور بلاد الأندلس الجنوبية، تضم مجموعة من المدن أهمها:مرسية ،أوريولة،قرطاجنة ولورقة وجنجالة وغيرها،أنظر الادريسي،النزهة،ج2،ص538و 559.

[8].اليعقوبي. نفس المصدر،ص110.

تلك الفترة وحسب"bailey diffie "جزءا من الإمبراطورية التجارية الإسلامية، كما كان تماما تعلم البرتغاليين جزءا من جغرافية وملاحة المسلمين"([1]) فكانت تتجه بمحاذاة الساحل الأفريقي حتى تصل إلى مضيق جبل طارق، لتتجه بعدها إما محاذية للساحل الغربي أو الشرقي لشبه الجزيرة الأيبيرية.

وبالنسبة للسفن الايطالية فإنها كانت تتجه من أهم المرافئ المذكورة سابقا وتمر عبر كافة الموانئ الإفريقية،وقد أطلقت عليها تسمية مراكب أو سفن البربر إذ تمر بها بداية من الشرق وحتى الغرب فتنزل ما تبيعه من سلعها،وتشحن ما ينقصها من كل منطقة من مناطق تلك الموانئ.فمن المعلوم أن البوصلة لم تعرف طريقها إلى أوروبا إلا مع النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي،وكان استخدامها حتى ذلك الحين بطيئا جدا فلم يكن البحارة ليغامروا بالابتعاد كثيرا عن اليابس بما يتجاوز مدى البصر([2])،وجرت العادة أن تسير في السفن في قوافل بحرية ،فإذا ما لحق عطب مركبا وجد دعما وغوثا من المراكب المرافقة، كما كانت السفن تخضع للفحص من قبل خبراء يعطونها تأشيرة القدرة على الإقلاع والسفر([3]).

وباعتبار أن السفن كانت في معظمها شراعية، فإنها كانت تعتمد على الرياح في حركتها،وبمساعدة المجاديف([4])،فلم تكن لتتحرك إذا لم تكن الرياح مواتية لاتجاه الرحلة([5])،ففي البحر المتوسط والأطلسي استعانت بالرياح الشرقية وكذا الغربية المنبعثة من منطقة الضغط الآزوري على المحيط الأطلسي والتي كان يستعملها المغررون لاكتشاف مجاهل هذا المحيط([6]).

---

[1] .عباس همداني، نفس المرجع،ص2.

[2] . ج ج كولستون،نفس المرجع،ص203.

[3] . جودت عبد الكريم يوسف،نفس المرجع،ص213.

[4] .ابن خلدون عبد الرحمن،المقدمة،دار القلم،بيروت،ط5، 1984،ص254.

[5] .يقول ابن جبير في هذا الصدد((وأصبح الهواء راكدا والريح غير متنفسة،إلا من الجهة التي لا توافقنا فأقمنا بها يوم الجمعة ....فلما كان يوم السبت ....تنفست الريح بعض تنفس فأقلعنا بذلك النفس نسير رويدا رويدا..)) أنظر ابن جبير،نفس المصدر، ج1،ص67.

[6] . انظر الإدريسي،النزهة، ج2،ص548..

كان لكل سفينة ربان يعرفون بالملاحين أو رؤساء السفن،وكانوا على دراية كبيرة بالبحر ومسالكه([1])،فلم تكن لتقلع دون أمر أو تسريح منهم،وكانوا مزودين بصحف تسمى الكنباص،تحمل خريطة مطابقة لما هو في الواقع أو الوجود من جزر ومراسي([2])،فكانت تتحاشى الإقلاع في كنف الرياح غير المنتظمة أو القوية التي قد تؤدي الى إتلافها وإلحاق الضرر بها([3])،وكذا الأبخرة المتصاعدة من المياه وخاصة في البحر المحيط الذي كانت تخشى السفن ارتياد مياهه لأنها إن غابت عن مرأى النظر أو السواحل فقلما تستطيع الرجوع إليها([4]) .

ولإدراك مدى فاعلية السفن في تلك الفترة ،يكفي أن نشير بأنها كانت تقطع البحر المتوسط من مبدئه عند مضيق جبل طارق إلى آخره عند أنطاكية أهم ميناء في الشام([5]) في تلك الفترة في ستة وثلاثين يوما([6]) .

لا شك في أن ايطاليا كانت تحتل مرتبة السبق في مجال النقل البحري، وهذا ما ندركه من خلال ما أورده الكثير من المؤرخين حول أساطيلها،إذ كانت لها ستة أساطيل بحرية منظمة ولها موانئ على جميع البحار التي تمر بها([7])، الأمر الذي جعلها تحقق أرباحا خيالية،وكذالك من خلال علاقاتها الواسعة مع جميع الدول وخاصة بلدان الشرق الإسلامي والتي كانت تحتكر التجارة معهم .

إن طبيعة المغرب الأوسط الجغرافية جعلت من البحر هو الرابط التجاري الأساسي والوحيد بينه وبين شبه الجزيرة الأيبيرية والايطالية،خاصة إذا ما علمنا أن الملاحة المتوسطية

---

[1]. ابن جبير،نفس المصدر،الصفحة عينها،أنظر أيضا،الإدريسي،النزهة ج1،ص348.المقدمة،ص254.

[2]. ابن خلدون،المقدمة،ص254. ،الإدريسي، نفس المصدر ،السابق،ج1ص348.

[3]. أبو العباس شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان، وأنباء الزمان،دار الثقافة،بيروت،الطبعة الأولى،1968،تحقيق إحسان عباس، ج1،ص32.الإدريسي،نفس المصدر السابق ،ج1،ص345.المقري،نفس المصدر السابق،ج1،ص204.

[4]. ابن خلدون عبد الرحمن،المقدمة، ص54.

[5]. تقدر المسافة بينهما بستة وثلاثين مجرى حسب الإدريسي،نفس المصدر السابق،ج2،ص308. وهذا ما يقابل حسب التقديرات الحديثة 3860كلم.

[6] كحالة رضا،نفس المرجع ،ص157.

[7]. ياغي إسماعيل وجودة حسنين جودة،تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ص60.

كانت أيسر من الأطلسية،انطلاقا من الخريطة التي أوردها شارل ديفورك ومن أخبار الرحالة والجغرافيين، يمكن إن نستخلص أهم المسالك البحرية التي ارتبطت بصفة مباشرة أو غير مباشرة بموانئ المغرب الأوسط.

فبالنسبة لمملكة بني نصر بجنوب المنطقة فكان أهم خط لها هو :المرية – هنين نظرا لتقابل وقرب المرسيين([1]) كما كانت المعاملات الأندلسية تتم بشكل واسع مع ميناء تنس إذ كانوا يقصدونه بمراكبهم ومتاجرهم ثم ينتقلون منها الى سواها([2])،أي أن هناك حركة منتظمة بين الموانئ المتقابلة بين العدوتين،أي – الانتقال رأسا من ميناء الى ما يقابله في الضفة الأخرى– .ومن هذا الميناء الرئيسي (المرية) تتوزع خطوط أخرى اقل أهمية تجاه ميناء المنكب و مالقة .

وبالنسبة لمملكة أراغونة،فكانت معاملاتها تتم بشكل واسع مع ميناء وهران،وبالمقابل كان لها خط مع الجزائر الشرقية وخاصة أكبرها وهي ميورقة،ومنها تتجه خطوط فرعية نحو موانئ المغرب الأوسط مثل تنس تدلس والجزائر وغيرها.

أما مملكة قشتالة،والتي كانت على عكس مملكة أراغونة دولة برية بحكم موقعها الداخلي في قلب اسبانيا، فلم تكن لها منافذ بحرية إلا بعد انتصاراتها على المسلمين،والتي مكنتها من احتلال قواعد بحرية، وبالتالي رسم سياسة بحرية لمبادلاتها منذ ذلك الوقت،والتي كانت تتم في معظمها مع موانئ المغرب الأدنى ومملكة بني نصر([3]).ونجد عز الدين احمد وانطلاقا من استنتاجات له لا يستبعد وصول المغاربة الى اسلندا و الدانمرك عن طريق أشبونة.

كما كانت العديد من سفن مايورقة تتجه نحو موانئ المغرب الأوسط، اثنين منها اتجهت نحو ميناء وهران الأولى في سنة 1344م،والأخرى سنة1353م،بينما أبحرت نحو ميناء هنين سفن عديدة في الفترة الممتدة من 1344م،1381م ([4]).ومن هنا ندرك أن هناك خطوط ملاحية بحرية بين جزر البليار والمغرب الأوسط لكن دون إشارة الى خط سيرها.

---

[1].القلقشندى أحمد بن علي،صبح الأعشى في صناعة الإنشا،تحقيق يوسف علي طويل،دار الفكر، دمشق، 1987م، الطبعة الأولى، ج5،ص145.

[2].ابن حوقل ،نفس المصدر، ص77.

[3].انظر خريطة الطرق البحرية ضمن الملاحق.

[4]. Emanuelle Charles Dufourq,revue d,histoireet de civilisation du maghreb p30.

نفس الشيء يمكن قوله بالنسبة لشبه الجزيرة الايطالية، إذ كانت تخرج السفن من موانئ البندقية و جنوة نحو نفس الجزر، ومن ثمة نحو موانئ المنطقة الأساسية، أو مرورا بجزيرة صقلية بمحاذاة ساحلها الجنوبي نحو أهم المرافئ الشمالية لإفريقيا،ومن بينها موانئ المغرب الأوسط،وبالخصوص ميناء وهران والمرسى الكبير ([1])،وهي التي عرفت بمراكب البربر،راسمة بذلك خطا موازيا للخط البري الساحلي([2]).

[1].الوزان،نفس المصدر،ص9.

[2].موسى عز الدين احمد، نفس المرجع،ص319.

المبحث الثالث:المبادلات التجارية

أ-العوامل التي ساعدت على ازدهار التجارة: إن أول عامل تجدر الإشارة إليه هو العامل الجغرافي،والمتمثل في قرب منطقة الشمال الإفريقي عموما عن جنوب أوروبا، إذ لا يفصل بين طنجة وجنوب شبه الجزيرة الأيبيرية عند مضيق جبل طارق سوى ثلاثة عشر كيلومترا، وافريقية عن ايطاليا عند مضيق صقيلية سوى مائة وثلاثون كيلومترا،أما بالنسبة للمغرب الأوسط فقد تقابلت أراضيه وموانئه مع أهم موانئ شبه جزيرة الأندلس، إذ يوازي ميناء المرية المشهور في الضفة المقابلة ميناء هنين بمسافة تقدر بمجريين ومدينة دانية التي تقابلها مدينة وميناء تنس على مسافة ثلاثة مجار فقط([1]) فكانت تلمسان بالأخص ممرا ومركزا هاما لتبادل البضائع الإفريقية وبضائع البحر المتوسط ([2]).

إن الاستقرار والهدوء النسبي الذي تمتعت به ايطاليا عكس البلاد الأوروبية الأخرى،و التي كانت تخوض حروبا واسعة فيما بينها، دفع بعجلة التطور إلى النمو والازدهار كما هو الحال بالنسبة لمدينة جنوة والبندقية وبيزا وفلورنسا وغيرها[3])هذا ما فتح شهية هذه الإمارات على الاتجار.

كما أن انعدام الأمن في الطرقات التي كانت تؤدي إلى دواخل إفريقيا،بسب الأعراب الذين كانوا يتربصون بكل من يمر عبرها،حتم على الغرب أن يتعاملوا مع الدولة الزيانية كوسيط تجاري، ناهيك عن المخاطر الطبيعية وعدم معرفة أولئك التجار بالمسالك التي قد تفضي بهم إلى الضلال والتيه، ويعطينا الحسن الوزان مثالا عن منطقة انقاد([4]) الواقعة غرب الإمارة،والتي كانت مأوى لعصابة لصوص من الأعراب، الذين كان يزداد خطرهم خاصة في

---

[1].الإدريسي ،نفس المصدر السابق،ج2، ص582،ونجد لدى القلقشندى أن ما يقابل دانية من بلاد الأندلس هو ميناء مستغانم وأن المسافة الفاصلة بينهما هي ثلاث مجار ونصف.صبح الأعشى،ج5،ص145.

[2]. جون ب وولف،الجزائر تحت الأتراك،ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله ،م و ك ،1986.ص23.

[3]. ياغي إسماعيل ،أبو علية عبد الفتاح حسن تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر،د م ج،الجزائر،1984، ص40.

[4]تقع إلى الجنوب من مدينة وجدة الحالية وهي تخضع لسلطة المغرب الأقصى وتعرف لدى البعض باسم هلا نقاد. .

فصل الشتاء، بعد أن يرحل الأعراب المستأجرون للحفاظ على الأمن نحو نوميديا بالشرق([1]). ونفس الشيء يمكن قوله بالنسبة لدواخل أوروبا التي تميزت في تلك الفترة بصعوبة وخطورة وعدم أمان مسالكها وطرقها خاصة في الفترة الممتدة من نهاية القرن الثالث عشر وحتى السنوات الأولى من القرن الخامس عشر([2])، فاتضح أن مستقبل أوروبا الغربية بشكل عام أصبح مرتبطا بالماء، هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد محاولة التلمسانيين وإصرارهم على احتكار تجارة الجنوب، أو بالأحرى تجارة الذهب لأسباب اقتصادية ودينية([3])،كل هذه الأمور مجتمعة أرغمت أولئك المسيحيين والمسلمين في غرناطة على مزاولة التجارة معهم مجبرين لا مخيرين.

– الاختلاف في المحاصيل والمنتجات الزراعية بسبب اختلاف المناخ ضمن المنطقة المعتدلة إذ تتميز أوروبا بكثرة أمطارها ورطوبتها وانخفاض درجة حرارتها نسبيا. ساعد على تباين المحاصيل كتلك التي لا تنمو إلا في درجة حرارة عالية ومنها التمور أو تواجد بعض الحيوانات في ضفة دون الأخرى .

– اختلاف المستوى الصناعي بين العالم الإسلامي والمسيحي إذ كانت بعض مناطق أوروبا تشهد تقدما اقتصاديا ملموسا منذ مطلع القرن الحادي عشر ميلادي /الخامس الهجري كما هو الحال بالنسبة لبعض المدن الإيطالية([4]).

–جودة بعض المنتجات الزيانية وخاصة الصوفية والكتب والتي جعلت التجار يفضلون تلمسان عن غيرها حتى في أيام الحروب والأزمات([5]).

– لا شك أن التبادل التجاري يزداد نشاطا بازدياد عدد السكان لان العمل التجاري قبل كل شيء هو تلبية لحاجيات الأفراد، فايطاليا مثلا ظلت مركز ثقل سكاني([6]) وتلمسان التي

---

[1]. الوزان الحسن، نفس المصدر، ص11.

[2]. يحي جلال، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر،المكتب الجامعي الحديث،السكندرية،1983صص 171،172.

[3]. بادل دا فرانسيس، إفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال احمد، دار الثقافة،دون تاريخ،ص124.

[4]. ياغي إسماعيل،نفس المرجع، ص40.

[5].مؤنس حسين،تاريخ المغرب وحضارته،من قبيل الفتح الإسلامي الى الغزو الفرنسي، الجزء الثاني،العصر الحديث للنشر والتوزيع،ص140.

[6]. الباز العريني ،نفس المرجع،ص117.

بلغ عدد الديار بها ثلاثة عشر ألفا على عهد الحسن الوزان([1])،(بعد أن كاد الحصار المريني أن يفنيهم،ببلوغ عدد ضحاياه مائة وعشرين ألفا حسب يحي بن خلدون([2])ما ساعد على اتساع السوق المحلية في كلا الضفتين وخاصة بتلمسان التي لم تكن تستورد لنفسها فقط بل لبلاد السودان الغربي أيضا.

-الأمانة والشرف اللذان تمتع بهما تجار المغرب الأوسط، سواء لدى ملوك الجنوب كملك مالي الذي عاملهم على أساس أنهم أصدقاء أعزاء([3]) أو مع تجار الضفة اليسرى ،فكانت عمليات الغش نادرة، لحرص تجار تلمسان على سمعة مدينتهم،إذ كانوا أغنياء بالمال ومياسير بالأملاك، مشهورون بنزاهة واستقامة أعمالهم الفريدة،كسكان هنين الذين عرفوا بذلك منذ القدم([4]) وتجار مدينة تلمسان الذين كانوا أناسا منصفين مخلصين جدا وأمناء في تجارتهم([5]).

- تشجيع الملوك والسلاطين الزيانيين للتجارة فنجد يغمراسن بن زيان يتنبه الى أهمية التجارة،فأوسع للتجار في بلده وذلك بأن وفر لهم الحماية والأمن،وخفف عنهم الجبايات، كما ندرك ذلك من قول أبي حمو موسى الثاني"لو لا الشناعة لم أزل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع "([6]). ولكونها كانت مصدر دخل هام للسلاطين فيذكر الوزان أن قيمة ما استلمه احد كتاب ملك تلمسان([7]) من سفينة جنوية مقابل رسوها بميناء هنين خمسة عشر ألف مثقال ذهبا مسكوكا([8]).

---

[1] الوزان،نفس المصدر، ص19.

[2] ابن خلدون يحي، نفس المصدر، ص211.

[3]. مارسي جورج،مدن الفن الشهيرة ،تلمسان،دار النشر التل،الجزائر،2004.ص 99.

[4].الوزان ،نفس المصدر، ص15.

[5]. نفسه،ص.21.

[6].المقري،النفح ،ج5،ص206.

[7].كان الوزان مرافقا لكاتب السلطان ومن هنا لا نستبعد أن يكون أبي ثابت الزياني الذي نزل ضيفا عليه.

[8]. نفسه،ص16.

-اهتمام ملوك الدول الأوروبية بالتجارة مع بلدان المغرب الأوسط لما كانت تدره عليهم من أرباح والدليل على ذلك هو ما أورده ديفورك بخصوص النقود التي كان ملوك أرغونة و ميورقة يسكونها وكانت شبيهة بالنقود العربية لتسهيل عمليات التبادل مع البلدان العربية([1]).

-توفر البنى التحتية من موانئ ومخازن و التي كانت على الدوام رديفة لمصالح الجمـــارك([2])، إضافة إلى أماكن الإقامة وعلى رأسها الفنادق، إذ تواجدت بتلمسان جملة من الفنادق المشهورة والمريحة،والتي يذكر لنا الوزان اثنين منها خصصت لتجار جنوة والبندقية([3])وكذا جمال المدينة التي كانت تستهوي كل من يزورها، وتواجد جملة من الأندلسيين اشتهروا هم أيضا باستضافة إخوانهم القادمين إليهم من الأندلس وهذا عامل ساعد على تنشيط و اســـتمرارية العلاقـــات التجارية بين الأندلس والمغرب الأوسط،وكانت البندقية وجنوه يومئذ مدينتين عالميتين ضخمتين تجد فيهما أجناس البشر من كل صقع ومن كل دين يتبادلون كل ما تنتجه بلاد الدنيا قاطبـــة من سلع فلاحية وصناعية، ومن هنا ندرك أيضا التسهيلات التي وفرتها البلـــدان الأوروبيـــة للتجار القادمين إليها.

-الربح المادي باعتباره المحفز الأول على عملية الاتجار، ومن كلا الطرفين فكان الذهب سببا في اغتناء تجار تلمسان وسكانها،وسببا في تواجد الأوروبيين بمختلف أجناســـهم بتلمـــسان،فلا الحروب ولا الأزمات السياسية والدبلوماسية ولا القرصنة أدت أو عرقلت ســـير المبـــادلات والعلاقات التجاري([4]).

-ازدياد عدد السكان في كل طبقات المجتمع الأوروبي، وانكماش وتقلص حظ ونصيب الفرد من الأراضي الزراعية أمام انعدام ظهير يصح استغلاله في هذا المجال، أو أطراف بحوزة الأعداء والخصوم يصح قهرهم واستردادها وإنزال الفائض من السكان بها.إضافة إلى تقلص أراضـــي صغار النبلاء، بعد انقسامها بين كثير من الأبناء الذين انضموا إلى برجوازية المدن واحترفـــوا التجارة([5])، حتى صارت التجارة هي المهنة الأساسية لهم .

---

[1].Dufourcq,Ch.E,L,Espagne catalane et le Maghreb aux XIII siècle,Paris,1965,PUFp563-564.

[2].مارمول كار بخال،نفس المصدر،ج3،ص7.

[3].نفسه ص20.

[4] . Dufourcq,Ch.E,opcit,p148-149.

[5].العريني السيد الباز،نفس المرجع.ص117.

ب-طبيعة المبادلات:

هناك تقارب في قائمة السلع المتبادلة بين أهم موانئ المغرب الأوسط،ويعتبر الجيلالي صاري ميناء هنين نموذجا لها،مع وجود بعض الاختلافات الطفيفة([1])،وتمثلت هذه البضائع في الحبوب([2])إذ تفيد المصادر التاريخية بان وهران ظلت تكتسي أهمية بالغة في تصدير الحبوب منذ القرن العاشر الميلادي،إلى جانب مينائي وهران وأرزيو([3])وكذا ميناء تنس الذي كانت تحمل المراكب منه القمح إلى مناطق عديدة وبالأخص سواحل الأندلس([4]) .وقد اشتهر قمح المنطقة باحتوائه على كمية كبيرة من السميد فكان يفضله أهل جنوه للعجين، ويصنعون منه الرغيف البحري الجاف والاطرية حسب محمد الطمار([5])،كما كانت بعض هذه الحبوب تتخذ علفا للماشية،إضافة إلى الضان والأصواف والجلود المدبوغة التي تمثل مواد أولية لبعض الصناعات الجلدية([6])،وكانت تتجه خاصة نحو شبه الجزيرة الأيبيرية لتصنع وتحديدا إلى اشبيلية التي صارت موضعا لالتقاء التجار من الايطاليين والبرتغاليين والانجليز والفرنسيين الذين أصبحوا يفدون إليها للحصول على ما اشتهرت به من الصوف والمصنوعات الجلدية و الشب لصبغ المنسوجات والزئبق، وجالبين إليها السلع الكمالية من الشرق([7]).

وحتى القرن العاشر الهجري، كان الإقبال على الصناعات التقليدية التي تنتجها بلاد المغرب الأوسط لا يزال متكاثرا بين الناس، ولاسيما فيما يتصل بصناعة النسيج، إذ كانت التجارة فيه نافقة ورائجة، وهذا ما ندركه من خلال قول الرحالة الوزان حين يتحدث عن وهران فيقول "وكان معظم سكانها من الصناع و الحاكة ويعيش أكثر سكانها على مدخولهم.. "([8]).

---

[1]. sari Djilali. Op.cit,p33.

[2] .L.didier .histoire d.oran1501-1550.oran1927 .p 7.

[3]. Vernet robert,revue d,histoire et de civilisation du maghreb.n13,janvier 1976,p34.

[4].ابن سعيد، الجغرافيا،144

[5].الطمار محمد،الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1983،ص248.

[6]. Sari Djilali ,opcit,p33.

-الجزائر في التاريخ،مجموعة من المؤرخين،م وك،الجزائر1984. ص438.

[7].كولستون، ج، ج،نفس المرجع،ص 112.

[8]. الوزان،نفس المصدر، ص30.

وكانت تلمسان تصدر أيضا التمور التي تفتقدها الضفة المقابلة للمغرب من المتوسط لعوامل طبيعية أهمها الحرارة،والتي كانت ذات قيمة غذائية هامة لدى الاسبان وفي جميع المدن ([1]) والتي كان يفضلها ملك أراغونة على مائدته.وعموما فقد عرفت حركة تصدير الفواكه الجافة نشاطا كبيرا والتي نذكر منها الجوز والبندق والزبيب([2])،ولا ننسى بان تلمسان خصوصا كانت مركز عبور للذهب الذي كان ينتقل من السودان الغربي نحو دول أوروبا، والذي عمل أمرائها على احتكار تجارته.

كما كانت تخرج من موانئ المغرب الأوسط نحو بلاد الأندلس بعض الحيوانات كالخيول رغم توفرها في الضفة الأخرى للمتوسط، والصقور حسب ما نستشفه من حديث الوزان، لكنها كانت تتجه للملوك والطبقة النبيلة فقط([3]) .وكذا الحبوب والصوف والمرجان نحو البندقية([4]). والشمع والجلود التي اشتهر بها جبل بني بوسعيد المجاور لمدينة تنس إذ كان سكانه يحملونهما نحو مينائها لتباع للتجار الأوروبيين([5])،إضافة إلى العسل والزيت والعبيد الذين كان ملك ارغونة يرسل تجارا لجلبهم من تلمسان([6])كان يتزود بها تجار[7] والذهب والرياش والبهارات التي تجلب من إفريقيا السوداء([7]).

أما عن واردات الدولة الزيانية فمتنوعة وغير قارة، إذ أن شهرة بلاد المغرب الأوسط بإنتاج الحبوب لم تمنع من استيرادها في سنوات القحط والمسغبة ([8])كما أنها لم تخضع لحاجيات المملكة فقط، بل راعت ما تحتاجه دواخل الصحراء وبلاد السودان الغربي

---

[1]. Sari.Djilali , opcit,p34.

[2].ibid, p34.

[3]. الحسن الوزان،نفس المصدر، ص10

[4].المدني توفيق،نفس المرجع،ص37.

[5].الوزان، نفس المصدر،ص45.

[6]. Djilali Sari.op.cit,p34.

[7].الدراجي بوزيان، نفس المرجع،ص215.

[8]. Vernet.robert .revue d,histoire et civilisation du Maghreb,no13,Janvier1976,p60. .

باعتبارها الواسطة التجارية بينها وبين أوروبا، إذ كان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع،وذاك يرسل له بالجلد والعاج والتبر ([1]).

كما جلب تجار المغرب الأوسط أقمشة الحرير من مدينة المرية ومن المدن الإيطالية وأنسجة الكتان،([2]) فكانت المدن الإيطالية والإسبانية تحتكر عملية جلبها من فرنسا وهولندا.

وهناك مادة الجوخ أو الملف التي اشتهرت بصناعتها بعض الدول الأوروبية وخاصة ايطاليا متزودة بمواد أولية قادمة من الشرق([3]).والتي كان الزيانيون يتخذون منها مادة لصنع بعض قطع لباس الجند([4]) والأسلحة من رماح وسيوف وخناجر.

وللملاحظة فان الواردات التي كان يقتنيها تجار المغرب الأوسط ومنهم التلمسانيون، لم يكن يراد من ورائها الربح والتكسب فقط،على غرار ما كان يتم مع بلاد السودان الغربي بقدر ما كان الهدف منها،جلب مواد يستطيبها سكان المنطقة، أو يفتقدونها وعلى رأسها البضائع المصنعة،وهذا ما يشير إليه مارسي بقوله "إن السلع المستوردة من بلدان ما وراء البحر كانت اقل إنتاجا للثروات لكنها زودت تلمسان ببضائع مصنوعة ...."([5]).

ولا نستبعد أن تكون بلاد المغرب قد استوردت من شبه جزيرة الأندلس بعض المحاصيل الزراعية حسب ما نستخلصه من إشارات الإدريسي،كاشبيلية التي اشتهرت بجودة زيتها، فكان "يتزود به من مشارق الأرض ومغاربها عبر البر والبحر"([6]). وكذا الزعفران الذي اشتهرت به مدينة وادي الحجارة و"كان مطلوبا من جميع الجهات و العمالات" ([7]).

وندرك أيضا غياب الخمور ضمن القائمة التي أوردها عطاء الله دهينه،في حين نجد جيلالي صاري قد أوردها،لكن مع الإشارة إلى أنها كانت بكميات قليلة،و تتجه نحو الجالية المسيحية

---

[1].المقري ،النفح،ج5،ص205،انظر أيضا، الطمار محمد،نفس المرجع،ص237.

[2]–مارسي جورج ،،نفس المرجع ،ص99.

[3]. بروي ادوار ،نفس المرجع،ص519.

[4].الوزان،نفس المصدر،ص21.

[5].مارسي جورج ،نفس المرجع ،ص99.

[6]. الإدريسي،نفس المصدر السابق، ص264.

[7].نفسه،ص276.

المقيمة بتلمسان، والجنود أو المليشيات الموجودة ضمن الجيش الزياني ([1]).وهذا ما يتوافق أيضا مع ما يورده شارل أندري جوليان بان الخمور كانت ضمن قائمة واردات الدولة الحفصية([2]) وهنا ندرك تغاضي السلطة وتسامحها في استيرادها لهذه المادة رغم حرمتها.

وفي نهاية الأمر نستخلص بان تلمسان لم تنقطع عن كونها ساحة مرور تلتقي فيها المواد الأوروبية من أقمشة وأسلحة بمواد المغرب و السودان الغربي وذلك حتى في ساعات الأزمات الخطيرة([3]) إذ كان تجار تلمسان يصدرون إلى بلدان الجنوب منتجات المغرب الأوسط الصناعية والزراعية والبضائع التي كانوا يستوردونها من وراء البحار مقابل تزويد([4]) تجار الشمال بالتبر والجلد والعاج القادم من هناك،و ندرك أيضا بان مبيعات الدول الأوروبية نحو بلاد المغرب الأوسط امتازت بكونها مواد مصنعة، عكس المواد التي كانت تخرج من بلاد المغرب، والتي طغت عليها صفة المادة الخام،وهذا ما يدل أيضا على ظهور نهضة صناعية أوروبية في تلك الفترة .

ب-أثر الاختلاف الديني على المبادلات التجارية: رغم أن الهدف الأول من مزاولة التجارة هو تحقيق الربح بالدرجة الأولى، وتوفير الناقص من السلع بدرجة ثانيـــة، ورغم النشاط الذي عرفه هذا المجال بين ضفتي المتوسط، إلا أن هذه المبادلات التجارية لم تكن مطلقة من كل قيد بين المسلمين والنصارى،إذ لم يستبعد الصراع الديني في تحديد قائمة السلع المتبادلة مع الطرف المخالف دينيا، فقد أدخل المسيحيون(رجال الدين)والمـــسلمون(الفقهـــاء) سيان، البعد الديني في تحديدها ،فنجد جاك الأول حاكم اراغونة، يذكر بعض الاسبان بقـــرار كان قد اتخذه بخصوص السلع التي يحرم أو يمنع توفيرها للمسلمين،والتي قد تساعد على تقوية

---

[1].Sari.Djilali, opcit,p35.

[2]. جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية ،الدار التونسية للنشر ،تونس،1971.ص196.

[3]. الجزائر بين الماضي والحاضر،ص114.أنظر أيضا شارل أندري جوليان،نفس المرجع، ص202.

[4]. عبد القادرجغلول ،مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط،ترجمة فضيلة الحكيم ط1،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع،1982،ص82.

شوكتهم في حرب قد تقوم بينهم،أوتد خل في صناعة الأسلحة أو السفن([1]) ومن هذه السلع: الأسلحة والحديد و الخشب و الحبوب الغذائية بأنواعها،وما يستخرج منها من طحين،إضافة إلى الحبال والرصاص([2])،ولم يتم هذا

مع المغرب الإسلامي أو الأوسط فحسب بل تعداه إلى بلدان المشرق الإسلامي، حين نجد البابا([3])

يعارض التجار الايطاليين مع المشرق الإسلامي،فيصدر الفاتيكان بهذا الشأن صكوك الحرمان،لكن التجار لم يمتثلوا لأوامره، ليضطر إلى إغماض عينيه عنها([4])،بل واضطر بعض التجار الى دفع مبالغ باهظة للحصول على تصاريح منه للاتجار مع الشرق في مجال الأسلحة والأخشاب([5]).

كما نجد أيضا التوبيخ الذي وجهه البابا بونوات الثاني عشر إلى بطرس الرابع ملك اراغونة،لعلاقاته الحميمة مع المسلمين([6]).وبالمقابل نجد فقهاء الإسلام أيضا،يحرمون الاتجار مع الكفار،فقد سئل الشاطبي عن نظر الدين في بيع أهل الأندلس للأشياء التي منع العلماء بيعها من أهل الحرب كالسلاح وغيره لكونهم محتاجين إلى النصارى في أشياء أخرى من المأكول والملبوس وغير ذلك،أم لا فرق بين أهل الأندلس وغيرهم من ارض الإسلام؟فأجاب بان هذه جارية مجرى غيرها إذ لم يفرق العلماء في المسالة بين قطر وقطر آخر و لا فرقوا أيضا بين من هادن أو كان حربيا لنا إلا ما ذكره ابن حبيب في الطعام :فانه أجاز بيعه ممن هادن دون

بلحميسي مولاي، محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي ببجاية،المجلد الثاني ،منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية 1394هـ/1974م،ص573،أنظر أيضا، Djilali Sari, op.cit,p35.

[2].محمد رضا كحالة،نفس المرجع،ص131.

[3].وردت العديد من التعاريف فيعرفه الحموي في المعجم بأنه:الذي تطيعه الفرنجية وهو لهم بمنزلة الإمام متى خالفه أحد منهم كان عاصيا مخطئا،يستحق النفي والطرد والقتل ،يحرم عليهم نسائهم وغسلهم وأكلهم وشربهم" الجبرتي عبد الرحمن بن حسن،دار الجيل، بيروت. ج3، ص100. وبأنه"رئيس الإفرنج هو عندهم نائب المسيح كما هو أمير المؤمنين عند= المسلمين"نفسه،ج1ص323. ج3،ص100.أما ابن خلدون فيرى بأن معنى الكلمة هو:أبو الآباء،ظهر أول مرة بمصر، المقدمة، ص 234. ونفس التعريف نجده لدى القلقشندى،نفس المصدر،ج5،ص 442.

[4]. يحي جلال، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر،المكتب الجامعي الحديث،الاسكندرية1983،ص175.

[5].العريني الباز،نفس المرجع،ص131.

[6]. مجموعة من المؤرخين،الجزائر في التاريخ،الجزء الثالث،ص482.

الحربي([1])، فندرك أن كلاهما انطلق من تغليب المصلحة الخاصة على مصلحة الغير،فأباح التجارة في استيراد المفقود والنافع من السلع، وحضر تصدير كل ما هو استراتيجي في أي مواجهة دينية محتملة .

رغم كل هذا إلا أن التجار لم يأبهوا لما صدر عن رجال الدين أو الفقهاء من تهديدات، فآثروا مصلحتهم الخاصة،على الأقل بالنسبة للأوروبيين الذين لم تتوقف سفنهم عن التردد على موانئ المغرب الأوسط، في حين نجد أن قرار الفقهاء المسلمين قد اثر نسبيا في نفسية تجارهم،وهذا ما ظهر من خلال تناقص عدد المسافرين إلى الضفة اليسرى للمتوسط.

ومن خلال المصادر التاريخية نجد أن أهل تلمسان تعاملوا مع كل الأطياف الدينية والتي تمتعت بحرية و أمن كبير في كنف السلاطين الزيانيين، فنجد أن اليهود كانت لهم حارة خاصة بهم تضم نحو خمسمائة دار و كان كل سكانها أغنياء([2]).

ج-طرق التبادل وتقنياته :

رغم عدم ندية العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط وأوروبا، من حيث تواجد التجار، ورغم ما طبعت به من بعد ديني، إلا أنها لم تخلو من أمور تنظيمية ومن كلا الجانبين.فقد أولت الدول الإسلامية قاطبة أمر الجمرك اهتماما كبيرا،وخاصة منذ أن أصبحت الجمارك موضعا لإدارة الحكومة ومخزنا للبضائع،فكان لكل ميناء أمين للمال وقابض يتسلم مداخليه([3])،وهو ما يقابل مدير الجمرك لدى الدولة الحفصية،أما مهمته فتتمثل حسب ليون في جمع الرسوم الجمركية المفروضة على البضائع التي تخرج للتصدير بحرا أو على البضائع الواردة عبره([4])، والتي كانت تقدر بالدولة الحفصية حسبه ب25 %فقد وضعت أنظمة بيع خاصة في البلاد الإسلامية قاطبة لكن و قبل أن ندخل في صلب الموضوع ارتأينا تحديد بعض المصطلحات التي تبدو ضرورية ومنها :

---

[1].لمزيد من الاطلاع حول هذه القضية وقضية التعامل مع الكفار يرجى العودة الى :فتأوي الإمام الشاطبي،تحقيق وتقديم محمد أبو الأجفان ،ط2،مطبعة الكواكب،تونس.1406-1985م،ص146ومايليها-

[2]. الوزان ،نفس المصدر،ص20.

[3].الوزان، نفس المصدر، ص30.

[4]. كانت هذه المهمة تسند في الدولة الحفصية و في اغلب الأحيان إلى احد اليهود الأغنياء.انظر الوزان، المصدر عينه،ص80.

-**النقد**:أو العملة في تعريفها البدائي والبسيط هي جملة إشارات أو رموز تسمح بتداول السلع،أو بعبارة أخرى أي وسيط في تبادل السلع فهناك من الشعوب من استعملوا الحبوب والحيوانات كعملة للتبادل،وبالتالي فالعملة أو النقد هي ذلك الرمز الاجتماعي للثروة الذي ينظم تقسيم الثروة ما بين الأفراد([1])،ولا يشترط فيه أن يكون من جنس واحد فقد يكون معدنا أو ورقا (كما هو الحال اليوم).ويعطينا ابن خلدون تعريفا آخر للنقد أو السكة بأنها الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة....لتخرج فيما بعد ظاهرة مستقيمة على تلك الدنانير([2]).وبالتالي فما يضاف على تلك القطع المعدنية من إشارات هو دليل قابليتها وجاهزيتها للتبادل.

-**المقايضة**:هي تبادل سلعة بأخرى تختلف عنها صاغا وقيمة،وتعرف أيضا بالمبادلة العينية،وهذه العملية ليست بالأمر الهين كما أنها لا تخلو من تعقيدات ،نظرا لما هنالك من اختلافات في قيمة السلع ومن ثم صعوبة تحديد المقابل من سلعة الطرف الآخر حتى تكون العملية عادلة .فقد وجد عبر التاريخ تجار استبدلوا الملح مقابل نفس الوزن من الذهب.

البيـــــــــوع:وهي عبارة عن عقود تنقسم حسب البر زلي إلى أربعة أقسام ([3])هي:

بيع المساومة:ويتم بالتراضي بين طرفين حول بضاعة معينة وبثمن معين ،فإما أن تسلم مباشرة في مكان المبايعة أو تسلم بعد ذلك في نفس المكان أو في مكان آخر وذلك بعد الاتفاق على مجموعة من الشروط المحددة كجنس ونوع وقدر السلعة ومكان واجل التسليم وما يترتب عن العملية من تكاليف ،وتدفع القيمة الإجمالية كلية أو يدفع عربون على أن يستكمل الباقي عند الاستلام([4]) .

البيع بالمزايدة:وهو عرض السلع في السوق فتكون من نصيب صاحب أكبر عطاء،وقد أجاز معظم العلماء هذا النوع من البيع ،ويلجا إليه معظم التجار ،ويتحصل فيه أصحاب السلع على أعلى الأسعار،من حيث الدعاية لسلعهم وإقامة المنافسة عليها،ولا يزال معمولا بهذا

[1].هني احمد، العملة والنقود،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1986 ،ص10.

[2].انظر ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة،ص203.

[3].انظر عاشور بوشامة، نفس المرجع السابق،ص348، انظر أيضا البر زلي :جامع مسائل الأحكام ،الجزء الثاني ورقة 224.

[4]نفسه الصفحة ذاتها، انظر أيضا البر زلي :جامع مسائل الأحكام ،الجزء الثاني ورقة 224.

النظام حتى في وقتنا الحالي ،وهو يتيح الفرصة لأكبر عدد من التجار للاطلاع على السلعة ومن ثم تقرير الدخول في العملية من عدمه.

-**بيع المرابحة** :وهو بيع بضاعة أو سلعة معينة بفائدة محددة مسبقا بالنسبة لسعرها وكلفتها الإجمالية مع ذكر ذلك للمشتري مع الالتزام له بجملة من الشروط أهمها الصدق وإبراز مساوئ ومزايا هذه السلعة أو البضاعة.([1]) ولا يزال هذا النوع من البيوع ساريا في أيامنا لدى المؤسسات المالية والبنوك الإسلامية.

-**بيع الاستئمان**: كان يقول احد لآخر أعطني بدينار أو بدينارين،ويعتبر هذا النوع من البيوع عرضة للغش ([2]).

أما عن البيوع بخصوص موضوعنا،وانطلاقا مما أورده ديفورك من أن مملكتا اراغونة و ميورقة لم تكونا تضربان عملة من الذهب، ما عدا قطعا من النوع المغربي لتسهيل عملية التبادل التجاري مع البلدان الإسلامية ([3])فان جزءا هاما من هذه المبادلات كان يتم نقدا وداخل مصلحة الجمارك على شكلين :الأولى وهي المزايدة وبحضور السماسرة والأدلاء وبحضور مفتشي الضرائب ([4]) أما الثانية فتتم بحضور مترجمين مع إمكانية غياب مفتشي الضرائب،و إذا كانت الكميات قليلة أو غالية الثمن فقد يعرضها الدلالون على التجار في محلاتهم ويبيعونها لمن يدفع أعلى سعر([5]).لكن هذا لم ينفي طريقة المقايضة أو المبادلة العينية وحتى القرن الخامس عشر،وهذا ما نستشفه من خلال حديث الوزان عن السفن الجنوية التي كانت تلجا إلى مينائي وهران والمرسى الكبير محققتان ربحا وافرا عن طريق المقايضة([6]).

فكان العشر معدل ما تأخذه الجمارك من البضائع([7])،وقد حرصت مملكة بني زيان بدورها عـــــلى

---

[1].انظر البر زلي :جامع مسائل الأحكام ،الجزء الثاني ورقة 224.

[2]. نفسه،ص 349،البر زلي،نفس المصدر،ج2،ورقة225.

[3] . Dufourq CharlesEmanuelle, L ,Espagne Catalane et le Maghreb aux XIII et XIV eme siecle,Paris,1965,PUF.P 563,564.

[4].دهينه عطاء الله ،الجزائر في التاريخ ،ص485.

[5].البر زلي ،نفس المصدر ،ج5ص38.

[6].الوزان ،نفس المصدر،ص9.

[7].محمد كحالة، نفس المرجع،ص133.شارل أندري جوليان،نفس المرجع السابق،ص197.

حد تعبير ليون الإفريقي على جباية الضرائب التي تحصل عن دخول وخروج البضائع([1]).
وكان التجار المسيحيون ملزمين بعدم ممارسة نشاطهم إلا في موانئ معينة أين توجد مكاتب الجمارك ولم يكن هذا التقييد لأسباب سياسية بل لأسباب اقتصادية بحتة، إذ توجب تركيز نقاط التحصيل الجمركي ومكافحة التهريب وتحصيل الضرائب الجمركية المفروضة على الأجانب([2]).

وعلاوة على هذه الضريبة القانونية فقد كانت هناك أخرى غير قانونية، ترفع أسعار البضائع ارتفاعا كبيرا، ومتى أديت الضريبة سوغ أن تحمل البضائع إلى الفندق[3] الذي يخص الجالية التي منها صاحب البضاعة، وقد أدى نمو العلاقات التجارية بين المسلمين والنصارى في القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري)بشكل عام إلى إيجاد قناصل من الشعوب الغربية، تكون لها صفة سياسية وتجارية معا،وحرصت تلك الشعوب التجارية من جهتها على أن تكون لها مراكز ثابتة في البلاد الإسلامية لإدارة شؤونها.

كان لكل ميناء أمين للمال وقابض يتسلم مداخليه ،وهو ما يقابل مدير الجمرك لدى الدولة الحفصية، تتمثل مهمته في جمع الرسوم الجمركية المفروضة على البضائع التي تخرج للتصدير بحرا أو على البضائع الواردة عبره([4]).وكان التجار المسيحيون ملزمين بعدم ممارسة نشاطهم إلا في موانئ معينة، أين توجد مكاتب الجمارك ولم يكن هذا التقييد لأسباب سياسية بل لأسباب اقتصادية إذ توجب تركيز نقاط التحصيل الجمركي للتحكم فيها بشكل دقيق و من ثم مكافحة التهريب وتحصيل الضرائب الجمركية المفروضة على الأجانب([5]) وكان لمصلحة الجمارك دوران :جبائي وهو دور مالي بحت،ودور اقتصادي عام يتمثل في مراقبة المبادلات الاقتصادية

---

[1]. الوزان،نفس المصدر،ص23.

[2] .Dhina Atta Allah,les états de l,occident musulman, pp380.381 .

[3].يبدو أن هناك تشابه وتوافق كبير بين النظام التجاري للعالم الإسلامي بشطريه الشرقي والغربي وذلك من خلال النظام الضرائبي المفروض والشروط الملزمة للتجار الأجانب داخل البلاد الإسلامية.

[4].حسب الحسن الوزان فان هذه الوظيفة غالبا ما كانت تسند إلى احد اليهود الأغنياء في الدولة الحفصية.انظر نفس المصدر ص80.

[5] .Dhina Atta Allah,op cit..pp380.381.
Brosselar,les inscriptions arabe de Tlemcen,Revue Africaine,Alger,1861,p14-30.

عبر حدود الدولة وأقاليمها،واضطلاعها بمهمة تنفيذ سياسة الدولة الاقتصادية([1]).وقد مثلت هذه المصلحة حسب عطاء الله دهينه الواسطة بين الملك من جهة وبين التجار المسيحيين من جهة([2])، ولا شك أن هذه الوساطة كانت اقتصادية بحتة باعتبار أن الممثل القانوني أو الوسيط الحقيقي لهم هو القنصل المعتمد من قبل الدولتين المتعاملتين تجاريا.ولم يغفل الزيانيون جانب الأمن في الأسواق ومحاربة اللصوصية وقد أوكلت هذه المهمة لبعض السيافين ([3])،باعتبار أن الأمن يعتبر من أهم العوامل المساعدة على نمو هذا القطاع بما يضمنه للتاجر من حرية الحركة والتنقل بماله وسلعه.

كانت الرسوم الجمركية على السلع مختلفة في المعاملات مع المسلمين عنها مع المسيحيين، ففي الحالة الأولى عادة ما كانت تقدر ب 2,5 بالمائة، فيذكر مارمول بأنها قدرت في أواخر أيام الدولة المرينية في فاس ب2 بالمائة،أما اليهود المقيمون ببلاد المغرب عامة فكانت النسبة المقررة على بضائعهم الواردة هي 5بالمائة، ولذلك فإنهم كانوا يلجئون في بعض الأحيان إلى التحايل كالإقامة المزدوجة أو مشاركة اليهود المقيمين ببلاد المغرب في التجارة أو في السلعة([4]).

كان للتجار الأجانب كامل الحرية في التصرف في أموالهم التي يحصلون عليها من بيع بضائعهم الواردة،فكان بإمكانهم الخروج بها نقدا أو أن يشتروا بها بضائع أخرى، أما إذا اشترى التاجر بضائع تفوق في قيمتها قيمة ما جلبه من بضائع، فان صاحبها يدفع نصف نسبة الرسم الجمركي الذي دفعه حين دخول بضاعته البلاد على القيمة الزائدة([5])، وكان هناك الكثير من الوسطاء الذين لا مناص منهم كالترجمان والدلال([6])، وكل مصافقة أمام شهود

---

[1].مارمول،(كاربخال)ترجمه من الفرنسية محمد حجي وآخرون،مكتبة المعارف،الرباط ،1984،ج2، ص55،ج3 ،ص82.

[2]. دهينة عطاء الله ،الجزائر في التاريخ،ج 3، ص 484.

[3].الوزان،نفس المصدر،ص27.

[4].مارمول،نفس المصدر ج3،ص28.

[5].نفسه،ج2،ص28.

[6].عرف عبد الله بن بزيزة الدلال بأنه الشخص الذي يعرف القادمين من التجار بموضع السلع في البلد ويعرف أرباب لسلع بالتجار،ومن الفقهاء من لا يفرق بينه وبين السمسار والصائح على السلع لبيعها بالمزايدة ومنهم أبو القاسم البر زلي انظرإلى فتاوى الشاطبي ،لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي، ط2،تحقيق وتقديم محمد أبو الأجفان مطبعة الكواكب، 1985، ص143.

تصبح أمرا مقتضي.

الفنـــــــــــــادق([1]):كان التجار الأجانب إذا ما وصلوا الى المدينة التي يقصدونها للاتجار فيها توجهوا الى الفنادق المخصصة لهم لإيداع ما لديهم من بضائع بالمستودعات التي تحتويها،فتقيـــد في دفاتر خاصة وتضرب عليها المكوس الديوانية ،ثم تنظم الدولة عملية عرضها للبيع بالمزاد العلـــني حتى يتسنى لها تقدير المكس عليها.وكانت تلك الفنادق تخضع لنوع من التخصص حسب البضاعة أو حسب جنسية التجار([2]).وقد اشتملت مدينة تلمسان على أكبر نصيب منها نظرا لأهميتها مـــن حيث الموقع الجغرافي والمكانة السياسية والاقتصادية بالنسبة للمغرب الأوسط ومنها فندق الشماعين وفندق المجاري([3]) إضافة الى اثنين خصصا لمقام تجار جنوة والبندقيـــة لكـــن دون أن يـــذكر لهمـــا اسما،([4])و في مدينة وهران وجد فندق للتجار القطالونيين و الجنويين عرف ب "دار الجنويين"([5])على عكس اليهود الذين كانوا يتجمعون في حارة خاصة بهم تضم قرابة الخمسمائة دار بـــالقرب مـــن المشور([6])،وربما كان أولئك اليهود مقيمين بصفة دائمة بالمدينة الأمر الذي تطلب منهم بناء تلـــك الدور .

---

[1] سمعت أعرابيا من قضاعة يقول فنتق للفندق وهو الخان، الفندق: الخان فارسي حكاه سيبويه، قال و الفندق بلغة أهل الشام خان من هذه الخانات التي ينزلها الناس، مما يكون في الطرق والمدائن لسان العربـــ،ج10ص313.**fundouk** ثم وصلت إلى الصالحية، ومنها دخلنا الرمال ونزلنا منازلها مثل السوادة والواردة والطيب والعريش والخروبة، بكل منزل منها فندق،وهم يسمونه الخان، ينزله المسافرون بدوابهم، وبخارج كل خان ساقية للسبيل، وحانوت يشتري منه المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته. ابن بطوطة،نفس المصدر،ج1،ص70"وكان أهلها مياسير ولم يكن في بلاد أهل الأندلس أحضر من أهلها نقدا ولا أوسع منهم أحوالا وعدد فنادقها التي أخذها عد الديوان في التعنيب ألف فندق إلا ثلاثين فندقا"الإدريسي،النزهةج2ص563.

التكشيف:ابن بطوطة، ج2ص774.

[2].الوزان،نفس المصدر،ص30،20،19.

[3].انظر عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني ج1،ص136.

[4].الوزان ،نفس المصدر،ص20.

[5].نفسه،ص 30.

[6]. الوزان،نفس المصدر،ص20.أنظر أيضا.

Djilali Sari,op,cit,p40.

غالبا ما كانت الفنادق تبنى بالقرب من الأسواق أو الأماكن التي تباع فها السلع،وفي بعض الحالات نجدها في الضواحي و الأرباض([1])وكان الفندق يتكون من طابقين أو ثلاثة طوابق يخصص الأرضي منها للمخازن والدكاكين والإسطبلات والأفران وقاعة للمداولة والأحكام([2])،بينما خصص الطابق العلوي للنوم،وقد خضعت هذه الفنادق والدور لنفس التنظيم والنظام لنظيرتها في المشرق الإسلامي وبالخصوص في مصر على عهد أسرة قلاوون،وقد احتوت بعضها على الحانات التي يلجأ إليها التجار المسيحيون لتعاطي الخمور.

أما بالنسبة للطابق أو الطابقين العلويين فقد خصصا لنوم التجار وراحتهم،وكانوا ملزمين بتطبيق بعض التوصيات والقوانين إذ كانت تلك الفنادق محاطة بالأسوار العالية والسميكة الجدران تغلق أبوابها ليلا من طرف بوابين أمناء شرفاء يمنعون الغرباء الذين لا يحملون تراخيص من دخولها([3])، بينما يقوم الحراس بالسهر على أمنهم،وكان يقابل هذا في مصر ما يعرف بالعسس الذين تمثل دورهم في السهر على سلامة الفنادق والأسواق من الحرائق([4]).

ربما حرص ملوك الدولة الزيانية على عدم اختلاط التجار المسيحيين بسكان المملكة،وهذا ما ندركه من خلال تواجد المقابر و الكنائس الخاصة بهم بالقرب من فنادقهم ومنعهم الذهاب الى الحمامات العمومية الخاصة بأهل المدينة باستثناء البنادقة([5])،وتواجد القناصلة بنفس الفنادق لكن داخل أجنحة خاصة بهم،للحكم على التجار المخالفين وسجنهم في أجنحة داخل الفندق أيضا.

---

[1].فيلالي عبد العزيز،نفس المرجع،ص137.

[2].انظر عبد العزيز فيلالي ،مرجع سابق،ص137،أو كحالة عمر، مرجع سابق،ص135.

[3].عبد العزيز فيلالي، نفس المرجع،ص137.

[4].رضا كحالة ،نفس المرجع،ص135.

[5]. عبد العزيز فيلالي،نفس المرجع، ص138.

الفصل الرابع

العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط والضفة الشمالية الغربية للمتوسط

المبحث الأول: الواقع السياسي للضفة الغربية للمتوسط

المبحث الثاني: العلاقات الدبلوماسية

المبحث الثالث: أزمة القرن الرابع عشر وممهدات الاحتلال

• المبحث الأول:الواقع السياسي للضفة الغربية للمتوسط:

دأب المؤرخون والباحثون على البدء بالجانب السياسي و تقديمه على الجانب الاقتصادي، وفي بحثنا هذا حرجنا نوعا ما عن المعهود فأنهينا عملنا بالجانب لسياسي،وذلك لعدة اعتبارات أو أسباب منها منهجية البحث والأهداف المسطرة فحتى تكون الصورة جلية في فهم طبيعة العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط والضفة اليسرى للمتوسط ارتأينا أن نمهد لهذه الدراسة أو لهذا الفصل بعرض الخارطة السياسية للمنطقة أي شبه الجزيرة الأيبيرية وشبه الجزيرة الايطالية.

الأوضاع السياسية في شبه الجزيرة الايطالية: كانت ايطاليا في هذه الفترة مقسمة الى عدة وحدات سياسية ،تحكمها أسر معينة ومنها:

-**فلورنسا:** تقع في شمال غرب ايطاليا عرفت أزهى عصورها في الفترة الممتدة من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر، وكان يشوب الحياة السياسية بها منازعات طبقية عنيفة بين النبلاء والأثرياء من جهة وبين أفراد الطبقة الكادحة أو الدنيا من جهة أخرى([1]) ظهر بها حزبان كبيران أحدهما يناصر الإمبراطورية وهو حزب الجولف([2])، الآخر يناصر البابوية وهو حزب الجبليين([3])، الأمر الذي ادخل الإمارة في جو من التناحر والفوضى السياسية،بين أكبر الأسر الفلورانسية وهما:أسرة ألبيزي(Albizzi)و مديتشي (medici) انتهى بانتصار الأخيرة في النصف الأول من القرن الخامس عشر ميلادي لتدخل الإمارة فترة من الاستقرار والهدوء السياسي.

---

[1].كان دانتي البيجيري الأديب عضوا في مجلس المائة ثم مستشارا لمدة شهرين بهذه الإمارة.

[2].كانت غالبية أعضائه من الطبقة الوسطى التي اكتسبت ثروتها من التجارة ،وغلب عليهم التمسك بالدين والتعصب لآرائهم.

[3].كان معظم أعضائه من الواقعيين،كان اهتمامهم بالشعب قليلا،فقد انشغلوا بتحقيق مطامحهم الشخصية،مع العمل في نفس الوقت على استمالة الشعب الى جانبهم عن طريق منحه نوعا من الديمقراطية وإشراكه في إدارة شؤون الدولة.

- **نابولي**: فتشتمل عل الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة الايطالية مضافا إليها جزيرة صقلية،بدأ التنافس يشتد حولها بين فرنسا و إمارة أراغون قصد السيطرة عليها،مستغلين في ذلك حالة الضعف التي آلت إليها ايطاليا بشكل عام،وقد انتهى هذا الصراع بفوز اسبانيا واستحواذها على جزيرة صقلية،ويذكر القلقشندى أن صاحبتها في القرن الثامن الهجري كانت تعرف بجوانا([1]).

-**ميلانو**:تقع في الشمال الغربي لشبه الجزيرة،ظهر بها في القرنين الرابع عشر و الخامس عشر حكم شبه عسكري([2])فأصبحت الإمبراطورية الرومانية المقدسة تنيب عنها أحد الرجال العسكريين في حكم الولاية،كما ظهرت جماعة من المرتزقة **condottieri** تختص بصناعة الحرب،فظهرت أسرة سفورزا "**Sforza**" التي سيطرت على شؤون الحكم بالإمارة في منتصف القرن الخامس عشر والتي نشأ بينها وبين البندقية صراع للسيطرة على الجزء الشمالي من ايطاليا.

-**البندقية** :تقع في شمال شرق ايطاليا،تطل على البحر الأدرياتي([3]) تميزت عن غيرها من الإمارات الايطالية باستقرار نظام الحكم،الذي قام على مؤسسات تشريعية هامة،كالمجلس الكبير ومجلس الشيوخ ومجلس العشرة، وكان على رأس الحكومة " الدوق"([4]) الذي ينتخب لهذه الوظيفة مدى الحياة([5]) ،ومع كل ذلك فان السلطة والنفوذ كانت متركزة بيد الطبقة التجارية،ونظرا لظهورها كقوة سياسية تحاول التدخل في الشؤون الداخلية لايطاليا،الأمر الذي أدى الى التدخل الأجنبي من طرف فرنسا واسبانيا،وأدخلها في صراع مع غيرها من

---

[1]. القلقشندى،نفس المصدر السابق،ج8،ص55.

[2]. فاروق عثمان أباضة،تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر،دار المعرفةالجامعية2003،ص50.

[3]. تشكلت من العناصر الايطالية الفارة من غارات قبائل الهون في القرن الخامس ميلادي،والتي وجدت في الجزر البعيدة عن الساحل ملاذا آمنا من غزواتهم،ثم ولوا وجوههم نحو البحر مكونين مراكز تجارية تتعامل مع المناطق المجاورة التي جلت لها أموالا طائلة.

[4]. الدوق بالضم،كلمة ذات أصل لاتيني"**Duc** "وتعني الشخص الذي يمتلك أعلى مراتب الشرف والسمو بعد الأمير،وكان يختص بإدارة إقليم أو منطقة معينة،بينما تعني الكلمة في العربية،الحمق ، و الدائق هو الهالك حمقا.أنظر ابن منظور، نفس المصدر، ج 10،ص 108.

[5]. فاروق عثمان أباضة،نفس المرجع،ص52.

الإمارات.ومما تجدر الإشارة إليه أنه انعدمت مظاهر الإقطاع بهذه الإمارة لانعدام السبب وهو عدم امتلاكها لمساحات أو أراضي كثيرة صالحة للزراعة.

• ب-شبه الجزيرة الأيبيرية :

كانت على آخر أيام العهد الموحدي مقسمة الى دول أو إمارات أوردها عبد الواحد المراكشي([1])،وهي مملكة أرغون الواقعة شرقي الجزيرة جنوبي جبال البرتات،ثم اتحدت مع مملكة نبرة،لتنشأ بذلك مملكة جديدة. وفي الجهة الأخرى نجد مملكة قشتالة التي يملكها الأدفنش، وحد هذه الجهة فيما بين الجنوب والشمال،أميل إلى الجنوب قليلا،أما المملكة الثالثة فتسمى ليون،فهو أول الحد الشمالي المغربي ويملكها رجل يدعى بالبوج([2])،ومعنى هذا الاسم بالعربية الكثير اللعاب .

كانت معركة العقاب 15صفر 609هـ/16 جويلية 1212م كارثة ألمت بالدولة الموحدية،وأدت الى تسارع انهيارها،إذ على إثرها بدأت المدن الإسلامية تتهاوى وتتساقط تباعا في أيدي النصارى،مع ضعف وتراجع سلطان المسلمين في شبه الجزيرة،ففي عهد الخليفة يوسف المستنصر بالله الصغير السن الضعيف الخبرة والتجربة،([3]) سقطت مدينة القصر على الساحل الغربي لبلاد الأندلس (قصر أبي دانس) بيد الفونش([4]) بعد أن قتل جل المسلمين الذين كانوا بالقصر([5])،فكان ذلك بداية وإنذارا بسقوط ما تبقى من الثغور الإسلامية،لتدخل الأسرة

---

[1].المراكشي عبد الواحد، المعجب، ص234.

[2]. المراكشي عبد الواحد،نفس المصدر،ص235.

[3].قال فيه شاعر يمدحه. بعد وفاة أبيه الناصر ومبايعته بالخلافة.

لئن غربت شمس لقد طلعت شمس**** فما في صلاح الأرض ريب ولا لبس

بمستنصر بالله دان لملكه**** و أيامه الميمونة الجن والإنس

تولى أمير المؤمنين فأصبحا **** وما بينهم نجوى بعدوي ولا همس

فلا سقيت أرض بغير سحابه **** بلالا ولا سرت لساكنها نفس الحلة السيراء،ج1،ص255.

[4].ألفونسو الثالث ملك البرتغال.

[5].الناصري أبو العباس أحمد،الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،ط1،تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري،دار الكتاب الدار البيضاء،1997،ج1،ص227.

الموحدية بعدها في صراع العرش فنشبت بينهم حروب أهلية وثورات في وقت كانت حرب الاسترداد تزداد وتتقوى.

لقد بدأ عقد الدولة الموحدية ينفرط،إذ راح بعض الثوار يعلنون خروجهم عن السلطة الموحدية وطاعتها، فاستقل محمد بن يوسف بن هود الجذامي([1]) بمرسية وشرق الأندلس 625هـ/1228م،و ثار محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر بأرجونة التي كانت من أعمال قرطبة،ودعا لأبي زكرياء الحفصي وخرج عن طاعة ابن هود الذي تجاذب معه حبل ملك الأندلس،([2])واستطاع بفضل شجاعته أن يستولي على قرطبة واشبيلية ثم غرناطة و مالقة([3]).

لم تتوقف تحرشات النصارى الاسبان بل ازدادت قوة بازدياد ضعف سلاطين بلاد المغرب والأندلس،فاستولوا على مزيد من القواعد الإسلامية بما في ذلك قرطبة التي سقطت في يد فرناندو الثالث،ملك قشتالة 633هـ/1236م.وبلنسية في يد خايمي الأول سنة636هـ/1238م.ثم جزر ميورقة ومنورقة ويابسة فيما بين635/627هـ ثم اشبيلية في يد فرناندو الثالث سنة646هـ/1248م،فلم يبق بحوزة المسلمين سوى المناطق الجنوبية من الأندلس،أين تواصل ملك بني الأحمر([4]) بمملكة غرناطة([5]) الى غاية 1492م السنة التي تمت فيها السيطرة عليها بمعونة جماعة من المرتدين الذين كشفوا عورات المسلمين للعدو([6]).بعد أن

---

[1].كان آبائه وأهل بيته أمراء سرقسطة والثغر الشرقي في عصر ملوك الطوائف، كان من شيمهم الشجاعة والشهامة،انظر الحلة السيراء ،ج2،ص245.

[2].الناصري،نفس المصدر،ج1،ص236.

[3].انظر المقري،النفح ،ج1، ص216.

[4].أصل بني الأحمر من أرجونه،من حصون قرطبة،وهم ينتسبون الى سعد بن عبادة سيد الخزرج،ويعرفون ببني نصر،وكان كبيرهم آخر دولة الموحدين الشيخ أبو دبوس محمد بن نصر المعروف بابن الأحمر.انظر القلقشندى،صبح الأعشى،ج5،ص251.

[5].تقع الى أقصى الجنوب من شبه الجزيرة الايبيرية،خلف الوادي الكبير،تقع بها جبال الثلج، و هضاب البشرات،تخترقها جملة من الأنهار منها نهر شنيل أحد فروع الوادي الكبير،عاصمتها غرناطة،ويرى البعض الى أن أصل التسمية لاتيني،granata التي تعني الرمانة،لما اشتهرت به من حدائق مليئة بالرمان.ويسميها البعض ومن بينهم ابن سعيد،دمشق الأندلس لاستقرار أهل الشام بها عند دخولهم الأندلس،ولما تحتويه من مياه وأشجار،المقري،نفس المصدر،ج2،ص857.

[6]. مؤلف مجهول،نبذة العصر، ،ص103، 107.

عقد عهد الآمان مع النصارى على أولادهم وصبيانهم ومواشيهم([1])، فدخلوا تحت طاعة النصارى ليخرج الأمير محمد بن علي منها بحرا نحو مدينة مليلة من عدوة المغرب([2]).حينها رفع الكاردينال بيدرو جونزاليس موندوزا الصليب على قصر الحمراء،وبذلك انتهت أعظم حضارة عرفتها أوروبا في القرون الوسطى عاشت اسبانيا في كنفها في رخاء وخير عميم([3]).وهذا باعتراف رئيس الأساقفة تالافيرا الذي كان دوما يردد عبارة.((إن العربي تنقصه العقيدة المسيحية،أما الاسباني فتنقصه لكي يصبح مسيحيا حقا الأفعال الحميدة التي يفعلها العربي))([4]).وهنا نجده يؤكد وبدون أن يشعر دور الإسلام في ترقية الإنسان والسمو بروحه وأفكاره وأفعاله، لأن العربي إنما اكتسب تلك الصفات التي أهلته لبناء تلك الحضارة من ذلك الدين،وفي نفس الوقت يعترف بتجرد المسيحي من مبادئ دينه الذي جعل منه شعارا وسببا لطرد المسلمين من بلاد الأندلس وملاحقتهم.

ميلاد اسبانيا المسيحية:قبل سقوط غرناطة بسنوات،كان قد تم زواج "فرديناند الخامس"الكاثوليكي"بإيزابيلا"أخت "هنريكه" ملك قشتالة في سنة 1469مالذي توفي بعد خمس سنوات (1474م)ليرث ملكه ويضيفه الى مملكة نافارو وأرغون اللتان ورثهما سنة 1478م،فأصبح بذلك يمتلك هو وزوجته ثلثا اسبانيا،حدث كل هذا والمسلمون بجوارهم يناصبون بعضهم بعضا العداء فيما تبقى من الأرض،ورغم بساطة الحادث ووقوعه على مستوى أو حيز جغرافي ضيق،إلا أن آثاره كانت واسعة جدا مست العالم المسيحي والإسلامي ككل،وأدخلتهما في مرحلة من الصراع العلني بداية من احتلال غرناطة وطرد ملكها،ثم

---

[1].نبذة العصر،ص117،أنظر أيضا أبوراس الناصر (أحمد بن محمد) عجائب الأسفار ولطائف الأخبار،ج1،منشورات مركز البحث في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص126.

[2]..النبذة ،ص128.

[3].زيغريد هونكه،شمس العرب تسطع على الغرب،منشورات المكتب التجاري بيروت،ط2، 1969.ص535.

[4].نفسه،الصفحة عينها.

ملاحقة المسلمين –الموريسك–([1])بعد أن منحوهم عهد الآمان وإرغامهم على اعتناق المسيحية والتخلي عن الإسلام([2]).

البرتغـــــال:من الدول الأوروبية الحديثة،بدأت أولى بـوادر نـشأتها منـذ عهـد المرابطين،على يد "انريكه دي بورغونية"الذي كان زوجا لابنة ألفونس الـسادس " **Enrique de borgona**"(1109م–1126م) والذي اتخذ من قلمرية عاصمة له، ظهرت الى جانب اسبانيا علـى الأراضي المتاخمة لبحر الظلمات أو المحيط الأطلسي،وكانت من أسبق الـدول الأوروبيـة الى الكشف الجغرافي لأسباب دينية تأتي في المرتبة الأولى، باعتبارها بلدا مسيحيا متشبعا بـالروح الصليبية، وتري بضرورة تحويل المسلمين في غرب إفريقيا وغيرها من المنـاطق الى مـسيحيين كاثوليك،وذلك بمباركة البابوية التي أصدرت مراسيم تعطي أحقية تملك المناطق والأقاليم التي يتم اكتشافها في الحاضر والمستقبل،ورأت كما رأت اسبانيا وغيرها من الدول المسيحية بـأن الإسلام طاعون جارف يهددها يجب العمل على اقتلاعه ومنع تسربه([3])،والى جانب هـاتين الدولتين نجد مملكة نبرة التي كانت تمثل خامس القوى بالمنطقة وأضعفها.

---

[1].كلمة ذات أصل اسباني،"moriscos" وهي صيغة تـصغير يقـصد منـها تحقـير المـسلمين "moros"، في بـلاد الأندلس،وظهرت كنتيجة لتراجع التواجد الإسلامي و ازدياد حدة العداء الصليبي لكل ما يرمز للإسلام بها.وأصبحت تشكل مصطلحا يعني النصارى الجدد وهم المـسلمون الـذين تخلـوا عـن دينـهم واعتنقـوا المـسيحية" moros cristianados".لمزيد من الاطلاع حول موضوع الموريسكيين أنظر،عبادة كحيلة،المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب،ص286 و ما يليها.وحول هجرتهم نحو سواحل المغرب انظر أيضا

Braudel ,F,la Méditerranée occidentale et le monde méditerranéen a l,époque de Philippe_II,Paris,1985,6eme ed,t2,p

[2]. نبذة العصر، ص117.

[3].أبو علية عبد الفتاح حسن،تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر. ص64 وما يليها .

المبحث الثاني:العلاقات الدبلوماسية:

أ.مع شبه الجزيرة الايبيرية

- مع دولة بني الأحمر

هناك جملة من الأحداث التاريخية التي تكشف لنا طبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين الدولة الزيانية ودولة بني الأحمر، التي يمكن أن نصفها في مجملها بالطيبة والحسنة منذ ظهور الدولتين والى غاية نهايتهما،فقد وقف يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة الزيانية الى جانب ابن الأحمر ضد المحاولات التوسعية لبني مرين على بلاد الأندلس ([1])،وتبادلا الهدايا فيما بينهما،إذ يقول صاحب العبر في هذا الخصوص ((إذ أسنوا فيما بينهما الهدايا والتحف، وجنب يغمراسن إليه ثلاثين من عتاق الخيل مع ثياب من عمل الصوف، وبعث إليه ابن الأحمر مكافأة تقدر بعشرة آلاف دينار فلم يرض بها وردها..))([2])،ربما لإحساسه بأن المال كان مقابلا أو بابا من أبواب رد الجميل للمساعدات والإمدادات التي قدمها له أو لما أرسله إليه من الهدايا .

وما يؤكد هذا التحالف،هو مسارعة أبي يوسف من مراكش نحو طنجة لما علم بهذه المؤامرة أو التحالف،وبعث الى يغمراسن برسول يطلب منه تجديد الصلح ،فأساء له هذا الأخير القول "لا صلح بيني وبينه أبدا وليس له عندي ما عشت إلا الحرب وكلما وصله من صلح مع ابن الأحمر،فهو حق، فقل له يتأهب للقائي وليستعد لتزالي وقتالي"([3])وبهذا التصريح انكشفت خيوط المؤامرة التي أحبكها سلطان غرناطة وحليفه ملك قشتالة –سانجة–([4])فكان رد فعل أبي يوسف عنيفا، إذ زحف على يغمراسن بن زيان و مزق صفوفه في لقاء كرزوزة([5])، ففر الى

---

[1].عبادة كحيلة،نفس المرجع السابق،ص134.

[2].انظر ابن خلدون عبد الرحمن،العبر، ج7،مؤسسة جمال للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،ص202.انظر أيضا،السلاوي،الاستقصاء، ج1،ص50.

[3].ابن خلدون عبد الرحمن،العبر،ج7،ص417.انظر أيضا ،السلاوي،نفس المصدر، ج1،ص32.

[4].هو ابن اخ أدفونش

[5].يوردها ابن خلدون خرزوزة،العبر،ج7،ص89.

الصحراء ناجيا بنفسه و في طريقه مر بفساطيطه([1]) فأضرمها نارا تفاديا من حصرة استيلاء العدو عليها([2])،تاركا بني مرين يعبثون بمقدرات مملكته سنة678هـ/1279م.

إن الحلف الذي وقع بين الأطراف الثلاثة لم يكن نابعا من مصلحة ذات أبعاد مشتركة وإنما من قبيل –عدو العدو صديق– على الأقل بالنسبة ليغمراسن الذي كان يرى في ذلك انتقاما من بني مرين، الذين كانوا يمثلون خطرا على مملكته من الناحية الغربية بشكل عام، و من يعقوب الذي نقض الصلح المبرم بينهما، بهجومه على سجلماسة التي كانت على يد يغمراسن بشكل خاص([3])، و يرى عدم أحقية بني مرين في السيطرة على غرناطة باسم الجهاد([4]) أو وراثة الموحدين في ذلك،بينما كان هذا التحالف آنيا ونابعا من ظروف ومستجدات أوجدها الزحف المريني على شبه الجزيرة الايبيرية.

هناك من يلوم على يغمراسن بن زيان على هذا التحالف مع كلا الطرفين، سواء مع بني الأحمر أو ملك قشتالة، في شن تلك الغارات على ثغور المغرب الأقصى،في زمن كان يعقوب بن عبد الحق مرابطا بالأندلس ضد العدو المتسلط على بلاد المسلمين([5])،ولم يعلم بأنه هامة الغد، وأن حليف اليوم سيتحول الى عدو في المستقبل.

وعلى أيام سعيد عثمان بن يغمراسن(681 -703هـ/1283-1304م)، استمرت العلاقات الطيبة بين الدولتين في نفس الاتجاه ومن نفس المنظور، إذ كان يبعث بكميات كثيرة من الأطعمة تجاه بلاد الأندلس، و بالمقابل تلقى العديد من الهدايا منها العلج "هلال القطلاني" وهو من سبي النصارى،وهو نفسه الذي وسوس لأبي تاشفين وشجعه على قتل أبيه والاستيلاء على الحكم من بعده([6]).

وجرت جملة من المراسلات بينه وبين السلطان ابن الأحمر على غرار مكان يتم بينه وبين سلاطين بني مرين الذين كانوا يقدمون لهم المدد العسكري في جهادهم ضد النصارى،ومنها

---

[1]. جمع فسطاط،و هو البيت المصنوع من الشعر،انظر مختار الصحاح،ج1،ص211. لسان العرب،ج7ص،371.

[2]السلاوي،الاستقصاء،ج1،ص32.

[3].ابن خلدون عبد الرحمن ،العبر،ج7،ص85.

[4].لقد رفع السلطان المريني في العملية شعار الجهاد الديني ضد الملك القشتالي انظر السلاوي،الاستقصاء،ج1،ص70.

[5].عمر الطمار،تلمسان عبر العصور،ص92.

[6].ابن خلدون عبد الرحمن،العبر،ج7،ص235.

رسالة التشكر و الامتنان التي وجهت من الوزير لسان الدين باسمه الى العاهل الزياني ويخبره فيها أيضا بفتح قنيط ([1])أحد حصون الأندلس([2])،كما تبرز الرسالة ذاتها أن سعيد عثمان ليس هو أول السلاطين الزيانيين الذين قدموا مثل هذه المساعدات ولا أول من دارت معه مثل هذه المراسلات.

إن الدولة الزيانية ظلت مفتوحة أمام أهل الأندلس،منذ بداية حرب الاسترداد والى آخر أيام المسلمين في المنطقة، ووصل الأمر ببني زيان الى إشراكهم في شتى شؤون الإمارة: الاقتصادية والفنية والفكرية وحتى السياسية إذ شغل بعضهم منصب الوزارة([3])،وبالمقابل فان بني زيان كانوا يحضون دوما بمساندة غرناطة في إطار صراعهم مع بني مرين ،الذين كانوا دوما يشعرون بأنه لا قبل لهم بهم([4]).

أما في فترة حكم أبي حمو موسى الثاني المتقطعة([5])، فقد ارتسمت واتضحت طبيعة العلاقات و طيبتها،إذ كان كريم الأخلاق سخيا، يتبرع في كل سنة على أهل الأندلس بالمال والخيل والزرع([6])،إحساسا منه بضرورة الوقوف الى جانب مسلمي الأندلس في محنتهم ضد النصارى، واعتبر ذلك بابا من أبواب الجهاد لتحرير ارض الأندلس الإسلامية، مسقط رأسه

---

[1]. حصن من الحصون الشهيرة المجاورة لغرب مالقة يعرف بكثرة خصبه .

[2].ورد في هذه الرسالة. ((....وصفينا الذي نسهب القول في شكر جلاله ووصف خلاله إسهابا السلطان أبو سعيد عثمان ابن الأمير أبي زيد ابن الأمير أبي زكريا ابن السلطان أبي يحي يغمراسن بن زيان مع ذكر ألقاب كل منهم بحسبه أبقاه الله للدولة الزيانية يزين بالأعمال الصالحة أجيادها ويملك بالعدل والإحسان قيادها ويجري في ميدان الندى والبأس ووضع العرف بين الله والناس جيادها ...) انظر القلقشندى،نفس المصدر،ج7،ص48.

[3].من بين أولئك:محمد بن ميمون بن الملاح الذي تولى الوزارة في عهد أبي حمو الأول وهو من رجال المال والأعمال الذين قدموا من قرطبة واستقروا بتلمسان،ثم ابنه محمد الأشقر بن محمد بن ميمون بن الملاح الذي تولى وزارة و حجابة نفس السلطان...

[4]. عبادة كحيلة،نفس المرجع،ص134.

[5].تولى العرش سنة760هـ/1359م،ثم نفي سنة761هـ/1359م،ثم عاد الى العرش ليظل فيه الى سنة773هـ/1371م ثم عزل ليعود اليه سنتي 785و798هـ،وتوفي سنة789هـ/1387م.

[6].انظر ،المقري،نفح الطيب،ج6،ص508. 510.

من وطأة و تسلط النصارى،وكانت له مواقف أخرى مشرفة في إنقاذ أهل الأندلس من الهلاك، فقد وجه إليهم في سنة 763هـ/1361م خمسين ألف قدح من الزرع([1]).

وفيه قال شاعر يخاطبه و يشكره على ما كان أعان به أهل الأندلس.

لقـــد زار الجزيرة منك بحر ***** يمد فليس تعرف منه جزرا

أعدت لها بعهدك عهد موسى ***** سميك فهي تتلو منه ذكرا

أقمت جدارها وأفدت كنزا *****ولو شئت اتخذت عليه أجرا

وقال أيضا

وقالوا الجزيرة قد صوحت **** فقلت غمام الندى تنتظر

إذا وكفت كف موسى بها **** غماما يعود الجناب الخضر([2]).

وفتح أبواب مملكته لأهل الأندلس وقلد بعضهم أمـــور الـــوزارة و الحجابـــة،كما أســـلفنا الذكر،ونجد لسان الدين بن الخطيب([3])،يرى في دولة بني زيان وطنا ثانيا ربما يكون أحن عليه من بلاد الأندلس، ولا شك أنه قد اكتسب هذا الإحساس خلال فترة استو زاره وما لمسه من طيبة سلاطينها والعلاقة الطيبة الـــتي تـــربطهم بـــبلاد الأنـــدلس حينمـــا ينـــشد قـــصيدته السينية،ويقدمها بين يدي نجوى أبي حمو حينما أحس بتغير سلطانه،لتمهد له مثـــواه إذا ألجـــأه الأمر الى المفر([4]).

إن بني الأحمر ورغم الحواجز الطبيعية-البحر المتوسط- ظلوا يحسون بأن بني زيان يمثلـــون امتدادا للمملكة الإسلامية،ومما يدل على استمرارية العلاقة الطيبة بين المنطقتين هـــو التجـــاء ملكها المنكوب أبو عبد الله محمد بن سعد -الزغل- الى عدوة وهران فيمن انضوى إليه مـــن الأعيان والكبراء الذين أيقنوا بنهاية الأندلس الإسلامية،حينما لم يبق لهم جاه ولا حظوة عند

---

[1].انظر ،الطمار عمرو ،الروابط الثقافية،ص221.تلمسان عبر العصور،ص200، 2001. عبادة كحيلة،نفس المرجع،ص137.

[2].المقري ،نفس المصدر،ج6،ص508 ،507.

[3].أصله من لوشة الواقعة على مرحلة من غرناطة ،وكان أسلافه قد استخدموا في الوزارة

[4].أنظر،المقري،نفس المصدر،ج6،ص195.

صاحب قشتالة([1])،ورفضوا حياة الدجن([2])،كان ذلك في عهد السلطان محمد السابع([3]) ثم انتقلوا الى تلمسان فاستقبلهم الملك بأوفى ما يجب أن يكرم به الملوك والأمراء والسادة،وما توجبه الروابط الإسلامية،رغم إدراك هذا السلطان لمغبة وعواقب فعلته هاته.فاستقر الزغل هناك، و ترك بها عقبا له عرف بعد ذلك ببني سلطان الأندلس([4]).

لا يوجد فيما اطلعنا عليه من مصادر، ما يدل على تأزم العلاقات بين بني الأحمر وبين الدولة الزيانية،وربما تعود أسباب ذلك الى البعد النسبي بين المنطقتين، أي عدم الاشتراك في الحدود أو وجود نقاط تماس بينهما، والى تأزم أوضاعهما الداخلية، فدولة بني زيان انكفأت تدافع عن حدودها وكيانها من أعدائها التقليديين،ودولة بني الأحمر ظهرت في زمن وظرف عصيب تمثل في تكالب القوى المسيحية على كل ما يمت بصلة الى الإسلام أو يرمز إليه،ناهيك عن تسلطات بني مرين في إطار ما اعتبره سلاطينهم نوعا من الجهاد،وتصارع بني الأحمر فيما بينهم حول السلطة، ومن هنا نلاحظ بأن هناك تشابها في ظروفهما وربما كان ذلك السبب الذي أدى الى تحالفهما الذي أشرنا إليه سابقا.

- **مع الدول المسيحية**:ليس هناك ما يشفي الغليل من المادة التاريخية بخصوص هذا الجانب من العلاقات، اللهم إلا ما أورده بعض المؤرخين،حول التحالف الثلاثي الذي تم بين الدولة الزيانية مع قشتالة على اثر الهزائم التي لحقت بجيوشها على أيدي الجيش المريني، إذ ظهر إحساس لدى سلطان غرناطة ابن الأحمر من أن السلطان المريني أبي يوسف يريد مد يده الى بلاده([5])،أذكاه أمير قشتالة الذي حاول جاهدا الإفساد بينهما بإعمال المكيدة والحيلة،

---

[1].نبذة العصر،ص113.انظر أيضا،المدني أحمد توفيق ،كتاب الجزائر،دار الكتاب البليدة،الجزائر،ط2، 1963م، ص33.

[2].هو القبول بالعيش في كنف الحكم المسيحي الاسباني،بعد سقوط الحواضر الأندلسية وبعدها غرناطة،ومنها ظهر مصطلح" المدجنين"أو " Mudéjares "بالاسبانية.لمزيد من الاطلاع حول الموضوع ،أنظر،نبذة العصر،ص113ومايليها، ،وكمال السيد أبو مصطفى ،تاريخ المغرب و الأندلس ،مركز الإسكندرية للكتاب،2006،ص220 و ما يليها.

[3]. هو أبو عبد اله محمد –السابع–بن أبي ثابت ،اشتهر بالثابتي نسبة الى جده تملك بعد أبيه عام902هـ/1496م،وكان من ذوي الفطانة والذكاء ورجاحة العقل وحسن التدبير وفي أيامه كان سقوط غرناطة عاصمة بني الأحمر النصريين آخر معاقل الإسلام بالفردوس المفقود.

[4]. المقري،النفح، ج 4،ص524.

[5].ابن خلدون عبد الرحمن،العبر، ج7،ص89.

وراسلا يغمراسن بن زيان لينظم إليهما في هذا التحالف ضد أبي يوسف([1])،لإدراكهما مدى حساسية العلاقة بين الزيانيين و المرينيين لما كان بينهما من الحروب،فأشارا عليه بالإغارة على الأراضي المرينية ليكون ذلك بمثابة مكبح يؤخر ويعيق أبا يوسف من التوجه الى الأندلس([2])، بينما قاما بمحاصرة الجزيرة الخضراء لمنع وصول الإمدادات الى العدوة.وقد تأكدت حقيقة هذا التحالف ضمن المراسلة التي تمت بين أبي يوسف المريني و يغمراسن([3]).

إضافة الى ما دار بين ملوك أراغونة والسلاطين الزيانين من معاهدات دارت حول التجارة و السلم، كتلك التي أبرمت يوم 25 جوان1362م بمدينة بربينيون" Perpignan"بين ملك أرغونة بطرسIV" Pierre le cérémonieux"والسفيرين المفوضين من أبي حمو موسى الثاني وهما محمد إدريس ويوسف بن عبد الله،ونصت على الوقوف موقف الحياد و عدم تقديم المساعدة من أحد طرفي المعاهدة([4]) لأعداء الطرف الآخر ([5])،وأقرا من خلالها صلحا لخمس سنوات على التوالي ابتداء من شهر صفر سنة 764هـ أي التاريخ الذي تحمله الوثيقة([6]).

من هنا ندرك أنه كان للدولة الزيانية وزن وثقل سياسي في هذه الفترة،رغم أن الفائدة الكبرى تعود لأرغونه التي كانت آنذاك في حالة حرب مع قشتالة،وأنه كان هناك تواجد لقناصل وممثلين لكلا السلطتين لدى الطرف الآخر. كما استطعنا من خلال الوثيقة التي أوردها شارل ايمانويل ديفورك([7])،والتي حملها عنوان "سلطنة تلمسان في الفترة 1382م– 1385م من خلال وثيقة غير مطبوعة"،وهي عبارة عن رسالة موجهة من حاكم ميورقة([8])في جوان 1385م الى السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني بعد استرجاعه لمدينة تلمسان يطلبه من خلالها

---

[1].نبذة العصر،ص50.

[2]. نفسه،الصفحة ذاتها.

[3]." فبعث إلى يغمراسن يسأله عن الذي بلغه عنه، ويطلب منه تجديد الصلح، وجمع الكلمة فلج في الخلاف وكشف وجه العناد وأعلن بما وقع بينه وبين أهل العدوة الأندلسية، مسلمهم وكافرهم من الوصلة"،العبر، ج7،ص203.

الاستقصاء، ج1،ص53، 54.

[4].احتوت المعاهدة مادة أو بندا آخر يتعلق بحرية التجارة و الملاحة في المتوسط.

[5].للاطلاع على نص المعاهدة،أنظر Atta allah dhina,op cit,pp528, 529

[6] .ibid,p529.

[7] .Dufourcq Charles Emmanuelle,revue d,histoire et de civilisation du Maghreb, 1969, p 27 -31

[8].حسب شارل ايمانويل ديفورك،فان هذا الحاكم هو" Francesc ca Garriga "

بإرجاع سلع التجار المسيحيين واليهود المايورقيين والتي تم العثور عليها داخل قصره من قبل المرينيين بعد أن تم لسلطانهم أبو العباس أحمد احتلال المدينة سنة1382م،أن ندرك مدى التقدير والاحترام والتبجيل الذي خصه به حاكم ميورقة في بداية الرسالة،والدعاء له بالانتصار والغلبة على أعدائه المرينيين([1]).

إن الرسالة ورغم أنها تحمل أمورا متعلقة بدرجة كبيرة بالجانب الاقتصادي، إلا أنها تضمنت أمورا سياسية هامة،منها الاعتراف الرسمي من حاكم ميورقة بالدولة الزيانية وسلطانها بعد أفول واختفاء دام أكثر من ثلاث سنوات،و تأكد لنا من جهة أخرى على انتقال البعوث والسفارات بين الأمارتين، وتقديم الدعم المادي والمعنوي للدولة الزيانية على المرينية من خلال الخدمات الحربية التي قدمتها المليشيات العسكرية القطلانية و المايورقية ، التي ربما كانوا يرون فيها قوة تحاول دوما تعويض قوة الموحدين المنهارة التي قد استبعدت عنها الدولة الزيانية التي لم تستطع تأمين حدودها وسلطتها.

وهناك سلسلة من المراسلات دارت بين السلاطين الزيانين و الأمراء الأوروبيين كتلك التي دارت بين أبو تاشفين وجاك الثاني حاكم أراغونة، بخصوص الأسرى المسيحيين، والتي تبرز جانبا من الجزء الخفي من العلاقات العدائية التي تربط دار الإسلام بدار الحرب أو الدول المسيحية ،وفي نفس الوقت تبرز ما كان يريده عاهلا الإمارتين من استمرار للعلاقات الودية أو السلام بينهما،إذ راسله جاك الثاني طالبا منه إخلاء سبيل الاسرى المسيحيين الذين بحوزته،لكن أبا تاشفين رفض ذلك مبررا أسباب الرفض ومحافظا في نفس الوقت على استمرارية العلاقات الودية،بأن أولئك الأسرى أصبحوا يمثلون جزءا من المجتمع الزياني ولهم مكانة هامة في اقتصاد بلاده، لأن جلهم من الحرفيين والصناع ولذا فبالإمكان إطلاق سراح البعض منهم لا كلهم([2]).

والأخرى التي بعثت من الوزير هلال بن عبد الله الى نفس الشخصية السابقة بتاريخ 1صفر 723هـ الموافق ل9فبراير 1323 م والتي يرد فيها على مطالب جاك ارغونة بتسريح بعض

---

[1].Dufourcq Charles Emmanuelle,op.cit.p28,29,30.
Dhina Atta Allah,op cit,p515.

[2].للاطلاع على محتوى المراسلات انظر

الأسرى المسيحيين،فيقبل العاهل الزياني بذلك مقابل السلم وإمكانية إقراضه كميات من الذهب بعد تقديمه لضمانات ورهون بمقدار الذهب([1]).

إن عملية تسريح الأسرى كانت تتم عن طريق التفاوض بين الدولتين،أو بتبادل الأسرى أو بالفدية،و هذا ما يؤكد أيضا وجود وساطة بينهما عبر البعوث والسفارات بينهما،وفي هذا الصدد يذكر ديفورك أن أسيرا قطلانيا أفتدي من لدى السلطان الزياني أبو تاشفين عبد الرحمن الأول بن موسى718-749هـ/1318-1348م بمبلغ يتراوح مابين أربعمائة و خمسمائة دينار([2]).وقد لعب اليهود دورا هاما في هذه العملية وخاصة أولئك المقيمين في اسبانيا الذين عرفوا باسم الفكاكين،ولم يكن لهؤلاء الأسرى دور سياسي هام في الدولة الزيانية.وهناك مجموعة من المعاهدات أو الاتفاقيات التي تمت بين الإمارات المسيحية والدولة الزيانية والتي تنظم وتحدد إطار التواجد المسيحي داخل الدولة الزيانية كتلك التي أبرمت مع أرغونة 685هـ/1286م بخصوص وظيفة الكاهن أو القس داخل المعابد([3]).

غالبا ما كان سلاطين تلمسان يستعيضون عن القناصل بالتجار المسيحيين أو قواد المليشيات في بعثاتهم نحو ملوك و عواهل الدول المسيحية .أما بخصوص المبعوثين الرسميين فقد استعملوا أناسا ذوي شهرة ومكانة في السلم السياسي للإمارة مثل علي الكانية أو الكانه الذي كان ضمن حاشية السلطان واشتغل كحاجب وبعث في رحلة ديبلوماسية الى أرغونة في 1358-1359م/759-760هـ([4])أي على عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني بن يوسف. ابن الملك جاك الثاني هجين جاك الأرغوني قام بدور الوسيط الدبلوماسي بين سلطان تلمسان والملك الأرغوني([5]).

كما نجد محمد السابع يبادر الى السعي في ترضية فرديناند الخامس، ويكلف نفسه بالسفر الى اسبانيا حاملا هدايا ثمينة منها خيول عربية عتاق،ولؤلؤة فخمة ملكية نادرة وطيور مصنوعة من

---

[1] .ibid,pp508,509.

[2].انظر :

- Dufourcq Charles Emmanuelle,prix et niveau de vie dans les pays catalanes et magrébins a la fin du 13eme et au début du 14 eme siècle. revue?moyen age,No3-4,Bruxelles,1965,p503.

[3].انظر عبد العزيز فيلالي،نفس المرجع،ص192.

[4] .Dhina attallah,op.cit,p420.

[5] . Dufourcq Charles Emmanuelle,op.cit.p472.

الذهب الخالص، فيها من الدواجن دجاجة متبوعة بست وثلاثين نفقا ....وقدم ذلك بنفسه إلى ملك اسبانيا ليكسر بذلك حدة غضبه جراء استقباله للزغل ومن معه من مسلمي غرناطة، ويعود بعدها إلى وطنه آمنا([1])

وتواصل الاتصال بين آخر سلاطين تلمسان وملوك اسبانيا في علاقة غير ندية، بدا من خلالها ملوك بني زيان في حالة من الوهن والضعف، جعلتهم يستعطفون ويستجيرون بالاسبان الذين أصبحوا في موقع قوة، فنجد أبا حمو الثالث (أبو قلمون)يلجأ إلى اسبانيا قاصدا ومستصرخا الإمبراطور "شارل كارلوس" لما طرده الشعب فتوجه إلى وهران وقطع البحر،واشتكى إليه حاله،وطلب منه أن ينجده و يعينه على أهل تلمسان والتركيان خير الدين و عروج،فأظهر الإمبراطور الكبير رحمة وشفقة مثلما أظهرها أسلافه على حد تعبير الوزان([2])، فلبى دعوته بعد أن عقد معه معاهدة أو اتفاقا([3])،وأرسل معه جيشا قويا استطاع بواسطته أن يرجع إلى مملكته ويتخلص من التركيان وعددا من أتباعهما،وبالمقابل فان أبا حمو كافأ جنود الاسبان لعملهم ودعمهم له وتأكيدا لرغبته في مهادنة ومسالمة الاسبان،لكن وبوفاته،آل الملك إلى أخيه عبد الله ،الذي امتنع من طاعة الإمبراطور والامتثال إلى شروط العهد الذي أمضاه أخوه، وذلك ثقة منه في مساندة سليمان القانوني السلطان التركي، الذي لم يمدده إلا بالقليل من العون([4]).

إن العملية الانقلابية أو محاولة الاغتيال الفاشلة التي قامت بها المليشيات المسيحية ضد يغمراسن بن زيان الذي كان معتمدا وبدرجة لا يستهان بها بجند الروم الذين قدر عددهم في عهده بالفي فارس([5])، لا يمكن أن ننظر إليها كحدث مستقل بذاته،بل أن القشتاليين رأوا فيما يقوم به من محاولة لبناء صرح دولة وقوة بربرية بالمغرب الأوسط على أنقاض الدولة المؤمنية، إحياء لها أو لدولة قد تحمل نفس لوائها الديني،ولا يمكن أيضا فصل تلك الأحداث عما قامت

---

[1].الجيلالي محمد ،تاريخ الجزائر،ج2،ص201.

[2].الوزان ،نفس المصدر،ج2،ص9.انظر أيضا ،أبو رأس الناصر ،المصدر نفسه،ص124.

[3]. حسب الوزان فان بنود هذا الاتفاق أن يؤدي له سنويا إتاوة تقدر باثني عشر ألف مثقال من الذهب واثنا عشر فرسا وست صقور إناث،وظل ملتزما بذلك طوال حياته، ولما مات آل الملك إلى أخيه عبد الله ،فامتنع هذا الأخير من طاعته .

[4].الوزان ،وصف إفريقيا،ص9.

[5].ابن خلدون يحي،نفس المصدر،ج1،ص206.

به المليشيات في فاس ضد المرينيين([1]) خاصة وأننا أسلفنا الذكر بأن عملية الارتـــزاق كانـــت منظمة وتتم تحت أشراف الإمارات المسيحية.

هنا يذكر يحي ابن خلدون بأن الحادثة كانت نهاية للتواجد المسيحي بالجيش الزياني([2])،بينمـــا يشير شارل ايمانويل ديفورك الى استمرار استعمال السلاطين الزيـــانيين للفـــرق العـــسكرية المسيحية في جيشهم كتلك التي تكونت من القطالونيين و الأراغونيين والتي يقودهـــا الأب فيلارجـــو" père Vilaragut"ثم غيـــوم غالـــسيران دي كـــارتيلا" Guillem Galceran de Cartelle"([3])،والميليشية التي استمرت حتى الحصار المريني في عهد أبي حمو موسى الأول، والتي كان يرأسها "فيليب دي مورا""Felip de mora".

إن تواجد المرتزقة المسيحيين في الدولة الزيانية لم يكن عملا منفصلا بل كان يحمل بعدا سياسيا ودينيا

إذ نجد البابا نكولا الرابع يحث الجنود المسيحيين على التمسك بدينهم ويحذرهم من اعتنـــاق الإسلام([4])،ويرى في ذلك خدمة جليلة للمسيحية في بـــلاد الإســـلام وخاصـــة في مدينـــة تلمسان([5])،بفضل الضرائب غير المباشرة التي يقسمها العاهل الزياني([6])،والأقساط التي كـــان يدفعها الجنود من رواتبهم للخزينة الأرغونية،أي أن عملية ارتزاق تلك المليشيات كانت تتم بصفة شبه قانونية وباتفاق من الدولتين.

ومن جهة أخرى نستنتج بأن هناك نوعا من التدخل في شؤون الدولة الزيانية الداخلية ليس هذا فحسب بل في أكثر أجهزة الدولة حساسية وهي الجيش،إذ كان ملوك اراغون هم الذين يعينون قيادات تلك المليشيات ويعزلونهم ([7])،و تأكد ذلك عبر المعاهدة الـــتي جـــرت بـــين

---

[1] .Dufourcq Charles Emmanuel. revue d,histoire et civilisation,no1,janvier1966,p35,36.

[2] .ابن خلدون يحي،نفس المصدر السابق،ج1،ص206.

[3] .Dufourcq Charles Emanuelle,lEspagne catalane,pp151-155.

[4] . Dufourcq Charles Emanuelle,op.cit,pp314-315.

[5] .عبد العزيز فيلالي،نفس المرجع،ص188.

[6] . Dufourcq Charles Emanuelle,op.cit,t1,p475.

[7] .ibid,p473.

الإمارتين، والتي تنص على أن ملك أرغون هو حامي كل المسيحيين المتواجدين بالمغرب الأوسط([1]).

ب_مع اسبانيا والبرتغال: يمكن القول بأن نظرتهما كانت واحدة الى المغرب الأوسط فكلتاهما كانت ترنو الى إخضاع المنطقة والقضاء على استقلالها،ولهذا نجد دور البرتغال ينتهي عند اتفاقية التقسيم لمناطق النفوذ بينهما،فارتأينا أن نخصص أكبر جزء من هذا الفصل للعدوان الاسباني على المغرب الأوسط ضمن مبحث خاص.

ج -مع ايطاليا: إن الجانب السياسي للعلاقات بين الجمهوريات الايطالية والمغرب الأوسط،يبدو نوعا ما غامضا لقلة المصادر التي تناولت هذا الجانب ،ومن هنا اعتمدنا على مظاهر العلاقات و المعاهدات التي تنظم الحياة العامة للتجار المسيحيين لاستخلاصها ولو أنها كانت من جانب واحد فقط([2])، وهذا ما شهدته معظم دول المغرب الإسلامي حتى منذ عهد المرابطين،فتطلب الأمر وجود قنصليات دائمة بالمنطقة وخاصة بالعاصمة تلمسان، شجعت التجار على ممارسة التجارة معتمدين على ما تضمنه لهم تلك المعاهدات من أمن([3])،والقنصل كان تاجرا أيضا،أي انه كان يلعب دورا دبلوماسيا سياسيا،ودورا تجاريا اقتصاديا،وهذا ما يؤكد نظرتنا أو طرحنا بأن العلاقات الدبلوماسية كانت نتاجا للعلاقات التجارية وليس العكس،وكان لكل دولة أكثر من قنصل في الدولة الزيانية،يمثلونها في المدن الساحلية الهامة مثل وهران و هنين والمرسى الكبير،وكان لكل منهم نوابه الخاصون في المدن الثانوية،ينوبون عنه في المسائل التجارية.

---

[1].انظر عبد العزيز فيلالي،نفس المرجع،ص189.

[2].أي أن التجار المسلمين أو تجار المغرب الأوسط تواجدوا بصفة فردية في الدول المسيحية.

[3].بلحميسي مولاي، نفس المرجع السابق،ص572.

كان يسمح للقنصل بمقابلة السلطان في كل شهر أو مقابلة حاكم الإقليم أو المدينة المقيم فيها[1]، باعتبار أن الدولة الزيانية لم يكن لها قناصل في المدن والموانئ المسيحية، وأن الذين تواجدوا هناك من تجارها انتقلوا بصفة فردية لا رسمية، لان الدولة الزيانية لم تكن تشجع الاتجار مع المسيحيين([2]).

لقد تميزت العلاقات بين الطرفين بطيبتها ومن مظاهر ذلك،أن السلاطين الزيانيين كانوا يتركون كامل الحرية للإمارات الايطالية في تعيين من يدير شؤون الكنائس بالإمارة، فكان التقليد يأتيهم من أساقفة مدنهم بايطاليا،كما كان لتجار البندقية كامل الحرية في التردد على الحمامات العمومية للمدينة وفقا للمعاهدة المبرمة مع الدولة الزيانية([3])،وكان القنصل واسطة بين الجالية الايطالية المسيحية والعاهل الزياني فكان الفندقي هو مندوب القنصل،لكن بالمقابل نجدهم يمنعون ارتفاع وعلو الكنيسة ومنارتها بشكل كبير، وهذا ما يؤكد تبعية التجار ورجال الدين للدولة الزيانية،باستثناء الاعتداءات البحرية،التي كانت تتم في إطار القرصنة والتي أشار إليها الوزان([4])،والعداء في إطار النداء الذي وجهه البابا لمساعدة اسبانيا ومهادنتها الى أن يتم لها إخضاع الشمال الأفريقي والمناوشات التي كانت تحصل في عهد السلطان أبي ثابت محمد الخامس ضده انتقاما لما أحله هؤلاء بمسلمي صقلية([5])فقد ظلت العلاقات ودية ترتبط بالمبادلات التجارية وحتى بعد غزو الاسبان لسواحل المغرب الأوسط إذ استمر التجار الايطاليون يترددون على موانئ العاصمة بطلب من أهلها([6]).

---

[1].انظر عبد العزيز فيلالي،نفس المرجع،ص139.

Brunchvig,la berberie orientale,t2,p432-433.

[2].هنا يجب أن نطرح تساؤلا،كيف منعت أو حطت من شأن التجار المنتقلين الى العدوة الأخرى والتجار مع الكفار،في حين نجدها تفتح أبوابها أمام أولئك التجار المسيحيين وتهيأ لهم كل الظروف للاتجار معها ؟

[3].انظر عبد العزيز فيلالي،نفس المرجع،ص138.

[4].الوزان،نفس المصدر، ج2،ص30.

[5].الجيلالي عبد الرحمن ،نفس المرجع،ج2، ص 199.

[6].الوزان ،نفس المصدر، ج2،ص115.

المبحث الثالث

أ-أزمة القرن الرابع عشر وممهدات الاحتلال:

أصيبت بلاد المغرب الأوسط بأزمة اقتصادية منذ القرن الرابع عشر نتيجة سيطرة التجار الأوروبيين على تجارة المتوسط وظهور طرق بديلة عبر المتوسط أفقدت المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي عامة دوره كوسيط تجاري بين الشمال والجنوب([1]).

تمثلت مظاهر هذه الأزمة في انحطاط اقتصاد المدن وخاصة الصناعة الحرفية،إذ تحولت الموانئ الى مصدر للمواد الأولية الزراعية ومستوردة للمواد والمنتجات المصنعة الأوروبية،وما زاد الطين بلة، هو سيطرة الرحل على منطقة الهضاب وتجبرهم وتعسفهم على أهل المدن والقرى،بفرضهم الغرائم والضرائب غير الشرعية عليهم،كما ظهرت اللصوصية التي مورست من طرف عصابات وقطاع الطرق وهدفهم السطو على القوافل والحجز على ما تحمله من بضائع متجهة نحو السودان الغربي أو قادمة منه([2]).

إن الأزمة لا تخلو أبدا من رائحة التعصب المسيحي ضد كل ما هو إسلامي،فقد ترافقت هجمة الأوروبيين ووثبتهم التجارية بهجمة سياسية وعسكرية ضد مسلمي اسبانيا، لتتجه فيما بعد نحو بلاد المغرب الإسلامي.

كما أن ما حدث في المغرب الإسلامي لا يمكن فصله البتة عن ما كان يجري في المشرق، فالتدخل الأوروبي في بلاد المغرب لأول وهلة جاء كنتيجة لفشل الحروب الصليبية وظهور الأتراك كتيار معاكس لها يريد توحيد الأجزاء المتناثرة من العالم الإسلامي المفكك([3]).وبالتالي فقد استطاعت المسيحية أن تجمع قواها باتجاه المغرب الذي يمثل الحلقة الأضعف في العالم الإسلامي، بسبب قربه من قواعد الهجوم المسيحية ([4]).

---

[1].عبد القادر جغلول ،نفس المرجع،ص86،انظر أيضا

Jean Monlau,presse universitaire de France,Paris,1ere ed,1er trimestre1964,p41.

[2].عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو،دخول الأتراك العثمانيين الى الجزائر،الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر1973.ص12.

[3].عبد القادر جغلول، نفس المرجع،ص86.

[4].نفسه المرجع،ص 87.

فبعد أن تم للمسيحيين الاستيلاء على غرناطة في أواخر القرن الخامس عشر بدأت السفن الاسبانية تنفش ريشها في المتوسط وتتحرش على موانئ المغرب الأوسط وخاصة ميناء وهران الأقرب من أرض اسبانيا([1])كما أصبحوا يتحينون الفرص لإلقاء القبض على كل من يسافر بمفرده برا أو بحرا ويهاجمون القرى الساحلية الصغيرة، الواقعة في ضواحي وهران ليرجعوا الى مراكبهم محملين بالغنائم، وربما هذا ما دفع سكان وهران الى ممارسة أعمال القرصنة بما يمتلكون من سفن شراعية وأسلحة فيصلون سواحل قطلونية وجزر يابسة ومنورقة و ميورقة حتى أصبحت المدينة تزخر بالأسرى([2])ولم تسلم ضواحي تلمسان من تلك الهجمات أيضا، إذ كان سكان المناطق الساحلية يتوجسون خيفة من هجومات مسيحية قد تحدث في أي لحظة، وخاصة أثناء الليل وهذا ما جعل بعضها ينظم عملية الحراسة الليلية فيما بينهم لعدم امتلاكهم الأموال لاكتراء الجند ولضعف الإمارة عن الدفاع عن تلك الأطراف([3]). ومن جهة أخرى كان البرتغاليون في تلك الفترة قد تكاثروا بعد القلة واعتزوا بعد الذلة وظهروا بعد الخمول وانتعشوا بعد الذبول فانتشروا في الأقطار وسموا إلى تملك الأمصار ([4])، فقد انعقد مؤتمر طوردي زياس(صور ديسياس) 899هـ/1493-1494م بإيعاز من البابا اسكندر السادس، فاتفق الطرفان على أن يستولي البرتغال على الرأس الأخضر و ما يواليه شرقا و الاسبان على ما يواليه غربا([5])،ولم تحسم القضية بينهما إلا بعد أن تم عقد اتفاق ثان بين خوان الثاني ملك البرتغال وفرديناند الخامس ملك قشتالة بفيلا فرانكا دي خيرة سنة1509م،أعيد فيه رسم

---

[1]. عبد الحميد بن أشنهو،نفس المرجع،ص24.

[2].الوزان،نفس المصدر،ج2،ص30.

[3].نفسه،ص15.

[4].الاستقصاء،ج2،ص92.

[5].الجيلالي عبد الرحمن،نفس المرجع،ص202،انظر أيضا ابن أشنهو عبد الحميد،نفس المرجع،ص16.

مناطق النفوذ،فانفرد الاسبان باحتلال رأس نكور(بادس)([1])،وما يواليه شرقا من الأراضي لإفريقية،بينما ظفرت البرتغال بما يواليه غربا،فكان ذلك بداية التخطيط الفعلي لاحتلال مدن المغرب الأوسط،إذ على هامشه تم التعاقد بين الصليبيين على استئصال المملكة الإسلامية بهذا الشمال الإفريقي،فأخذ احتلال السواحل الجزائرية طابعا صليبيا، توافق ذلك مع إصدار البابا لقرار أعلن فيه ضرورة تناسي الأحقاد بين الأوروبيين لمدة خمس سنوات،ريثما تتفرغ اسبانيا لاحتلال ما تبقى من مدن المغرب الإسلامي([2]).

بعدما اتضح للاسبان ضعف السلطة في المغرب الأوسط وما آلت إليه من الانحلال والتعفن السياسي الإداري،بدأ الاسبان في التمهيد والاستعداد لاحتلال المنطقة،وذلك بإرسال البعوث الاستطلاعية والجواسيس إليها للكشف عن حالتها وعن عورتها ومناطق ضعفها،ومنها بعثة-لورينثو دي باديبا-الى مملكة تلمسان على عهد السلطان أبي عبد الله محمد الثابتي.هذا دون أن ننسى دور الخونة من أهل المغرب الأوسط الذين ظلوا على اتصال مستمر مع الاسبان أمثال الإسرائيلي زواوة والتجار الذين كانوا مكلفين بمسك الأعشار باسم السلطان.

ب: أسبابه وخلفياته الاحتلال

لا يمكن أن نعالج أسباب الاحتلال الاسباني لسواحل المغرب الأوسط من وجهة واحدة،أو إعطائها صبغة معينة وإهمال الجوانب الأخرى بفعل الانتماء الجغرافي أو العقائدي،ومن هنا صنفناها كالآتي.

أ-سبابه دينية: يرى حكمت ياسين بان الهجمات الصليبية التي قامت بها اسبانيا ما هي إلا تجديد للحملات الصليبية التي شنها ملوك فرنسا وألمانيا وبريطانيا على بلاد المشرق العربي في القرن الحادي عشر ميلادي، واستمرت حتى تحرير آخر معقل للمحتلين الاسبان في وهران

---

[1]. "بادس" بكسر الدال المهملة وسين غير معجمة، اسم لموضعين بالمغرب، قال أبو طاهر أحمد بن محمد سمعت أبا الحجاج يوسف بن عبدون بن حفاظ الزناتي بالإسكندرية يقول:((سمعت أبا عبد الله البادسي الفقيه وهو من بادس فاس لا من بادس الزاب، وبادس فاس على البحر قرب فاس))الحموي ياقوت،المعجم ،ج1،ص317،وفي النزهة((ومن مدينة نقاوس أيضا إلى حصن بسكرة مرحلتان وهو حصن منيع في كدية تراب عال، و به سوق وعمارة، و به أيضا من التمر كل غريبة وطريفة،ومنه إلى حصن بادس وهو في أسفل طرف جبل أوراس..)) الإدريسي،ج1، ص 264.انظر أيضا، مارمول،نفس المصدر،ج2،ص231.

[2].الجيلالي عبد الرحمن،نفس المرجع،ص202.

والمرسى الكبير([1]).وما يؤكد وجهة النظر هاته هو وصية الملكة إيزابيلا لولي عهدها بان يعمل على تحقيق أغلى أمانيها،وهي التعاون مع الكنيسة ومواصلة الحرب الصليبية ضد الكفرة الذين يخالفونهم ملتهم وعقيدتهم. فأصبحت اسبانيا الحديثة تمثل العالم المسيحي كله، و ترى في الوجود الإسلامي بالمنطقة استعمارا أجنبيا ،لجأت الى تأليب الدول الأوروبية بكل الوسائل للتخلص منه الى أن تم لها ذلك سنة 1492م.عندما قضت على آخر معاقل الإسلام بغرناطة وتمد نظرها نحو الشمال الإفريقي بما في ذلك المغرب الأوسط، و الدور الذي قام به البابا في روما من اجل حمل البلاد المسيحية على وضع كل إمكانياتها تحت تصرف ملوك اسبانيا للقضاء على نفوذ المسلمين في الأندلس أولا،ثم الشمال الإفريقي للحكم المسيحي ثانيا،و استمر يصدر أمره بدفع ضريبة "crusada"([2])لملوك اسبانيا من اجل الحرب الإفريقية وجمع الرهبان والقساوسة لذلك أموالا طائلة وباعوا أموال وذخائر الكنائس لتزويد الجيوش المسيحية بالأموال والعتاد([3]).

أسباب تاريخية: وتتعلق بتاريخ الأندلس الإسلامي،إذ أن أول من عبر الى شبه الجزيرة لفتحها كانوا من البربر أو من سكان المغرب،وأن الذين تداولوا الحكم فيها من بعد ممثلين في المرابطين والموحدين كانوا أيضا من بربر المنطقة وهم الذين مدوا يد العون للممالك الإسلامية التي كانت تتهاوى تحت ضربات الاسبان،وأن المسلمين الذين اضطرهم مظالم النصارى ومحاكم التفتيش الى مغادرة تلك الأرض احتموا أيضا بأرض وأهل المغرب. .

أسباب إستراتيجية واقتصادية: وتتمثل في الموقع الإستراتيجي والأهمية الاقتصادية للمتوسط والذي يمثل حلقة وصل بين جهات العالم فهو يقع عند ملتقى ثلاثة قارات كبيرة([4]) هي آسيا أوروبا وإفريقيا"العالم القديم" ومثل عبر التاريخ منطقة صراع ديني وحضاري،ثم اقتصادي استعماري في أواخر القرون الوسطى بين الدولة العثمانية والدولة الاسبانية الحديثة التي راودها فكرة التوسع الاستعماري في القارة بعد أن تستقر بالمغرب الأوسط وتجعل منه

---

[1].ياسين حكمت،مجلة الأصالة،مطبعة البعث، قسنطينة،الجزائر،العدد14و15،سنة1973،ص241.

[2].وهي ضريبة أخذت اسمها من كلمة croix اللاتينية التي تعني الصليب،أي أنها ضريبة ذات صلة بالحروب الصليبية.

[3].المدني توفيق،حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا،ص80.

[4].للاطلاع على إستراتيجية هذا البحر من حيث موقعه،انظر الإدريسي ،نفس المصدر،ج1،ص11.

مركزا لتحركها أضف الى ذلك طبيعة الأرض الخصبة والمنتجة لكل أنواع الغلال كسهول وهران وتنس و متيجة وغيرها، خاصة بعد حالة الكساد الاقتصادي التي أصابت شبه الجزيرة الايبيرية بعد مغادرة المسلمين لها([1]).

ويمكن أن نضيف إليها الغزو البحري أو بمعنى آخر القرصنة، وهي كلمة أجنبية دخيلة على اللغة العربية،إذ لم ترد في المعاجم العربية القديمة،لكننا نجد لها بعض الإشارات لدى ابن خلدون حينما يتكلم عن هذه الأعمال البحرية([2]) لا يذكر هذه الكلمة،بينما ظهرت بشكل صريح لدى الحسن الوزان وذلك بخصوص تجار وهران الذين كانوا يمتلكون سفنا مسلحة يمارسون بها القرصنة على جزر البليار ويأسرون من المسيحيين أعدادا كبيرة.([3]) .وربما يعود أصل هذه الكلمة الى الإيطالية فنجد كلمة " corso " تعني اللص أو الصعلوك أو من كلمة" corsaro ".التي تعني القتال البحري([4]).

أسباب عسكرية وسياسية توسعية:وتتمثل في طموح الإمبراطورية الاسبانية للتوسع وبسط نفوذها على مناطق واسعة من العالم، وذلك في إطار سياسة ملء الفراغ، إذ يقول كاتب و أمين سر الملكين الكاثوليكيين فرناندو دل كورال " Fernando del Corral"سنة 1494م((إن أوضاع البلاد كلها كانت في حالة يبدو معها وكأن الله يريد أن يهديها الى صاحبي الجلالة))([5])كل ذلك حدث في وقت ظهرت الإمبراطورية العثمانية كقوة منافسة للقوى الأوروبية،بحيث بدأت تتجه اتجاها عسكريا استعماريا في السيطرة على شمال إفريقيا ومناطق أخرى من العالم.

أسباب قومية وعنصرية:إذ بدأ النصارى بشكل عام والاسبان بشكل خاص يشعرون بعد استرداد الأندلس بنوع من الغرور والتعالي على بقية الشعوب وخاصة العربية والإسلامية،وأن

---

[1].كحيلة عبادة،نفس المرجع،ص284.

[2].أنظر ،ابن خلدون عبد الرحمن،المقدمة،ص197ومايليها.

[3].الوزان ،المصدر ذاته،ص30.

[4].ياسين حكمت،نفس المرجع،ص243ومايليها.

[5].مؤنس حسين،نفس المرجع،ص156.

طينتهم مختلفة عن طينة تلك الشعوب،وقد استمرت هذه الفكرة لتتحول الى نظريات وأفكار عنصرية لدى الكثير من الشعوب الأوروبية([1]).

فالاسبان لما تم لهم احتلال غرناطة تاقت أنفسهم وقويت أطماعهم إلى مهاجمة الإسلام في عقر داره ففكروا في احتلال شمال إفريقيا منذ أوائل القرن السادس عشر،ومن هنا تتأكد لنا هذه النظرية التي تقوم على الدين أولا والعرق ثانيا.

3 .الاحتلال ونهاية الدولة الزيانية

بعد أن تم التمهيد لعملية الاحتلال بما أسلفنا ذكره،لم يعد الاسبان ينتظرون سوى إشارة الانطلاق من ملكهم فرديناند ومباركة الكنيسة و البابا([2])، لتبحر الحملة الاسبانية من مالقة يوم الأربعاء 03 ر بيع الثاني 911هـ الموافق ل3-9-1505م([3]) في 134 سفينة متوجهة نحو الضفة الجنوبية من المتوسط أو بالأحرى نحو المرسى الكبير،لترسو تجاه وهران وتشرع في مهاجمة هذا المرسى الواقع على ثمانية كيلومترات منها غربا.

ومما سهل مهمة الاسبان في إخضاعه هو تفرق أهل المرسى بعد مرابطة طويلة،إذ أدى هبوب ريح شديدة الى تأخر الأسطول في الطريق،فوجده الاسبان خاليا إلا من بعض المقاومين،وبعد أن اشتبكت المعارك هناك احتلته السلطة الاسبانية المهاجمة يوم الثلاثاء 09 ربيع الثاني سنة 911هـ.([4])/ 9-9-1505م لكن بعد مقاومة عنيفة من أهله. ثم كانت بعدئذ معركة قرية مسرغين الواقعة على خمسة عشر كيلومترا من وهران انهزم فيها الجيش الاسباني ومات منه ثلاثة آلاف جندي –باعترافه–وفر الباقون الى المرسى الكبير معتصمين بأسواره المنيعة.

ان سهولة وقوع المرسى الكبير بيد الاسبان،أدى الى توالي الغزوات والهزائم على سواحل المغرب الأوسط، وأشهرها الحملة الشعواء على مدينة وهران،التي كانوا يسمونها باب اسبانيا"Puerta de espana" التي أرسلها الملك الاسباني فرناندو،وترأسها وانفق عليها من ماله

---

[1].منها نظرية الدم لدى الألمان وظهور بعض الأفكار المضللة للإيقاع بالشعوب المستضعفة أو التستر عن عمليات الاحتلال الشنيعة كرسالة الرجل الأبيض نحو الرجل الأسود.

[2]..اندري برنيان ،المرجع السابق،ص124.

[3].نجدها 29 أوت1505م. لدى محمد عمرو الطمار،تلمسان عبر العصور،ص227.ولدى عبد الحميد بن اشنهو،ص48.

[4].الزياني محمد بن يوسف،دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص141.

الخاص الكاردينال فرانسيسكو خيمينيس([1]) نفسه لأن بيت المال الاسباني نفدت أمواله بسبب كثرة الحروب التي شنها ضد المسلمين،وساعده مجموعة من الأساقفة الاسبان بمؤازرة الجنرال بيدرو نافارو([2])،الذي كان في الأصل قرصانا مرتزقا، لا يعرف له ولاء ثابت، إذ كان في بعض الأحيان يعمل لصالح النصارى وفي فترات أخرى لصالح المسلمين،وحسب الوزان فان ما قام به من عمليات غزو كان انتقاما من تجارها، الذين كانوا يغيرون على جزر البليار، ويأسرون الكثير من أهلها المسيحيين([3]).

أبحرت هذه الحملة من ثغر قرطاجنة([4]) صباح الأربعاء 26محرم 15/915ماي1509م بقيادة "المركي توماس"([5]) وكانت تحتوي على ثلاث وثلاثين مركبا حربيا وإحدى وخمسين زورقا أو قاربا صغيرا،فنزل المشاة بساحل وهران ضحى يوم الجمعة،و ما هي إلا سويعات قليلة،حتى كان الجيش الاسباني مشرفا على ربى المرسى الكبير وتلال وهران وتقدم الجند الى المدينة بدون مقاومة من الجيش الزياني يقتل وياسر،وفي جنح الليل من تلك الليلة نفسها فتح القائدان الخائنان القائمان بحراسة ثغر باب المرسى([6]) للعدو، فتدفقت جنوده بخيلها ورجالها

---

[1].هو فراي فرانسيسكو خيمينيس دي سيسنيروس، وهو أسقف طليطلة،كان وصيا على عرش اسبانيا في فترة قصور وغياب شارل الخامس عن عرشه،ولد بإحدى ضواحي قسطيلية سنة 1437م من عائلة فقيرة ،فكان أبوه قابضا للضرائب،كان يعرف لدى العرب ب"ابن الخميس "،عايش فترة طرد المسلمين من الأندلس واكتشاف القارة الأمريكية،عرف عنه كرهه وتعصبه ضد الإسلام ،وقوة عزيمته وإصراره ،درس وتخرج من جامعة" سالامنك" أين درس الفلسفة والعلوم الدينية واللغات الشرقية،بعدها انكب على دراسة الحقوق لينتقل بعدها الى روما ليتولى الدفاع عن اسبانيا لدى الفاتيكان وهناك سلمه البابا "سيكست الرابع" أمر إدارة أسقفية طليطلة،ومات مسموما من قبل شارل الخامس الذي أضجره حبه للسلطة.

[2].انظر الوزان،نفس المصدر،ص30 و ما يليها.

[3].نفسه،الصفحة ذاتها.

[4].مدينة اسبانية ساحلية جنوب شرق أيبيريا، من أعمال مرسية وتقع الى الجنوب من مدينة منها،لا تزال تأخذ نفس هذا الاسم (carthaghene) .

[5].فيلالي عبد العزيز،تلمسان في العهد الزياني،ج1، موفم للنشر والتوزيع،الجزائر 2002، ص75.

[6].هما عيسى ابن الغريب الفري و الغناش كبيرا،بينما كان اليهودي الذي مهد الطريق للجيش وادخله عن طريق الحيلة،هو الزاوي بن كيسة،انظر الزياني محمد بن يوسف،نفس المصدر،ص141و142،أنظر أيضا،أبو رأس،نفس المصدر،ص123.

فنكبوا المسلمين قتلا وسبيا([1])،((لان السكان خرجوا يقاتلون بغير نظام وتركوا المدينة خالية،فعلم الاسبان بذلك، وأرسلوا قسما من جنودهم الى الجانب الآخر من وهران فلم يجدوا من خصومهم غير النساء وقد صعدن على الأسوار،فدخلوا المدينة بسهولة ،بينما كانت المعركة على أشدها في الخارج ،ثم غادروها فجأة وركبوا ظهور عدوهم.ولما أخذ المغاربة يتراجعون نحو المدينة لصد العدو عنها ،أبصروا الرايات المسيحية ترفرف على الأسوار،ووقعوا بين الفريقين الاسبانيين،فضيقوا عليهم الخناق حتى لم ينج منهم إلا القليل.))([2])من هنا ندرك أن هناك خطة عسكرية محكمة قد حبكت في الخفاء، وبمساعدة متواطئين ممن لهم دراية بالمدينة وأهلها،أولئك الخونة الذين باعوا ذمتهم مقابل مبالغ سخيفة من الأموال،مثل بني عامر وشافع و حميان و قيزة و شافع وغيرهم من جفاة العرب على حد تعبير أبي راس([3])،وفي فجر يوم السبت كان الاحتلال تاما إذ اقتحم الجيش المدينة([4])، معتديا على حرمات كل فاحشة فقتل بيده ذبحا نحو 8000 من الأبرياء عجزة ونساء وأطفال وحرمات المساجد والبيوت الشريفة،ما يعجز عن وصفه القلم ويخجل من ذكره الفم على حد تعبير المدني([5])،كل ذلك تم مع عجز تام لمواجهة العدو، إذ لم تفد المنطقة تحصيناتها وأبراجها([6])وكان ذلك في عهد السلطان أبي قلمون([7])

---

[1] الزياني محمد بن يوسف.نفس المصدر،ص 141انظر أيضا،أبو راس محمد بن احمد(الناصر)،عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1،تقديم وتحقيق محمد غانم،مركز البحث في الانتروبولوجية الاجتماعية والثقافية،ص123،انظر أيضا السلاوي،نفس المصدر السابق، ج2،ص143.

[2] .الوزان،نفس المصدر،ص31.

[3] . نفسه،ص124،وهناك من الباحثين من يدعو الى المزيد من التحري والتأكد من مثل هذه الأمور،فكثير من الأعمال قد صدرت عن أشخاص بشكل منفرد،دفعت البعض الى إلصاق تلك السمة بهذه القبائل بأكملها.الملتقى الوطني مدينة حول تلمسان المنعقد بقسم التاريخ،أيام 12و13 جوان 2007.

[4] .يقول الحافظ أبو راس في هذا الحدث .

خامس عشر من عاشر أناخ بها الاسبانيون أهل الشرك والرجس

جحافل الكفر قد حموا جوانبها وعن دفاعهم عجز أبو قلموس. نفسه ص124.

[5] .المدني أحمد توفيق،كتاب الجزائر،دار الكتاب ،البليدة ،الجزائر،ط2،1963،ص34 .

[6] . أبو رأس الناصر محمد،نفس المصدر،ص124.

[7] .هناك اختلاف حول سنة سقوط المدينة،فنجدها لدى الوزان،916هـ ولدى محمد بن أبي راس،،ومحمد بن يوسف الزياني 915هـ ، وهو الأرجح والمتداول لدى جل المؤرخين المحدثين .

الذي كان ممن لم يهن لهم بالملك قرار ولا استقرت به في المملكة عمارة. وقد منح الاسبان اليهود برج المرسى نظير أو مقابل المساعدة التي قدموها لهم([1])،و حكموهم أمر المسلمين الى أن أصبحوا يقومون بدور الجباة، يقبضون الضرائب عن قبائل المنطقة([2])،وبعدها راح الاسبان يشنون هجماتهم على القبائل المجاورة قصد إخضاعهم فتم لهم ذلك،فجعلوا من بعض أفرادها عيونا و جواسيس لهم في تقصي الأخبار، وتمهيد الطرق للإغارة على المناطق التي لازالت خارجة عن سلطتهم([3]).

واصل الاسبان هجماتهم بالجزائر فاستحوذوا على مدينة تدلس –دلس–وشر شال واحتلوا فرضة هنين سنة 938هـ/1531م بعد أن أخلاها سكانها لما سمعوا باحتلال وهران([4]).ونزلوا بالأمكنة الإستراتيجية بالسواحل الجزائرية ،وتحاشوا المدن مقابل مغارم باهظة، وكان غرضهم الوحيد يومئذ هو مواصلة الحروب الصليبية بالمغرب .

لقد توقف الاحتلال الاسباني عند الساحل دون التوغل الى المناطق الداخلية، لكن بعد أن عمروا ما احتلوه به من مناطق بالجنود والمغامرين والمرتزقة والمجرمين و الخلعاء والذين عرفوا بالرباطيين"Rabatines"([5])،وأطلقوا عليها اسم"بريسيديوس" واستعانوا في إدارتها بعملاء من القبائل المجاورة الذين سموا بعرب السلم"los moros de paz" وأسسوا بوهران والمرسى الكبير نظاما ملكيا شبها بما هو في اسبانيا كتأكيد للسيطرة والتبعية،وهنا نجد الباحث عبد الرحمن الجيلالي يطرح جملة من الأسئلة عن أسباب وأبعاد ذلك، و يعطي بعض الإجابات انطلاقا من الظروف التي كانت سائدة آنذاك ومنها، طموحهم لاحتلال جهات أخرى في أوروبا،أو خوفا من سوء المنقلب،أو فقر الخزينة معتمدا على ما تناقله المؤرخون عن حياة البؤس والشقاء التي كان يعيشها الجيش الاسباني أثناء تواجده بوهران، الأمر الذي أدى الى فرار بعض أفراده([6])،وقد يكون السبب هو ما انتهت إليه الكشوف الجغرافية من ظهور مناطق أخرى

---

[1].حسب محمد بن يوسف الزياني فان المنطقة هي برج اليهود التي تقع بهيدور،نفس المصدر السابق، ص142.

[2]. نفسه ،ص142.

[3]. نفسه ،الصفحة ذاتها.

[4].الوزان ،نفس المصدر،ص6.

[5].انظر ابن اشنهو عبد الحميد، نفس المرجع،ص51.

[6]عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ،نفس المرجع،ص205و206.

أكثر أهمية منها في القارة الأمريكية، التي اتجهت أنظار الدول الأوروبية الاستعمارية نحوها باعتبارها بلد الذهب والفضة.

نهاية الدولة الزيانية :لقد اخذ صرح بني عبد الوادي يتهاوى منذ أن ركن ملوكها الى التواكل والتخاذل وخلدوا للدعة والراحة وانحرفوا عن النهج الذي رسمه السلاطين الأوائل للإمارة أمثال يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني،إذ انشغلوا بمصالحهم الشخصية وتقاتلوا من اجل السلطة ([1])،والعدو يتربص بهم الدوائر ويستحين أدنى الفرص في خلسة للانقضاض على فريسة طالما انتظرها، ليس الاسبان فحسب بل وآخرون من أبناء جلدتهم – البرتغال–خشية اتحاد إسلامي إفريقي ضدهم لأنهم كانوا يدركون بأن هزيمة المسلمين في الأندلس ما هي إلا نتيجة لاختلاف الملوك والقادة في العدوتين وأنه بالإمكان استرجاع هذه القوة إذا ما تمت معرفة أسباب الضعف ومن ثم اجتثاثها.

لقد ضعف الجيش وكسرت شوكته في معاركه مع الجيران،وخاصة مع المرينيين الذين ظلوا شوكة في جنبها([2])حول مناطق النفوذ والسيطرة، وهذا ما جعل العدو –الاسبان– يطمئن لهذا الجانب،إذ لم تعد الإمارة قادرة على حماية أطرافها من أي عدوان حتى وصل الحال ببعض المناطق الى الانفصال عنها مشكلة دويلات مدن قطعت صلاتها بمركز وعاصمة الدولة([3])

---

[1].من مظاهر التنازع والتنافس على السلطة ما وقع بين الملك محمد السابع الثلاثة:عبد الله وأبو زيان ويحي إذ تآمر الأخيران ضد أخيهما الأكبر الذي آل إليه الملك بعد وفاة أبيه مع بعض الشخصيات لاغتياله لكن المؤامرة اكتشفت فألقي القبض على أبي زيان وفر الثاني نحو فاس محتميا بملكها.

[2].السلاوي،الاستقصاء،ج2،ص161.

[3]. من أولئك السلطان أبو ثابت أبو عبد الله محمد المتوكل على الله بن أبي زيان محمد المستعين بالله بن يوسف تولى الحكم غرة جمادى الأولى 866هـ/1فيفري 1462م. كان فقد اقتطع لنفسه في ديسمبر 1461م مدينة الجزائر و مليانة ووهران و مستغانم وتنس واستولى عليها وسك نقودا خاصة به.الوزان ،نفس المصدر،ص35–36. انظر أيضا،عبادة كحيلة،نفس المرجع، ص137. الجيلالي محمد،نفس المرجع،ج2،ص199.

ولجوء مناطق أخرى الى اكتراء الجند،أو القيام بأعباء الحراسة الليلية من لدن أنفسهم كمنطقة تبحريت([1]).

إن حب السلطة والعرش،كان بمثابة الشفرة التي قطعت أخر وريد ينبض في عمر الدولة الزيانية، وذلك حينما لجأ أمرؤها الى الاحتماء بالاسبان ضد بعضهم البعض وضد من مد لهم يد العون لإنقاذهم من الخطر الذي يتهددهم([2])، ألا وهما الأخوين التركيين عروج باشا وخير الدين باشا،بعد أن استنجد بهما الفقيه الصالح أبو العباس أحمد القاضي الزواوي([3]) بعد أن ذاع صيتهما في كل الأقطار قائلا((إن بلادنا بقيت لك أو لأخيك أو للذئب..))([4]) .

لقد قام الاسبان بتحريض الثائر يحيي الثابتي للاستقلال بمدينة تنس وأحوازها تحت رعايتهم وحمايتهم»

أصبحت الدولة الزيانية حينها بين قوتين، أو بالأحرى خطرين ،خطر الاسبان والأتراك،تارة يعتمدون على الأتراك ضد الاسبان وتارة أخرى على الاسبان ضد الأتراك،لتبدأ الحرب سجالا بين النصرانية التي تمثلها اسبانيا والإسلام الذي يمثله الأتراك.

لقد فشل الأخوان في وضع حد لعدوان الاسبان على المنطقة لتنتهي الحال الى أفول دولة بني زيان في سنة962هـ/1554م،ويتحول المغرب الأوسط بذلك الى ايالة عثمانية، بعد عمر ناهز الثلاثة قرون وربع القرن،فكان ذلك إنقاذا للإسلام على حد تعبير حسين مؤنس([5])،أهم ما ميزه هو الصراع والحروب وهذا ما يشكل معجزة في حد ذاته على حد تعبير جورج مارسي.

في وسط تلك العواصف الهائلة والجو القاتم،أفتى مجلس علماء مدينة تلمسان بخلع الأمير الحسن الذي مثل آخر السلالة العبدوادية أو الزيانية التي حكمت المغرب الأوسط، جاعلة من مدينة

---

[1]. مدينة كانت كثيرة السكان فيما مضى، تقع على بعد 30كلم شمال غرب ندرومة، مشيدة على راس قلعة تشرف على البحر،ولا زالت المنطقة تحافظ على هذا الاسم، رغم اضمحلال المدينة القديمة.انظر الوزان،نفس المصدر السابق، ج2،ص15.

[2]. السلاوي،الاستقصاء، ج2،ص162.

[3]. الشيخ الفقيه الصالح أبو العباس أحمد ابن القاضي الزواوي ممن له الشهرة والوجاهة الكبيرة في بسائط المغرب الأوسط وجباله

[4]. السلاوي،نفس المصدر، ج2،ص162.

[5].مؤنس حسين،نفس المرجع،ص149.

تلمسان عاصمة لها ومركزا لإدارة المملكة ،والـــذي اتجـــه الى اســـبانيا كـــسابقيه فتـــوفي هناك،واستنقذ للإسلام تدخل الأتراك العثمانيين الذين أدخلوهـــا في ايالـــة الجزائـــر ســـنة 1554م لينتهي بذلك تاريخ بني زيان وليس القصد هو اندثاره بل توقف العطاء والنماء علـــى هذه الأرض في إطار الدولة التي وضع أسسها يغمراسن بن زيان.

الخاتمة

خاتمـــــــة

انه ليحز في نفسي ويجثم على صدري إحساس غريب،وأنا أضع اللمسات الأخيرة على هذا البحث الذي ارتبطت به لفترة ليست بالقليلة وهبته خلالها فكري وكل اهتمامي،و هاأنذا أقدم أهم النتائج التي خلصت بها منه راجيا أن تكون على قدر ما قدمته من جهد واهتمام لإنجـــاح هذا البحث فان أصبت فمن الله وان أخطئت فمن نفسي،لأنني لا أدعي كمالا فيما بلغته بـــل يمكن اعتبار ذلك بابا أو نافذة لبحوث جديدة تكشف عن أمور دفينة في تـــاريخ العلاقـــات الاقتصادية والسياسية للدولة الزيانية.

1-إن الدولة الزيانية نشأت من صلب الدولة الموحدية الـــتي ضـــعفت وســـقطت بـــضعف سلاطينها فدخلت في صراع مرير مع جيرانها الحفصيين و المرينين من أجل الحفاظ على الإقليم و كسب الأحقية في خلافة الموحدين استنادا على مبدأ القوة والسيطرة على المجال الجغرافي، أفقدها قوتها العسكرية والاقتصادية وجعلها مطمعا لقوى خارجية من برتغال و اسبان وأتراك .

2- رغم المآسي والمحن التي عرفتها الإمارة، إلا أنها عرفت نموا اقتصاديا لا تعبر عنه الحالـــة السيئة تلك،وهذا ما يمكن تفسيره و إرجاعه لقوة وعزيمة الإنسان البربري وتشبثه بالحياة، إذ لم تستطع ثماني سنوات من الحصار أن تفنه أو تضع نهاية لحياته واستمرارية دولتـــه ردحـــا مـــن الزمن.

3-إن الرواج الهام والقوة التي عرفتها هذه المنطقة -المغرب الأوسط- عموما نـــابع مـــن موقعها الاستراتيجي ضمن الشبكة التجارية للعالم الإسلامي،أكثر مما نتجت عن ارتفـــاع في مستوى الإنتاج أو فيض زراعي لأن التجارة وعلى حد تعبير الكثير من الرحالـــة والمـــؤرخين كانت سببا في اغتناء أهل تلمسان والمنطقة عموما.

4- إن التمثيل الدبلوماسي للأجانب بالدولة الزيانية،لم يرق الى مستوى النديـــة الـــسياسية والاعتراف بها كطرف فاعل في العلاقات السياسية للمنطقة، بقدر ما تعلق ذلك بوجود تجـــار

وجاليات أجنبية تتعاطى التجارة، فتطلب الأمر وضعها في إطار قانوني بوجود قناصل يمثلونهم داخل الدولة الزيانية وأكثر من ذلك أن القناصلة في حد ذاتهم كانوا تجارا .

5- ندرك بأن الدولة الزيانية أو بالأحرى" المغرب الأوسط"، مثل جزءا لا يتجزأ من كيان إسلامي استهدف في إطار الحقد الصليبي الدفين ضد كل ما هو إسلامي وعربي،إذ تلا مباشرة سقوط آخر معاقل المسلمين بالأندلس-الفردوس المفقود-،فلم يكن النصارى يرون وينظرون الى تلمسان وغيرها من بلاد المغرب الإسلامي عامة إلا كما ينظرون الى بلاد الأندلس، مع اختلاف بسيط هو أنهم نظروا الى الثانية على أنها أرضهم المسلوبة التي يجب استردادها متى سنحت الفرصة من أيدي مسلمين مغتصبين،بينما نظروا الى الثانية على أنها ارض كفرة تحمل من المعاني ما تحمله بلاد الأندلس يجب احتلالها و إخضاعها بالقوة،وهذا بشهادة احد مؤرخي الاسبان "الفار يس قوميس""Alvarez Gomez" الذي يقول "في القرن الخامس عشر عرفت وهران إشراق وبهاء مدينة كبيرة تحت حكم الزيانيين بمنازلها الستة ألاف، مساجدها ومدارسها التي تشبه مدارس قرطبة،اشبيلية وغرناطة وحماماتها العديدة وعمرانها الرائع".

6- إن المغرب الأوسط مثل منطقة هامة في المبادلات التجارية الأوروبية، أو ممرا عجيبا لتجارة الأيبيريين والايطاليين على حد تعبير" موراليس أوليفر"وبالخصوص ميناء وهران و هنين.

7- إن اكتشاف العالم الجديد تزامن مع طرد المسلمين من آخر معاقلهم -غرناطة -وهذا لا يمكن أن يكون من قبيل الصدفة أو الصيرورة التاريخية المنفصلة المحضة،فلا يجب علينا أن نرى فيه حدثا منفصلا أو قائما بذاته، وإنما يدل على أن النهم الأوروبي النصراني الذي بدأ ينفش ريشه ويسارع في امتلاك اكبر قدر من الأراضي، ولو على حساب سكان تلك المناطق الأصليين أملا في الذهب والفضة وليس كما يحلو للبعض تسمية تلك الحركة الاستعمارية بالكشوف الجغرافية ومن هنا يمكن أن نعطي عملية الغزو بعد اقتصاديا .

8-إن مكانة تلمسان ضمن المغرب الأوسط هي التي أكسبت الدولة الزيانية تلك الأهمية التجارية والإستراتيجية، وليست الدولة في حد ذاتها ككيان سياسي يتمتع بقوة اقتصادية، والدليل على ذلك هو انتقال تلك المكانة الى المنصورة في زمن الحصار إذ صارت مدينة عظيمة، و استبحر عمرانها ونفقت أسواقها، ورحل إليها التجار بالبضائع من جميع الآفاق على

حد تعبير عبد الرحمن ابن خلدون،فتلمسان المنطقة هي التي استهوت التجار، وليست تلمسان رمز وعاصمة الدولة الزيانية والدليل الأخر هو الأزمة التي أحلت بها وبغيرها من دول المنطقة جراء تغير طرق التجارة الدولية.

9-إن الوضع السياسي الصعب، ساهم بشكل كبير في تراجع مكانة هذه الدولة اقتصاديا وسياسيا و أسهم بشكل أو بآخر في تقلص حجم المبادلات التجارية الإقليمية، وخاصة في مراحل الحصار والحروب التي شغلت فترة طويلة من عمر هذه الدولة.

10-إن ازدهار تجارة المغرب الأوسط مع العالم المسيحي، أو مع الضفة الغربية للمتوسط كان مرتبطا بدرجة كبيرة أو متوقفا على مدى نجاح تجارتها الإقليمية،خاصة مع السودان الغربي الذي مثل مصدرا أساسيا لإشباع نهم تجار أوروبا من الذهب و العبيد وغيرها من السلع التي تندر في المغرب الأوسط والقارة الأوروبية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا:المصادر

*الإدريسي(أبي عبد الله محمد بن عبد الله): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،الطبعة الأولى،عالم الكتب،بيروت لبنان،دون سنة.

*ابو العباس (شمس الدين أحمد)،وفيات الأعيان وأنباء الزمان،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت،الطبعة الأولى،1968م.

*أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (الأندلسي) فتاوى الشاطبي ،الطبعة الثانية،تحقيق وتقديم محمد أبو الأجفان،مطبعة الكواكب، 1985م.

*أبو حمو موسى:واسطة السلوك في سياسة الملوك،مطبعة الدولة، التونسية، تونس،1279 هـ / 1862م.

*أبو راس محمد بن احمد الناصر ،عجائب الأسفار ولطائف الأخبار،ج1،تقديم وتحقيق محمد غانم،مركز البحث في الانتروبولوجية الاجتماعية والثقافية.

*ابن بطوطة(محمدبن عبد الله):تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،المكتبة التوفيقية القاهرة مصر بدون تاريخ.

*ابن جبير (محمد بن أحمد):رحلة ابن جبير،دار الكتاب اللبناني،بيروت،دار الكتاب المصري،مصر،دون طبعة ودون سنة.

* ابن حوقل ابي القاسم –النصيبي–كتاب صورة الأرض –جزءان–دار صادر بيروت الطبعة الثانية طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل،1938 م.

* ابن سعيد(أبي الحسن المغربي):كتاب الجغرافيا،تحقيق إسماعيل العربي،الطبعة الثانية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1982م.

*ابن سعيد(أبي الحسن المغربي):المغرب في حلى المغرب،تحقيق شوقي ضيف،الطبعة الثالثة،دار المعارف القاهرة،1955م.

*ابن خلدون أبو زكرياء يحي ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،الجزء الأول،تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الحميد حاجيات،المكتبة الوطنية،الجزائر1400هـ-1980م.

* ابن خلدون عبد الرحمن :المقدمة، دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان.

* ابن خلدون عبد الرحمن:العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.دار الكتاب اللبناني بيروت 1960م.

*ابن منظور (الإفريقي) لسان العرب دار صادر،ط،3 بيروت لبنان، 2004م.

* ابن مريم :البستان في أخبار علماء وأولياء تلمسان،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1986م.

*الأغا بن عودة ألمزاري،طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر واسبانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر ج الطبعة الأولى،دار الغرب الإسلامي، 1990 م.

* البكري (ابن عبيد الله بن عبد العزيز)،المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب.نشر دي سلان الجزائر 1901م.

*الجرجاني (علي بن محمد بن علي)،التعريفات،الطبعة الأولى، تحقيق إبراهيم الابياري،دار الكتاب العربي بيروت ،لبنان ،1405هـ.

* الدمشقي (أحمد عبد الحي)،شذرات الذهب في أخبار من ذهب،أربعة أجزاء،دار الكتب العلمية بيروت،بدون سنة.

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان كلية العلوم الاجتماعية

* الدمشقي(أبوالفضل):الإشارة إلى محاسن التجارة،تحقيق البشري الشوربجي ط1،مطبعة الغد، الإسكندرية ،نشر مكتبة الكليات الأزهرية،1397هـ/ 1977م.

* الوزان (الحسن بن محمد):وصف إفريقيا،الجزء الثاني الطبعة الثانية،دار الغرب الإسلامي.

* الونشريسي(أحمد بن علي):المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب،تحقيق مجموعة من الأساتذة،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1981م.

* الزياني (محمد بن يوسف):دليل الحيران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي ش و ن ت، الجزائر 1978م .

* الحميري(عبد المنعم السبتي)،الروض المعطار في أخبار الأقطار،نشر وترجمة ليفي بروفنسال،القاهرة 1937م.

* المقدسي(أحمد بن محمد):أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،تحقيق غازي طليمات،وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دمشق،سوريا،1980م.

*المقري(احمد بن محمد التلمساني):نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى،دار صادر بيروت ،1968م.

* المراكشي أبي محمد عبد الواحد بن علي:المعجب في تلخيص أخبار المغرب،الطبعة لأولى، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1426هـ/2006م.

*السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري):، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، ط1،تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري،دار الكتاب،الدار البيضاء،1997 م.

*القلقشندي (أحمد بن عبد الله): مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج،الطبعة الثانية، مطبعة حكومة الكويت،1985م.

* القلقشندي (أحمد بن عبد الله)صبح الاعشى في صناعة الانشا، الطبعة الأولى،تحقيق يوسف علي طويل،دار الفكر،دمشق،1987م.

* القنوجي (صديق بن حسن)،أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية،بيروت،1978م.

* القضاعي (أبي عبد الله محمد بن عبد الله)كتاب الحلة السيراء،ط2،تحقيق حسين مؤنس،دار المعارف، القاهرة،1985م.

* القيرواني (ابن أبي دينار):المؤنس في أخبار افريقية وتونس ،.دار المسيرة، الطبعة الثالثة 1993م.

* التنسي،محمد بن عبد الله،تاريخ بني زيان،ملوك تلمسان،مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان،حققه وعلق عليه محمود بوعياد،م وك،الجزائر،1985م.

* مارمول(كار بخال) افريقيا،ترجمه من الفرنسية محمد حجي وآخرون،مكتبة المعارف، الرباط، 1984م.

* مارسي جورج ،مدن الفن الشهير –تلمسان–موقان البليدةالجزائر2004م.

* مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار.نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، المطبوع رقم 10،مطبعة جامعة الإسكندرية ،1958م.

* مجهول:نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر،تحقيق محمد رضوان الداية،دار إحسان للنشر،دمشق، سوريا،الطبعة الأولى،1404هـ/1984م.

* (الحموي)أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله: ،معجم البلدان، 5 أجزاء،دار الفكر، بيروت لبنان.

ثانيا:المراجع:

*ابراهيم خميس إبراهيم، حسن عبد الوهاب حسين،معالم التاريخ الأوروبي الوسيط،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية،مصر.

* الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)،تاريخ الجزائر العام ،الجزء الثاني،دار الثقافة،بيروت،لبنان .

*الطمار محمد،الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ش ون ت،الجزائر، 1983م.

*تلمسان عبر العصور،،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1985م.

*المدني احمد توفيق،حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492هـ-1792م،ش ون ت،الجزائر بدون تاريخ .

* الميلي مبارك،تاريخ الجزائر في القديم والحديث،الجزء الثاني،م و ك ،إنتاج دار الغرب الإسلامي

*العريني السيد الباز، الحضارة والنظم الأوروبية في العصور الوسطى،القسم الأول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1963.

* بوالشعير سعيد،القانون الدستوري والنظم السياسية المقارنة،ط3،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر

*بوزياني الدراجي.نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية.دم ج، الجزائر 1993.

*بو عزيز(يحيى)،الموجز في تاريخ الجزائر،المؤسسة الوطنية للمطبوعات الوطنية الجزائرية،1965م.

*بن أشنهو عبد الحميدبن أبي زيان،دخول الاتراك العثمانيين الى الجزائر،الطباعة الشعبية للجيش،1972م.

*بن عميرة(محمد)،دور زناتة في الحركة المذهبية،م وك،الجزائر 1980.

*جودة حسنين جودة، جغرافية أوروبا الإقليمية،الطبعة الخامسة،دار النهضة العربية بيروت،1980 .

*هني احمد، العملة والنقود،د م ج ،الجزائر،1986م .

*زبادية عبد القادر،الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء،م و ك، 1988 م.

*حسن إبراهيم حسن ،انتشار الإسلام في إفريقيا، مكتبة النهضة المصرية،الطبعة الثانية، 1964م.

*كمال السيد أبو مصطفى ،تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ،مركز الإسكندرية للكتاب،2006م.

*موسى عز الدين عمر،النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي،خلال القرن السادس الهجري،دار الغرب الإسلامي،الطبعة الثانية،1424هـ/2003م.

*مؤنس حسين ،تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي ،المجلد الثاني ، الجزء الثالث،العصر الحديث للنشر والتوزيع.

*محمود بوعياد ،جوانب من الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري-الخامس عشر ميلادي –ش و ن ت،الجزائر.

*نور الدين حاطوم ،.تاريخ العصر الوسيط في أوروبة، الجزء الأول،دار الفكر، دمشق،1402-1982.

*تاريخ عصر النهضة الأوروبية،دار الفكر1368هـ/1968م.

* نور الدين عبد القادر،صفحات في تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر التركي ،طبعة قسنطينة 1965.

*سالم السيد عبد العزيز ،تاريخ المغرب الكبير،الجزء الثاني، دار النهضة العربية بيروت،1981م.

*سالم السيد عبد العزيز،أحمد مختار العبادي،تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس،دار النهضة العربية،بيروت،1969م.

* سليمان عشراتي ،الشخصية الجزائرية،الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2002م.

*عبادة كحيلة،المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب،الطبعة الأولى،المطبعة الإسلامية الحديثة،القاهرة، 1997م.

*عويس عبد الحليم ،دولة بني حماد، ط2،دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة 1991م.

*عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الثاني،حياته وآثاره،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م .

*عبد الكريم يوسف جودت،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر.

*عمر رضا كحالة ،دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية،المطبعة التعاونية،دمشق،1393هـ-1973م.

*فاروق عثمان أباضة،تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،مصر،2003 .

*فيلالي عبد العزيز،تلمسان في العهد الزياني،موفم للنشر والتوزيع،2002.

* فركوس صالح ،المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين الى خـــروج الفرنـــسيين،دار العلوم للنشر والتوزيع2003/2002م.

* رمضان شاوش،باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديـــوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

*شكيب ارسلان (الأمير)، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الجزء الثـــاني،دار الفكر العربي القاهرة،بدون تاريخ.

المراجع باللغة الاجنبية:

*.Brunschivig,la berberie oriontale sous les hafsides;des origines a la fin du xv siècle ;paris1940-1947.

*corvenin Robert ,Histoire de l,Afrique.tomel. paris

*Djilali sari.la re-naissance d.un ancien débouche de l. or transaharien-honaine-opu. alger.

*Dhina atta allah,les états de l,occident musulman,Aux13-15 siecle ,OPU,Alger,1984

*Dominique Sourdel et Janine sourdel Thomine,la civilisation de l,Islam classique,les éditions Arthaud, paris 1983.

*Dufourq Charles emanuelle, L ,Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIV eme siecle,Paris,1965,PUF.

*Gauvet ct « l. origine des zenata »bulletin aprovisoire de la société de géographie d .Alger et de l Afrique du nord.2eme trimestre1942.

*julien Charles André,l,histoire de l,afrique blanche,PUF,8eme edition,1976.

* Henri lavoix ;catalogue des monnaies musulmanes t3 .

*.L.didier .histoire d.oran1501-1550.oran1927

*Monlau jean,Les états barbaresques,presse universitaire de France,paris,1ere édition,1er trimestre1964.

*morales Oliver, Oran y espana –conferencia in I.E.A ,23novembre1960

*Miloud Gaid,les berbers dans l,histoire de la kahina a l,occupation turque,edition mimouni, alger,1980.

*. Paulume Denise,les civilisations africaines, ,presse universitaire de France, 6eme edition,1974.

المراجع المترجمة

*أندري فرنيان وآخرون،الجزائر بين الماضي والحاضر،ترجمة اسطنبولي رابح ومنصف عاشور،دوم ج الجزائر، 1984م.

*بل الفرد،الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم،الطبعة الثالثة،ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

*بروي ادوار،تاريخ الحضارات العام–القرون الوسطى–تعريب يوسف أسعد داغر،فريد م داغر،عويدات للنشر والطباعة،بيروت لبنان،الطبعة الرابعة،1998م.

* بروفنسال ليفي،الإسلام في المغرب والأندلس،ترجمة الدكتور السيد محمود عبد العزيز ومحمد صلاح الدين حلمي،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية.

*جون ب وولف،الجزائر تحت الأتراك،ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله ،م و ك ،1986م.

* زيغريد هونكه،شمس العرب تسطع على الغرب،منشورات المكتب التجاري، بيروت،ط2، 1969م.

*كولستون ج ج،عالم العصور الوسطى في الحضارة والنظم،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية، ط 2،1983م.

*لي تورنو روجي،حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ،ترجمة أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب،1982م.

*عبد القادر جغلول،مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط،ترجمة فضيلة الحكيم،ط1،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع،1982م.

الرسائل الجامعية والمجلات.

أ-الرسائل.

*الأخضر عبدلي،الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان،دكتوراه دولة،جامعة تلمسان،معهد التاريخ. 2005/2004م.

*بودواية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، دكتوراه دولة في التاريخ ،جامعة تلمسان، قسم التاريخ السنة الجامعية 2005-2006م.

*بشاري لطيفة،التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الامارة الزيانية من القرن السابع الى القرن العاشر الهجريين(13-16 م)،رسالة ماجستير، وهران 2004م.

* عاشور بوشامة ،علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والاندلس696-981هـ/1668-1573م،رسالة ماجستير،جامعة القاهرة كلية الآداب قسم التاريخ،1411هـ/1991م.

*مكيوي محمد،الأوضاع السياسية و الثقافية للدولة العبدوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول،رسالة ماجستير،جامعة تلمسان،2000-2001م.

ب-المجلات والدوريات .

أ العربية:

*مجلة إنسانيات "وهران مدينة من الجزائر"عدد 23، 24جانفي وجوان 2004م.

*مجلة الاصالة ،السنة الثالثة العدد 14 و15ربيع الثاني جمادى الأولى والثانية –رجب 1393- ماي، جوان، جويلية وأوت1973م.

*محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي ببجاية،المجلد الثاني ،منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية 1394هـ/1974م.

* مجلة الفسطاط ،عدد7،سنة 2006م.

* مجلة التاريخ،عدد 9،النصف الثاني من سنة 1980م،المركز الوطني للدراسات التاريخية،الجزائر.

*حولية المؤرخ،عدد6،جويلية 2005م.

*تاريخ وحضارة المغرب،مجموعة من الأعداد.

ب-الأجنبية.

* Revue d,histoire et de civilisation du Maghreb,No13,Janvier 1976.

* Revue Africaine,Alger,1861.

الملاحـــــــق

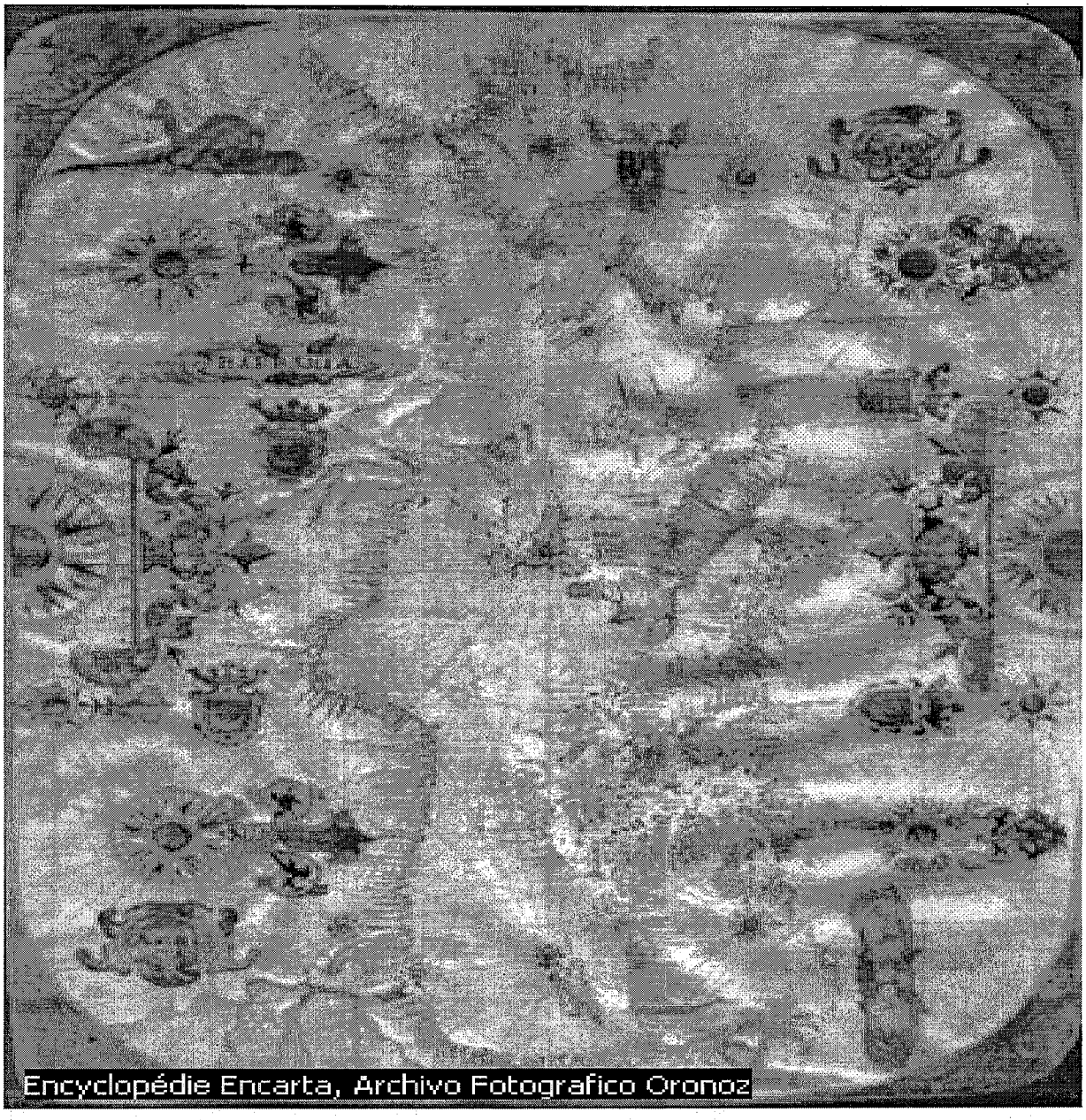

بورتيلان خاص بالبحر المتوسط

المصدر: Microsoft ® Encarta ® 2007.

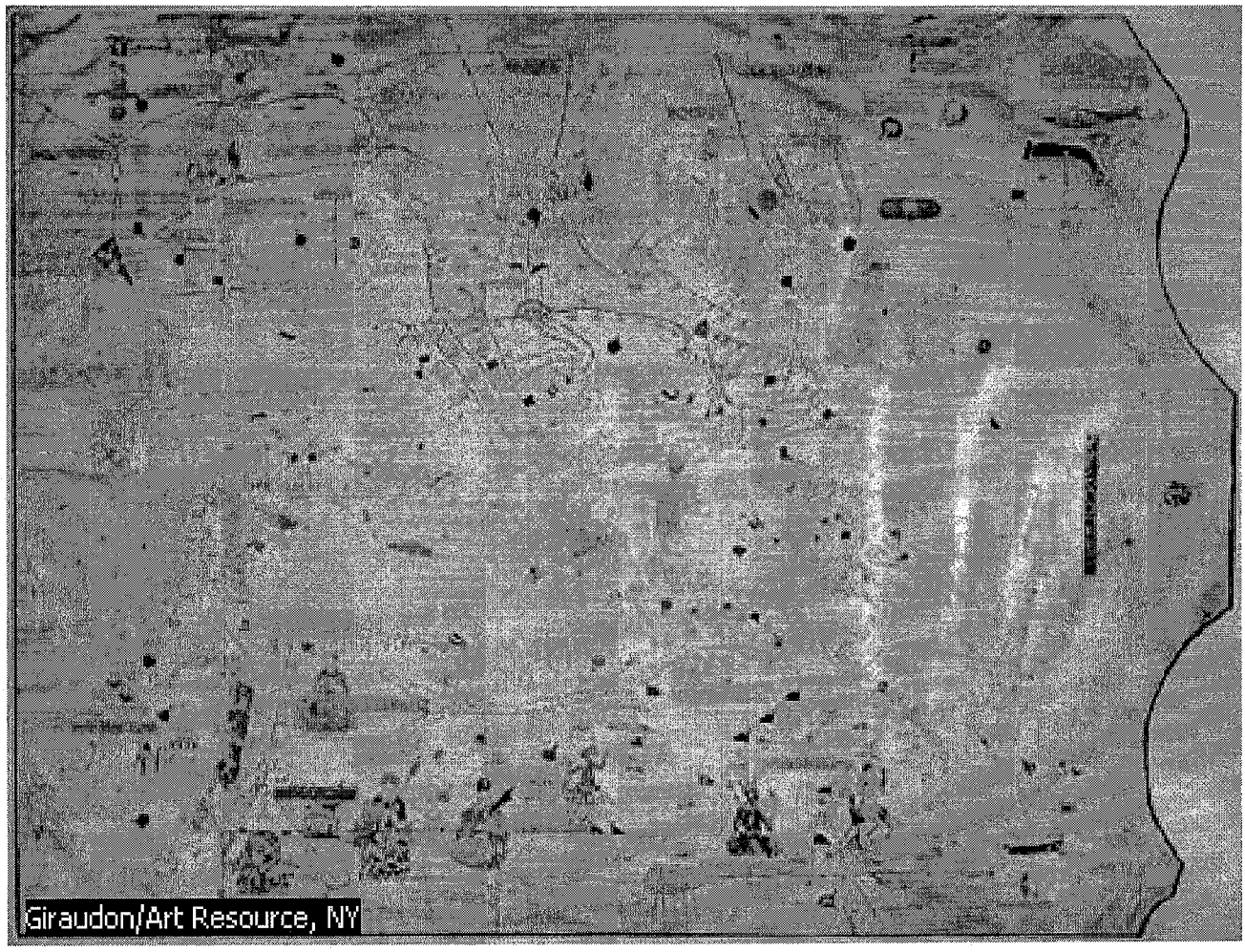

بورتيـــــلان قطـــلانى

المصدر: Microsoft ® Encarta ® 2007.

ملحق رقم: 04

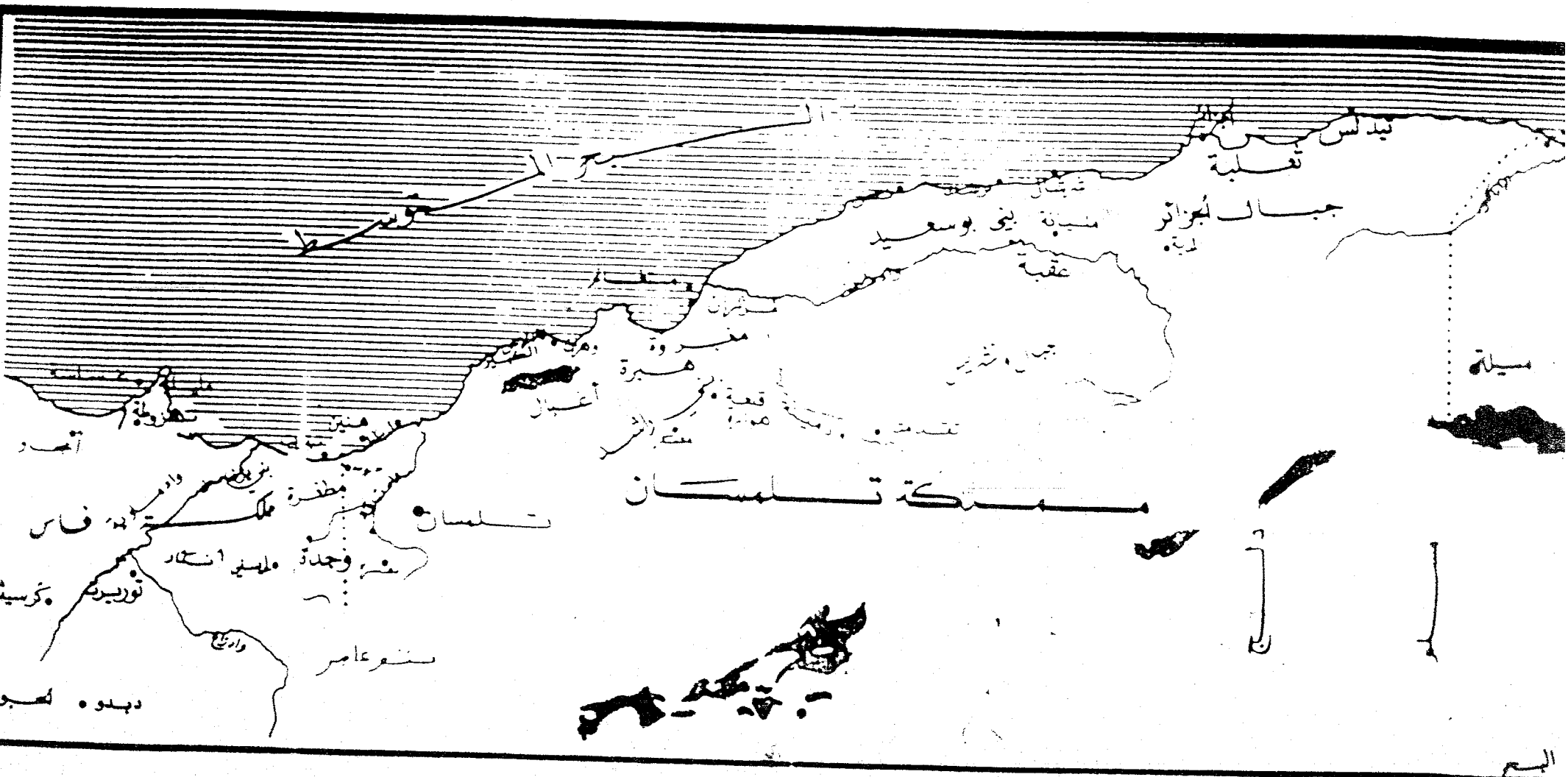

مملكة تلمسان - من خلال كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان

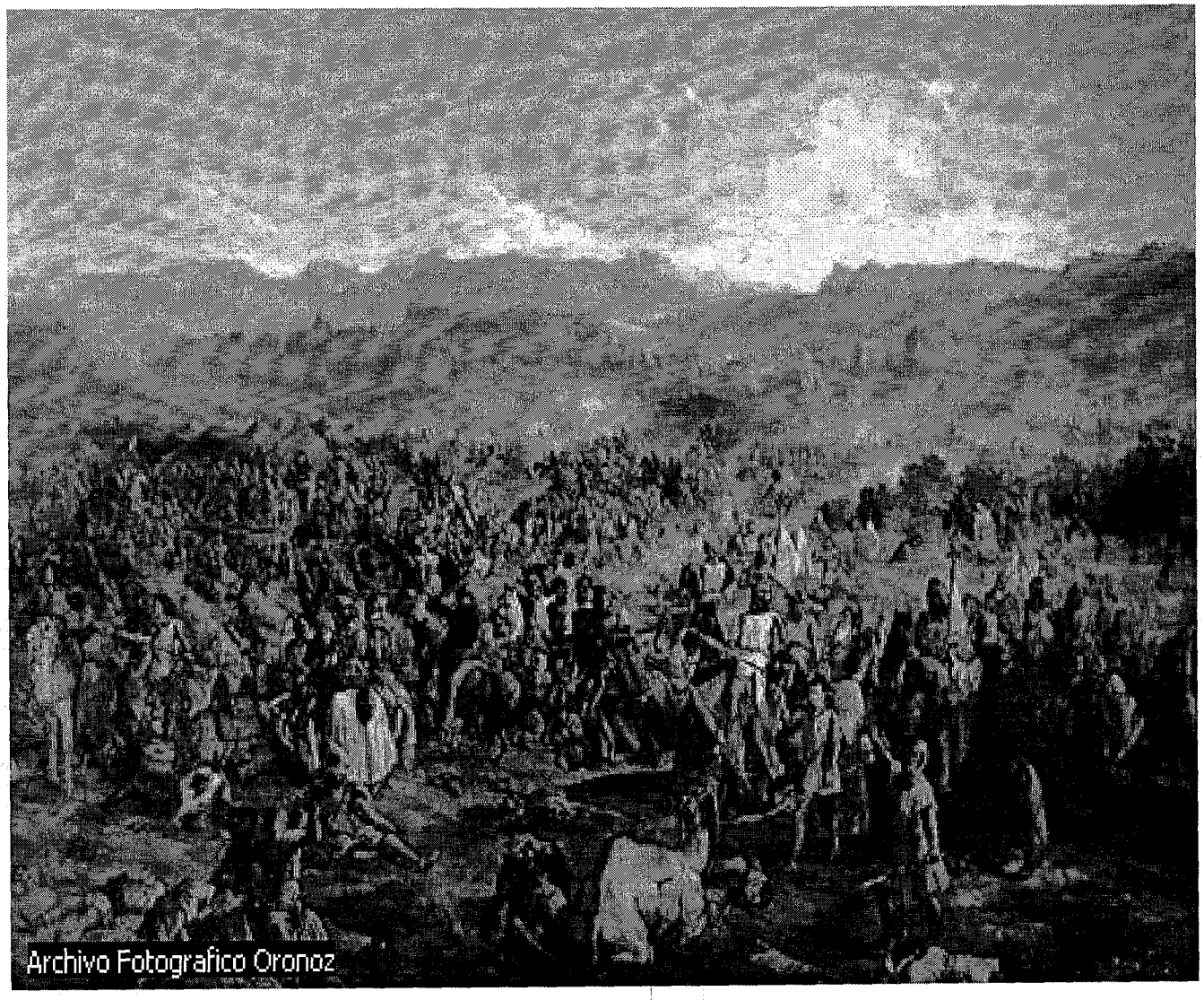

صورة لمعركة حصن العقاب1212 م التي تمثل مرحلة حاسمة من مراحل حرب الاسترداد التي خاضتها الجيوش الكاثوليكية لممالك أراغون ،قشتالة ونفار ضد الموحدين.

المصدر:. Microsoft ® Encarta ® 2007

ملحق رقم :5

1. بعض التجار الأوروبيين المترددين على مدن المغرب الأوسط

الاسم واللقب	الصفة	الوجهة أو مكان الإقامة	الأصل	التاريخ
كاسا	تاجر كبير	مستغانم وتونس	ميورقة	713/ 715 هـ
سيما دومنغو	تاجر و قنصل	الجزائر/ بجاية	ميورقة	716/713 هـ
دس ليدو (غيلام)	تاجر كبير	الجزائر وهران/تونس	ميورقة	729هـ
ديميناخ برنات	تاجر	الجزائر-بجاية	ميورقة	شتاءوصيف731/729 هـ
فيردي سيمو	تاجر كبير	هنين والجزائر بجاية	ميورقة	720،714-721هـ 716هـ
فيردي براتس(الاب)	تاجر	الجزائر تونس	بلنسية ميورقة	718 هـ 719هـ
رويج رامون	تاجر	وهران طبرقة	بلنسية ميورقة	708هـ 710هـ
رويج الاب		الجزائر والدولة الزيانية تونس	ميورقة	720هـ 720هـ
سرا غيلام		وهران بجاية	برشلونة ميورقة	708هـ 730هـ Charles Emmanuelle Dufourq;l,Espagne catalane pp597pp598-600-602-604
فورنالس		موتزيمة مزغران	ميورقة	715/714هـ
اندرو الأب		سبتة الدولة الزيانية	ميورقة	ربيع وخريف729 729 هـ

اندروفر رامون		اصيلا الجزائر	ميورقة	731 هـ 730هـ
دوسوفول (ماستري)		الكدية هنين ومزغران	ميورقة	731 هـ 720-719 هـ
هاسوت		الكدية تنس	ميورقة	730 هـ 718 هـ
أوليفر الأب		الكدية وهران	برشلونة	729هـ 708 هـ
سانز بونانات		سبتة و أصيلا هنين	ميورقة	714و731 729هـ

Charles emanuelle dufourq ;l,Espagne catalane pp597-60

الملحق رقم: 6

-النقود الزيانية.

مصدر القطعة ووزنها	تاريخ الضرب	مكان الضرب	الجنس والفئة	الوزن بالغرام	المقياس بالمليمتر
لافوا 1010	708-712/1308-1318م	تلمسان	دينار	4،66	32
لافوا 1011	718-737هـ/1318-1337م	--	دينار	4،55	31
لافوا 1012 رشيد دكالي	؟؟؟؟؟؟؟؟؟	تلمسان	دينار	4،58	32
لافوا 1014	766-773/1462-1468م	مجهول	دينار	4،48	34
لافوا 1017	؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	تلمسان	دينار	4،52	32
لافوا 1013	734-766/1431-1462م	مجهول	نصف دينار	2،22	25
لافوا 1016	؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟	تلمسان	نصف دينار	2،26	25
لافوا1015	910-923/1505-1517م	تلمسان	ربع دينار	1،05	14

Henri lavoix ;catalogue des monnaies musulmanes t3 ;rachid dokali :note sur les monnaies musulmanes de Tiaret, pp46-457.

الملحق رقم :7

رسالة لسان الدين ابن الخطيب الى ابي حمو موسى

أما بعد حمد الله جامع الشمل بعد انصداعه وشتاته،وواصل الحبل بعد انقطاعه وانبتاته، سبحانه،لامبدل لكلماته، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله، الصادع بآياته، المؤيد ببيناته، الذي اصطفاه لحمل الأمانة العظمى، وحباه القدر الرفيع والمحل الأسمى،والله أعلم حيث يجعل رسالاته، والرضا عن آله وصحبه وأنصاره وحزبه وحماته المتواصلين في ذات الله، وذاته القائمين بنصر دينه وقهر عداته، فإنا كتبناه إليكم كتب الله لكم سعدا ثابت الأركان، وعزا سامي المكان، ومجدا وثيق البنيان، وصنعا كريم الأثر والعيان، من حمراء غرناطة حرسها الله، والثقة بالله سبحانه أسبابها وثيقة وأنسابها عتيقة،والتوكل عليه لا تلتبس من سالكه طريقه، ولا تختلط بالمجاز منه حقيقة، وعندنا من الاعتداد بكم في الله عقود مبرمة وآي في كتاب الإخلاص محكمة،ولدينا من السرور بما سناه الله لكم من أسباب الظهور الذي حلله معلمه وحججه البالغة،مسلمه ما لا تفي العبارة ببعض حقوقه الملتزمة، وإلى هذا أيد الله أمركم، فإننا ورد علينا فلان وصل الله كرامته وسنى سلامته صادرا عن جهتكم الرفيعة الجانب السامية المراقب طلق اللسان بالثناء بما خصكم الله به من فضل الشمائل وكرم المذاهب محدثا عن بحر مكارمكم بالعجائب فحضر بين يدينا ملقيا ما شاهده من ازدياد المشاهد بتلك الإيالة، واستبشار المعاهد بعودة ذلك الملك الرفيع الجلالة الشهير الأصالة ووصل صحبته ما حملتم جفنة من الطعام برسم إعانة هذه البلاد الأندلسية والإمداد الذي افتتحتم به ديوان أعمالكم السنية وأعربتم به عما لكم في سبيل الله من خالص النية وأخبر أن ذلك إنما هو رشة من غمام وطليعة من جيش لهام ووفد من عدد وبعض من مدد وأن عزائمكم في الإعانة والإمداد على أولها ومكارمكم ينسى الماضي منها بمستقبلها فأثنينا على قصدكم الذي لله أخلصتموه، وبهذا العمل البر خصصتموه وقلنا لا ينكر الفضل على أهله وهذا بر صدر عن محله فليست إعانة هذه البلاد الجهادية ببدع من مكارم جنابكم الرفيع، ولا شاذة فيما أسدى على الأيام من حسن الصنيع، فقد علم الشاهد والغائب ولو سكتوا أثنت عليها الحقائب ما تقدم لسلفكم في هذه البلاد من الإرفاق و الإرفاد والأخذ بالحظ الموفور من المدافعة والجهاد،

وأنتم أولى من جدد عهود قومه، وكان غده في الفخر أكبر من يومه،وقد ظهرت لله في حيز تلك الإيالة الزيانية نتيجة تلك المقدمات وعرفت بركة ما أسلفته من المكرمات، وسنى الله سبحانه بين يدي وصول ما به تفضلتم وفي سبيله بذلتم أن فتح جيشنا حصنا من الحصون المجاورة لغربي مالقة يعرف بحصن قنيط من الحصون الشهيرة المعروفة والبقع المذكورة بالخصب الموصوفة ودفع الله مضرته عن الإسلام وأهله ويسره بمعهود فضله فجعلنا من ذلك الطعام الذي وجهتم طعمه حماته ونفقات رجاله ورماته اختيارا له في أرضى المرافق في سبل الخير وجهاته وأما نحن فإن ذهبنا إلى تقرير ما عندنا من الثناء على معالي ملككم الأصيل البناء والاعتداد بمقامكم الرفيع العماد والاستناد إلى ولائكم الثابت الإسناد لم نبلغ بعض المراد ولا وفى اللسان بما في الفؤاد فمن الله نسأل أن يجعله في ذاته وذريعة إلى مرضاته ومرادنا من فضلكم العميم وودكم السليم أن تحسبوا هذه الجهة كجهتكم فيما يعرض من الأغراض لنعمل في تتميمها بمقتضى الود العذب الموارد الكريم الشواهد والله يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الضرب الثاني أن يقع الابتداء بالمقر، والرسم فيه أن يقال المقر وينعت ثم يقال مقر فلان وينعت بالألقاب، ثم يذكر المكتوب عنه ثم يقال أما بعد حمد الله ويؤتى على الخطبة إلى آخرها ثم يقال فإنا كتبناه لكم من موضع كذا يتخلص إلى المقصد بلفظ وإلى هذا فإن كذا وكذا ويؤتى على المقصد إلى آخره ويختم بالسلام

الجزء السابع من صبح الأعشى،ص48،49،50

ملحق رقم :8

مدخل فندق بمدينة تلمسان :عن كتاب مدن الفن الشهيرة لجورج مارسي

ملحق رقم: 9

طرق الملاحة البحرية القطلانية و المحاور الإفريقية و الأوربية

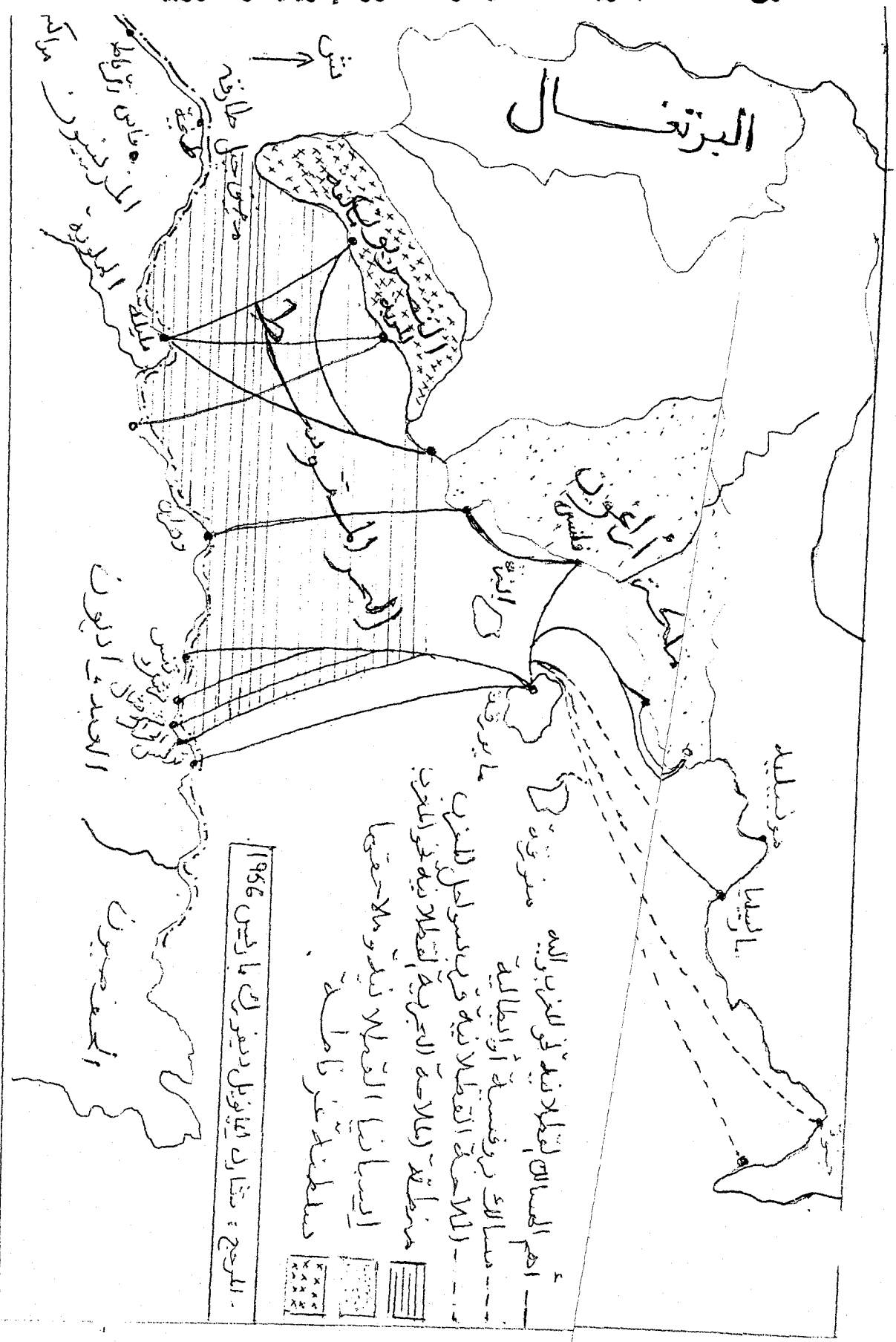

الفهرس

فهرس الموضوعات

*مقدمـــــــــــــــــــــــــة

دراسة المصادر والمراجع.....ص1-5

الفصل الأول:الوصف السياسي للدولة الزيانية.....ص6-28

*المبحث الأول: نبذة عن دولة الموحدي.....ص6-12

*تأسيسها.....ص7-10

*سقوطها.....ص10-11

*عوامل الضعف والسقوط.....ص12-13

*المبحث الثاني :نشأة الدولة الزيانية..... ص15-17

*حدود الدولة الزيانية.....ص17-19

*نظام الحكم بها.....ص19-28

الفصل الثاني:الواقع الاقتصادي للمغرب الأوسط والضفة الغربية للمتوسط ص29-68

*المبحث الأول :الواقع الاقتصادي للمغرب الأوسط.....ص30-52

*الزراعة.....ص30-35

*الصناعة.....ص36-43

*التجارة.....ص44-52

أ-مع السودان الغربي.....ص46-50

ب-مع الدولة الحفصية و المرينية.....ص50-51

ج-مع بلدان المشرق.....ص52

*المبحث الثاني:الواقع الاقتصادي للضفة الغربية للمتوسط للمتوسط..ص52-68

1-في شبه الجزيرة الايبيرية.....ص52-61

2-في شبه الجزيرة الايطالية.....ص61-66
3-نظام العمل في المجتمع القطاعي.....ص66-68

الفصل الثالث: المبادلات التجارية بين المغرب الأوسط والضفة الغربية للمتوسط.....ص69-102

*المبحث الأول:أهم المراسي والمسالك التجارية.....ص70-79
1-مراسي المغرب الأوسط.....ص70-74
2-شبه الجزيرة الايبيرية.....ص74-78
3-شبه الجزيرة الايطالية.....ص79

*المبحث الثاني:وسائل وطرق التجارة.....ص80-86
أ-الوسائل.....ص79-82
ب-طرق المواصلات البحرية.....ص82-86

*المبحث الثالث : المبادلات التجارية.....ص87
أ-العوامل المساعدة على التجارة بين الإقليمين ص87-90
ب-طبيعة المبادلات.....ص91-95
* صادرات الدولة الزيانية.....ص91-92
*واردات الدولة الزيانية.....ص93-94
ت-أثر الاختلاف الديني في المبادلات.....ص94-96

*المبحث الرابع: طرق التبادل التجاري تقنيات.....ص96-102
أ-طرق التبادل وتقنياته(أنواع البيوع -الجمارك-الضرائب).....ص96-101
ب-الفنادق ونظامها.....ص101-102

الفصل الرابع:العلاقات السياسية.....ص103-133

*المبحث الأول:الواقع السياسي في الضفة الغربية للمتوسط.....ص104-109

أ-في شبه الجزيرة الايطالية.....ص110-107

ب- في شبه الجزيرة الايبيرية.....ص106-109

ت-ميلاد اسبانيا الحديثة والبرتغال.....ص108-109

*-المبحث الثاني: العلاقات السياسية:.....ص111-122

1-مع شبه الجزيرة الايبيرية ص110-120

ا-مع دولة بني الأحمر.....ص110-114

ب-مع الدول المسيحية.....ص114-120

2-مع ايطاليا.....ص120-121

*المبحث الثالث: العلاقات العدائية والتحرشات الأوروبية ضد سواحل المغرب الأوسط ص122-133

أ-أزمة القرن الرابع عشر وبوادر الاحتلال.....ص122-124

ب-أسباب وخلفيات الاحتلال.....ص125-127

ت- الاحتلال ونهاية الدولة الدولة الزيانية.....ص127-133

خاتمـــــــــــــــــــــــة.....ص134-137

قائمة المصادر والمراجع.....ص137-148

الملاحـــــــــــــــــــــــق..... ص151-161